برنامج(قرآنا عجبًا)

لتدبر وحفظ القرآن الكريم

قرآنا عجبا

سورة التوبة

*تفتح الباب بالتوبة لجميع أصناف العصاة .

وتعرض مفهوم شامل للتوبة لم يذكر من قبل:

(كل مرة يحتاجك فيها الدين لنصرته وتؤثر الدنيا والراحة فإنه ذنب يستحق التوبة)

*السورة تتكلم عن الجهاد وأن أخطر سبب للهزيمة هو الذنوب ، وأكبر سبب للنصر هو التوبة

قال ابن عاشور: "افتتحت السورة كما تفتتح العهود وصكوك العقود بأدل كلمة على الغرض الذي يراد منها...

هذه السورة ابتدأت حديثها بإعلان البراءة من أفعال الكافرين، وأعلنت المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الإيمان وأهل الشرك، وأهل الإسلام وأهل النفاق.

مِنْ أَوَاخِرِ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَإِنَّمَا لَا يُبَسْمَلُ فِي أَوَّلِهَا لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكْتُبُوا الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِهَا فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، وَالِاقْتِدَاءُ فِي ذَلِكَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ

أسماؤها

تعددت أسماء هذه السورة، وقد ذكر ابن عاشور في "تفسيره"، أن لها أربعة عشر اسماً، هي: التوبة، براءة، المقشقشة، الفاضحة، العذاب، المنقرة، البحوث، الحافرة، المثيرة، المبعثرة، المخزية، المشددة، المدمدمة.

هذا وليس في سور القرآن الكريم أكثر أسماء منها ومن سورة الفاتحة.

والاسم الأشهر لهذه السورة {براءة}؛ فقد سميت بهذا الاسم في أكثر المصاحف، وجاءت هذه التسمية عن كثير من السلف. ففي "صحيح البخاري"، عن زيد بن ثابت، قال: (آخر سورة نزلت سورة براءة). وبذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من "صحيحه". وسبب هذه التسمية أن أول كلمة وردت في هذه السورة هي كلمة {براءة}. ويمكن أن يقال: إنها سميت بذلك؛ لأنه سبحانه ذكر فيها براءته من المشركين.

وسميت (التوبة)، جاءت هذه التسمية في أقوال بعض الصحابة رضي الله عنهم، من ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما: (سورة التوبة هي الفاضحة). وترجم لها الترمذي في "جامعه" باسم (التوبة)؛ لأن الله سبحانه ذكر فيها توبة الذين تخلفوا عن الخروج إلى غزوة تبوك. وكتبت بهذا الاسم في المصاحف أيضاً.

وجاء هذان الاسمان في حديث زيد بن ثابت في "صحيح البخاري"، قال رضي الله عنه: (فتتبعت القرآن، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم}، حتى خاتمة سورة براءة).
وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف.

وسميت (الفاضحة)؛

لأنها فضحت أمر المنافقين، وكشفت مؤامراتهم ودسائسهم. روي عن سعيد بن جبير، قال: قلت لـ ابن عباس رضي الله عنهما: سورة التوبة؟ قال: التوبة! بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: {ومنهم} حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد إلا ذُكر فيها.

وسميت (العذاب)؛

لأنها وعدت الكافرين بالعذاب الأليم. أخرج الطبراني في "الأوسط" عن حذيفة رضي الله عنه، قال: (التي تسمون سورة التوبة، هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه، ولا تقرؤون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها). قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

وسميت (المنقِّرة)؛

روي عن عبيد بن عمير أنه سماها (المنقِّرة) بكسر القاف المشددة؛ لأنها نقَّرت عما في قلوب المشركين من نوايا الغدر بالمسلمين، والتمالؤ على نقض العهد، وهو من نقر الطائر، إذا أنفى بمنقاره موضعاً من الحصى ونحوه ليبيض فيه.

وسميت (المقشقشة)؛

روي أن رجلاً قال لـ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: سورة التوبة؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: وأيتهن سورة التوبة؟ فقال: براءة. فقال ابن عمر: وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي، ما كنا ندعوها إلا المقشقشة. و(المقشقشة): بصيغة اسم الفاعل، وتاء التأنيث من قشقشه: إذا أبراه من المرض. كان هذا لقباً لهذه السورة ولسورة (الكافرون)؛ لأنهما تخلّصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك؛ لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص؛ ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين

وسميت (البَحوث)،

أخرج الحاكم عن المقداد رضي الله عنه أنه قيل له: لو قعدت العام عن الغزو، قال: (أتت علينا البَحوث - بفتح الباء -: يعني براءة) الحديث.

قال الهيثمي: فيه بقية بن الوليد وفيه ضعف، وقد وُثِّق، وبقية رجاله ثقات.

و(البَحوث) بوزن فعول بمعنى الباحثة.

وسميت (الحافرة)،

روي عن الحسن البصري أنه دعاها (الحافرة)، كأنها حفرت عما في قلوب المنافقين من النفاق، فأظهرته للمسلمين.

وسميت (المثيرة)،

روي ذلك عن قتادة؛ لأنها أثارت عورات المنافقين وأظهرتها.

وسميت (المبعثرة)،

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين، أي: أخرجتها من مكانها.

وسميت (المخزية)،

ذكر ذلك السيوطي في "الإتقان"؛ وسبب هذه التسمية قوله تعالى: {وأن الله مخزي الكافرين} (التوبة:2).

وسميت (المدمدمة)،

روي عن سفيان الثوري أنها تسمى (المدمدمة)، بصيغة اسم الفاعل من دمدم، إذا أهلك؛ لأنها كانت سبب هلاك المشركين.

وسميت (المشدِّدة)،

ذكر ذلك السيوطي في "الإتقان". ولعل مأخذ هذه التسمية، قوله عز وجل: {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم} (التوبة:73).

قرآنا عجبا



حول السورة



بعث اللّه محمدا صلى اللّه عليه وسلم خاتم النبيين بالإسلام وأقام بناء دعوته على أساس البراهين المقنعة، ومنع الإكراه على الدخول فيه والحمل على قبوله بالقوة فقاومه المشركون وفتنوا المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد لصدهم عنه، ولم يكن أحد يأمن على نفسه من القتل أو التعذيب إلا بتأمين حليف أو قريب، فهاجر منهم عدد كثير إلى بلاد الحبشة وإلى جهات كثيرة مرة بعد أخرى، ثم اشتد إيذاؤهم للرسول حتى ائتمروا فى دار الندوة علنا على حبسه أو نفيه أو قتله، ورجحوا آخر الأمر قتله، فأمره اللّه بالهجرة إلى المدينة وصار يتبعه من قدر عليها، وقد وجدوا بها أنصارا يحبون اللّه ورسوله، ويحبون من هاجر إليهم ويؤثرونهم على أنفسهم، وكانت الحال بينهم وبين المشركين حال حرب بطبيعة الحال ومقتضى المألوف فى ذلك العصر، وعاهد النبي صلى اللّه عليه وسلم أهل الكتاب من اليهود والنصارى على السّلم والتعاون بينهم، فخانوا ونقضوا العهد وظاهروا المشركين عليه وعاهد المشركين فى الحديبية على السّلم والأمان عشر سنين بشروط كانت منتهى السخاء عن قوة وعزة، لاعن ضعف وقله، حبّا للسلم ونشر الدعوة بالإقناع والحجة فدخلت خزاعة فى عهده صلى اللّه عليه وسلم كما دخلت بكر فى عهد قريش، ثم عدت الثانية على الأولى وأعانتها قريش بالسلاح ناقضين العهد، فكان ذلك سبب عودة الحرب بينه وبينهم إلى أن كان فتح مكة، وبه خضدت شوكة الشرك وذل أهله، ولكنهم مازالوا يحاربون حيث قدروا، ودلت التجارب أنه لا عهود لهم ولا يؤمن غدرهم فى حالى القوة والضعف، ولا يستطيع المسلمون أن يعيشوا معهم بحكم المعاهدات ويأمن كل شر الآخر ما داموا على شركهم ولا سيما وقد سبقهم إلى نقض العهد من كانوا أجدر منهم بالوفاء وهم أهل الكتاب.

من جرّاء هذا جاءت هذه السورة بنبذ عهودهم المطلقة وإتمام عهودهم المؤقتة لمن استقام عليها، فحاربهم النبي صلى اللّه عليه وسلم وتم له الغلب عليهم ومحا الشرك من جزيرة العرب ودانت كلها للإسلام: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» . - المراغي-

*لم يذكر فيها البسملة لأن نصف السورة الأول يتكلم عن إنتهاك حرمات اللّه في الأرض لعلك تغضب لغضب اللّه.

*سورة التوبة ختام السور السبع الطوال بدءا من سورة البقرة والتي أرست مجتمعة قواعد بناء الدولة الإسلامية بما فيها من عقيدة وتشريعات وأحكام وعبادات وتعاملات ولأن بناء الدول القوية سيثير عداوة الأعداء كان لا بد من حمايتها عن طريق الجهاد في سبيل اللّه.

صفات المنافقين
(رجل الهزيمة)

١- عدم رعاية حرمات الله
٢- تقديم المحبوبات على العقيدة
٣- عدم تعلق القلب بالله
٤- صفة ثقل التضحية على القلب
٥- صفة الاولوية ليست للدين
٦- أهل أعذار
٧- تقديم مصلحة الأمن على العقيدة
٨-الفكر التجاري مع الدين
٩-برودة الدم تجاه مشاكل الدين
١٠-تقديم المرجوات على العقيدة

سورة التوبة

النص الأول
من أية ١-٣٧
٨ حرمات لله تنتهك

١ حرمة التوحيد
٢ حرمة الأشخاص (الرسول والمؤمنون)
٣ حرمة الدين
٤ حرمة القرآن
٥ حرمة الأماكن المقدسة
٦ حرمة الأزمان المحرمة
٧ حرمة المبادئ و الاخلاق
٨ حرمة الحدود و الأحكام

النص الثاني

١ المنافقين
- ١ من أية ٣٨-٩٩ صفات المنافقين
- ٢ من أية ١٠٠-١١٠ ٤ نماذج تقيس نفسك عليهم

٢ الصادقين و صفاتهم
من أية ١١١-١٢٩




drhazemshouman

01023030100

النصف الأول من السورة
يتحدث عن أهل الكفر و جرائمهم (حقوق الله المنتهكة)
8 جرائم في حق 8 حرمات لله على الأرض .

1

1-حرمة التوحيد

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ(30)
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ (31)

2-حرمة الأشخاص (الرسول و المؤمنون)

لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ(13)

3-حرمة الدين .

......وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ..... (12) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ (32)

4-حرمة القرآن .

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

5-حرمة الأماكن المقدسة .

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ(17)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا(28)

6-حرمة الأزمان المحرمة ..

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ
عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ(37)

7-حرمة المبادئ و الأخلاق

وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ(12)
أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ(13)

9-حرمة الحدود و الأحكام .

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

كيف لا تغير على حرمات الله ؟! **ماذا فعلت في حرمات الله الثمانية في حياتك ؟**

في وسط هذا الشوط آية 24 (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ....
8 محبوبات مقابل 8 حرمات
المنافق كل همه محبوباته ، إنما الصادق كل همه حرمات الله..

مستفاد من دروس د.حازم شومان

مقاطع السورة

28-1	35-29	37- 36	45-38	66-46	127-67	ثم الخاتمة وفيها حكمة بعثته صلى الله عليه وسلم في العرب وعظيم مكانته فيهم(128-129)
العلاقة بين المسلمين والمشركين	العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب	تحديد الأشهر الحرم وما فيها من أحكام فقهيةوالعودة للحديث عن المشركين	المتثاقلون عن غزوة تبوك وفضح شأنهم	فضح المنافقين	أصناف الناس(مهاجرين-أنصار-أعراب-منافقين-متخلفين – مخلصين)	

لقد كان استعداد المسلمون في وضح النهار، لغزو الروم وسط أراجيف المنافقين، لوضع حد لبقايا الوثنية في نفوس البعض ولقوله صلى الله عليه وسلم (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)، لذا كان افتتاح السورة بإعلان يبث روح القوة في نفوس المؤمنين، ويقذف الرعب والوهن والخوف في قلوب المشركين والمنافقين، وليتم تحديد العلاقة معهم، مع إعطائهم فرصة الأمان (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (6)

إعلان البراءةِ ورد عهودِ الغادرين وقتالهم، مع أخذ الحيطة والحذر منهم، وبيان حقيقة نجس المشركين.

من أنت في هؤلاء؟

1- وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ(100)
الرجال المضحين

2- وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا(102)
المخلطين

3- وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّـهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ(106)
اللي كان وحش و رجع

4- وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا(107)
المنافق نفاق كامل .

مقاطع السورة

29-37	38-45	46-66	67-127	ثم الخاتمة وفيها حكمة بعثته صلى الله عليه وسلم في العرب وعظيم مكانته فيهم(128-129)
العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب	المتثاقلون عن غزوة تبوك وفضح شأنهم	فضح المنافقين	أصناف الناس(مهاجرين-أنصار-أعراب- منافقين-متخلفين – مخلصين)	

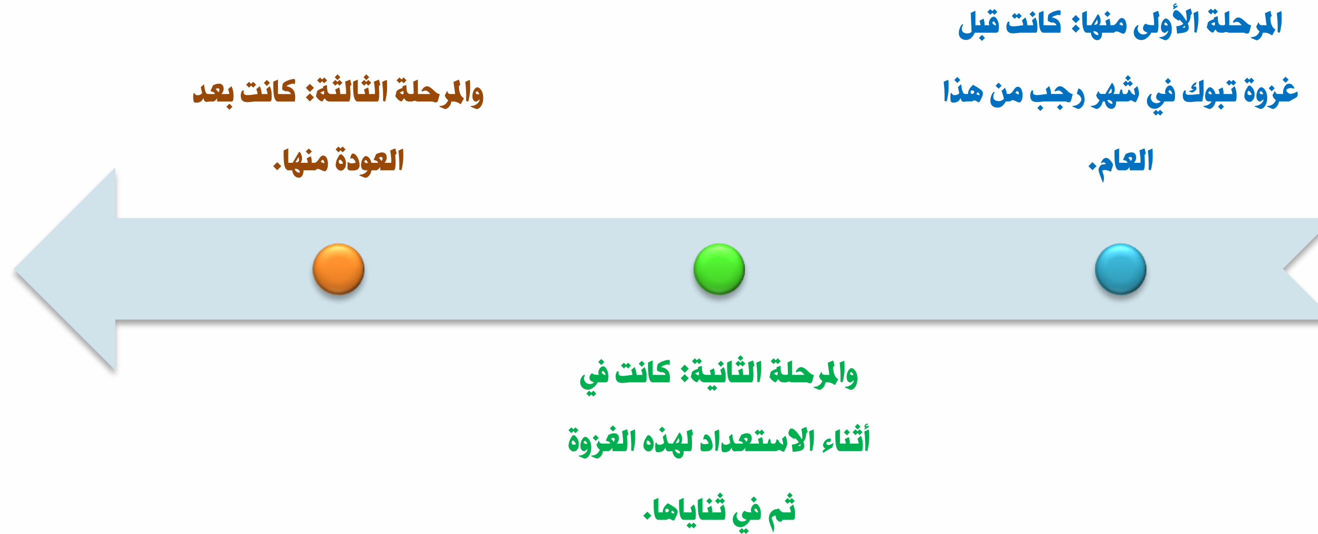
يتضمن (تحديد العلاقة مع أهل الكتاب، وبيان سبب ذلك خطورة اعتقادهم التاريخي والواقعي، ومدى انحرافهم عن ، وبيان خطورة التشبه دينهم، ومحاولين بشتى الوسائل طمس دين الله الذي ارتضاه للناس) بأهل الكتاب، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم) . فكان التحذير شديداً لخطورة العبث بنواميس الكون. فالتحريف هو: (مزاولة للتشريع بغير ما أنزل الله، فهو يضاف إلى الكفر الاعتقادي)

والحديث عن الجهاد وفضله، وبيان خطورة المتثاقلين وقعودهم الذي لا يضر إلا بهم، لأن نصر االله لرسوله ولدينه ليس مرتبطا بنصرة الناس له، وإنما هو ابتلاء من االله وتمحيص.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو،مات على شعبة من النفاق)
والمنافقون هم الأخطر على الأمة، فكان الحديث عنهم أطول مقاطع السورة، وأكثره تناولا لصفات المنافقين وبيان أحوالهم ليضفي على هذا المقطع جوا من الرعب والخوف على كل من تسول له نفسه أن يربط مصيره بمصير الكافرين،
فجو السورة مفعم بالشد والقسوة على أعداء االله، فقد نقل ابن كثير عن علي رضي الله عنه قال: بعث رسول االله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف: سيف للمشركين "فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين كافة" وسيف لكفار أهل الكتاب " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخرولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب" وسيف للمنافقين " جاهد الكفار والمنافقين " وسيف للبغاة " فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله " وهذا يقتضي أنهم يُجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير) مما يبين التشابه الكبير بين المنافقين والكافرين في المعتقد والعمل

وفيه أيضا بيان حقيقة الصفقة وأهمية البيعة مع الله، قال الله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}
فمن بايع ووفى بما بايع فهوالمؤمن الحق الذي تتمثل فيه حقيقة الايمان)وخاصة عندما رسخ لعقيدة الولاء والبراء، بالنهي عن الاستغفار للمشركين، وأن استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه، كان بعلم االله تعالى،فلما تبين لإبراهيم كفر أبيه تبرأ منه. ليكون جو السورة العام بين البراءة والتحذير والوعيد والإمهال والقتل والقتال والجهاد، يتخلل ذلك جو من الرحمة والتودد والسكينة والأمان والطمأنينة الناتجة عن توبة الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا لإتمام فضله وبيان سر رحمته، وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا، بل إن توبته جل في علاه سبقت توبتهم، قال الله تعالى: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)



السورة بجملتها نزلت في العام التاسع من الهجرة. ولكنها لم تنزل دفعة واحدة.
ومع أننا لا نملك الجزم بالمواقيت الدقيقة التي نزلت فيها مقاطع السورة في خلال العام التاسع،
إلا أنه يمكن الترجيح بأنها نزلت في ثلاث مراحل:



أما مقدمات السورة من أولها إلى نهاية الآية الثامنة والعشرين منها، فقد نزلت متأخرة في نهاية السنة التاسعة قبيل موسم الحج من ذي القعدة أو في ذي الحجة.

و سترى في هذه السورة أمراً عجباً من جبرالله لقلوب عباده، سترى كيف جبرالله قلب كعب بن مالك وصاحبيه، وكيف جبر الله قلوب البكّائين، وكيف جبر الله قلب أبي لبابة، وما زال الله يجبر قلوب عباده وهو الجبارالرحيم سبحانه وبحمده.

6-تتحدث السورة عن رجل الهزيمة (صفات المنافقين)
لذلك سميت الفاضحة لأنها تتعامل مع الأمراض الموجودة في شقوق قلبك (النفاق)

من مقاصد السورة:

1-قال ابن عاشور: "افتتحت السورة كما تفتتح العهود وصكوك العقود بأدل كلمة على الغرض الذي يراد منها، كما في قولهم: هذا ما عهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثقين: باع، أو وكَّل، أو تزوَّج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والمواثيق ونحوها".
وبالفعل فإن هذه السورة ابتدأت حديثها بإعلان البراءة من أفعال الكافرين، وأعلنت المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الإيمان وأهل الشرك، وأهل الإسلام وأهل النفاق.

2-رسمُ المنهاجِ الذي يجبُ أن يسلكَه المؤمنون في علاقاتِهم مع المشركينَ، ومعَ أهلِ الكتابِ، ومعَ المنافقينَ .

3- كشفُ الغطاءِ عن المنافقينَ وأصنافِهم وأوصافِهم، وفضحُ أفاعيلِهم في المجتمع المسلم .

3- بيانُ كثيرٍ مِن الأحكامِ والإرشاداتِ التي تحتاجُ إليها الدولةُ الناشئةُ

4-بيان علو مكانة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعناية اللّه تعالى به وحفظه ورعايته وتكريمه وتأديبه وتكميله إياه.
و حظر التخلف عن هديه صلى اللّه عليه وسلم وسنته، والرغبة بالنفس عن نفسه، وبيان أن كل من يصون نفسه عن جهاد وعمل، بذل الرسول صلى اللّه عليه وسلم نفسه فيه، فهو مفضل لنفسه على نفسه الكريمة في عهده، ومن ثم فإنه ينبغي لكل مؤمن أن يتأسى به صلى اللّه عليه وسلم في بذله ماله ونفسه للّه والجهاد في سبيل اللّه بقدر إمكانه.

5- تقرير عدة عقائد من أصول الإيمان، وكمال التوحيد، وحصول اليقين، جُمعت كلها في آية واحدة من هذه السورة، وهي قوله تعالى: {قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللّه لنا هو مولانا وعلى اللّه فليتوكل المؤمنون} (التوبة:51). فالمؤمن يعتقد أن اللّه تعالى هو مولاه الذي يتولى نصره وتوفيقه; فهو بمقتضى إيمانه يتوكل عليه ويفوض أمره إليه.



وقيل أن السورة تتحدث عن :

البلاغ الاخير في سورة التوبة

كشف أحوال الطوائف، بالمفاصلة مع الكافرين، وفضح المنافقين، وتمييز المؤمنين.

صفات بيان من أعرض عن منهج اللّه وجزاؤهم وعقابهم في الدنيا والآخرة

معاداة من أعرض عن اتباع الداعي إلى اللّه في توحيده واتباع مايرضيه, وموالاة من أقبل عليه.

تحديد القانون الأساسي الذي تُشاد عليه دولة الإسلام وإظهار ماكانت عليه نفوس أتباع النبي صلى اللّه عليه وسلم حينما استنفرهم ودعاهم إلى غزوة الروم.

البراءة من المشركين وفتح باب التوبة للجميع

من كتاب دلالة أسماء السور القرآنية
على محاورها وموضوعاتها للدكتور عمر عرفات

سورة التوبة

سورة الدعوة إلى التوبة من المخالفات المتعلقة بالجهاد الذي ينبغي أن يتخذ سبيلاً للدفاع عن الدين ونشره

الموضوع الأول: (الآيات ١-١٥)

المقدّمة التي تدعو إلى المفاصلة العقدية بين أمة الإسلام وبين المشركين:

- افتتحت السورة بإعلان براءة الله ورسوله من المشركين.
- وجاء فيها تربية للمؤمنين على مبدأ جهاد أعداء الله إن أصرّوا على كفرهم، ولم يتوبوا إلى خالقهم: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

الموضوع الثاني: (الآيات: ١٦-٢٨)

توجيهات تربوية للمؤمنين مع ذكر بعض مخالفات غزوة حنين:

- دعت السورة إلى اعتماد مبدأ الجهاد لنشر الدين: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.
- وبيّنت أن الجهاد في سبيل الله أعظم عند الله من سقاية الحاجّ وسدانة البيت: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.
- أما فيما يتعلّق بغزوة حنين فقد بيّن السياق أن الذي نصر المسلمين في ذلك اليوم هو الله، وليس كثرتهم التي أعجبتهم.
- وقد بقي الباب مفتوحاً للتوبة من تلك المخالفات: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

الموضوع الثالث: (الآيات: ٢٩-٣٧)

التحذير من أعمال تستوجب التوبة متعلّقة بأهل الكتاب والمشركين:

- دعت السورة إلى قتالهم لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.
- بيّن السياق زيف عقائد اليهود والنصارى حينما زعموا أن عُزيراً وعيسى ابن مريم أبناء الله تعالى، وبيّن أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأنهم يريدون إطفاء نور الله بأفواههم، وأن كثيراً من أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله.
- وبيّن السياق أن المشركين يتلاعبون في تقديم الأشهر الحرم وتأخيرها ليبيحوا لأنفسهم القتال، وقد أمرت السورة بقتالهم كافة كما هم يقاتلون المؤمنين كافة: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

الموضوع الرابع: (الآيات: ٣٨-١١٠).

توجيهات تربوية للمؤمنين مع ذكر بعض مخالفاتهم ومخالفات المنافقين والأعراب في غزوة تبوك:

- حذّر السياق المؤمنين من التثاقل عن النفير في سبيل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.
- وحذّر من تفضيل الدنيا ومتاعها على الجهاد.
- وعاتب النبيّ ﷺ على قبول أعذار المنافقين الكاذبة عن القتال.
- وبيّن أنهم كرهوا تقديم النفقات لتجهيز الجيش، وكانوا يلمزون المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات، وتلفظوا بألفاظ في حقّ النبيّ ﷺ تنمّ على عدم إيمانهم.
- أمر السياق بجهاد الكفار والمنافقين إذا لم يتوبوا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.
- وبيّن أن من الأعراب مَن يكرهون أيضاً الخروج للقتال، ويؤثرون راحة الدنيا وأنهم أشد كفراً ونفاقاً.

الموضوع الخامس: (الآيات: ١١١-١٢٩)

الخاتمة المؤكّدة لما سبق:

- أعادت التذكير بالدعوة إلى اعتماد الجهاد منهجاً للحفاظ على دين الله ونشره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.
- وأعادت التذكير بالمفاصلة العقدية بين المؤمنين والمشركين.
- وفيها امتنان من الله على الرسول ﷺ وعلى المؤمنين الذين وقع منهم مخالفات في غزوة تبوك: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾... ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾.

- وكما افتتحت السورة ببيان براءة الله ورسوله ﷺ من المشركين الحائدين عن منهج الله، وأمر المؤمنين بالتزام الجهاد للحفاظ على الدين، ختمت بدعوة المؤمنين إلى موالاة الله ورسوله ﷺ وأن لا يكونوا كالمشركين الصادّين عن دين الله، أو كالمنافقين المتنصّلين من نصرة دينه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

من كتاب دلالة أسماء السور القرآنية
على محاورها وموضوعاتها للدكتور عمر عرفات

لقد تكرر ذكر لفظة "التوبة" في السورة سبعة عشر مرة،

أي أكثر من أي سورة أخرى

وبالتالي فإن جو السورة العام هو التوبة والرحمة والر أفة والعفو والصفح، وأن ديننا خير محض، مع أن بدايتها شديدة على المشركين عموما، إلا أنها ختمت بأروع الآيات وأحسنها، بقوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118).ففضل الله علينا أن أخرج العباد من الظلمات إلى النور، ومن الذنب والمعصية إلى حب التوبة والاستغفار، ثم أثنى على صدق توبتهم، بخطاب الله تعالى إلى عموم المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين.

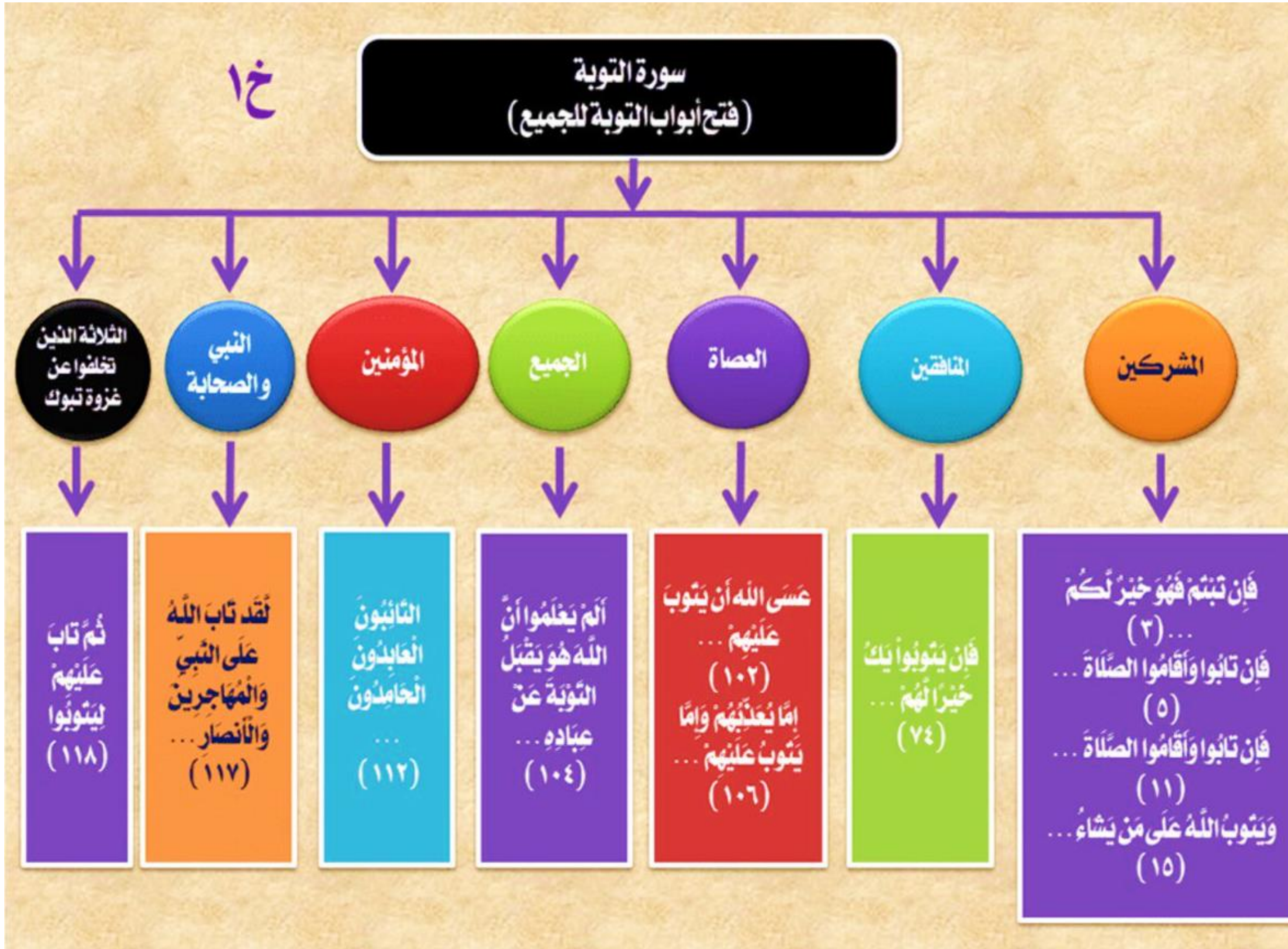
فسبحان الذي سبقت توبته توبة المستغفرين، فنقلهم من حب الذنوب إلى حب الاستغفار والتوبة، ومن كراهية الطاعات إلى محبتها، وهذا كله بفضل الله تعالى.

إن قسوة البراءة وتهديد المشركين ومن لف لفهم، والإذن بقتالهم، هو بداية التوبة عليهم، وصفحة بيضاء يدخل العصاة من خلالها إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، ومن الذنب إلى الاستغفار كي يتوبوا، وقد كان مع كثير منهم.

فالجهاد والقتال على قسوته وكثرة جراحه، إلا أنه الدواء الشافي والبلسم الصافي لبتر كل ما هو فاسد، وفضل الله بتوبته دون استثناء للجميع، مهما اشتدت عداوتهم وعظمت

ذنوبهم، فباب التوبة للتائب مفتوح، قال الله تعالى: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17)}

، ودعوته جل في علاه قائمة ما دامت السموات والأرض، فلا يقنط من رحمته أحد مهما عظم الذنب وكبرت الخطيئة، إلا من كفرومات على الكفر، قال الله تعالى:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ. (الزمر:٥٣)



الْمَقَاصِدُ الإِجْمَالِيَّةُ لِسُورَةِ التَّوْبَةِ

أَوَّلًا: نَقْضُ عُهُودِ مَنْ نَقَضُوا العَهْدَ

عرضت السورة إلى عهود المشركين فوضعت لها حدًّا، وقطعت الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأساس لقبول بعض أهل الكتاب في جزيرة العرب، وذلك في مثل قوله تعالى ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ الآية: ٢٩] فجعلت الآية دفع الجزية مشروطا بذلك.

وألغت السورة العهود والمواثيق التي كانت بين الرسول ﷺ وبين اليهود، فليس من الحكمة أن يحتفظ الإسلام بعهود قوم نكثوها مرات ومرات؛ ومن ذلك عهد المشركين الذي أبرموه عام الحديبية مع رسول الله ﷺ ولم يلتزموا بما فيه.

وفي أثناء تأديب المعتدين يظهر أقوام لا يريدون قتالًا، ولا يفكرون فيه، فيأمر الإسلام بتأمينهم وطمأنتهم وإعادتهم سالمين إلى أرضهم ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ التوبة: [٦] وسماع كلام الله يتحقق بكل وسيلة من وسائل الدعوة والإسلام.

لقد أعطى الإسلام المشركين مهلة قدرها أربعة أشهر؛ ليرجعوا عن خطيئتهم، وأفهمَهم أن ذلك ليس عن ضعف، فلا تنخدعوا بقوتكم المزعومة؛ فإن الغدر له عواقب وخيمة، فكيف تُحفظ عهودهم، وهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة؟! ولذا لزم تأديبهم ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [١٢]، وهم قوم نكثوا أيمانهم وهمُّوا بإخراج الرسول، وبدؤوا بالغدر والخيانة، وأساؤوا للمسلمين مدة طويلة، تقترب من ربع قرن، وألحقوا بهم إهانات وجراحات، وملؤوا صدورهم غيظًا وحنقًا عليهم.

لقد عاملهم الإسلام خلال اثنتين وعشرين سنة بأرحم ما يعامَل به البشر، وإزاء خيانتهم ونقضهم للعهود لم يكن بدٌّ من إعلان البراءة منهم، ونبذ عهودهم، وإمهالهم مدة ينتهي فيها وقت الأمان، مع بيان الأسباب التي دعت إلى البراءة منهم ووجوب قتالهم، ومن ثَمَّ حرَّضت المؤمنين على قتالهم، وبيَّنت أنهم لا يحق لهم عمارة بيوت الله، ولا دخول حرم الله الآمن.

ووجهت السورة إلى ترك محبتهم، وبيَّنت أن من يقدِّم محبة الدنيا بما فيها ومن فيها على الجهاد في سبيل الله؛ فإن عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة.

وقد نعت السورة على المتكاسلين عن الجهاد وحذَّرتهم من سوء العاقبة: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ التوبة.

ثَانِيًا: مُعَامَلَةُ أَهْلِ الكِتَابِ:

وبعد الهجرة إلى المدينة خاض المسلمون مع أعدائهم نحو ثلاثين غزوة وسَرِيَّة، فكم بلغت خسائر الأعداء في هذه المعارك؟ إنها لا تبلغ عُشر معشار مذبحة قانا، أو صبرا وشاتيلا، أو البوسنة والهرسك، أو العراق، أو فلسطين، أو أفغانستان، أو الجمهوريات الإسلامية تحت الحكم الشيوعي، أو ...، أو ... لم يُقتل من الأعداء في معارك الإسلام أكثر من مئتي قتيل، فإذا أضفنا إليهم يهود بني قريظة فإنهم لم يبلغوا الألف في تاريخ الغزوات، والسرايا النبوية.

والفتوحات العُمريَّة في مصر والشام والعراق كانت في مواجهة احتلال دولتي الفرس والروم لهذه البلاد لتحرير شعوبها من الذل والاستغلال، حتى قضى الإسلام على نفوذ هاتين الدولتين في تلك البلاد وغيرها.

وكان الرومان قد أوصدوا باب الدعوة في شمال الجزيرة.

والإسلام لا يعترض طريق الآخرين الذين لم يعترضوا طريقه، ولا طريق الذين سالموكم ولم يقاتلوكم ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

والجزية لم تُفرض على مُحايد ترَكَ قتال المسلمين، ولم تُفرض على من انخرط في الجيوش التي تحمي الوطن، وشاركت في أمن البلاد والدفاع عنها، وإن كان مختلفًا في عقيدته، وإنما فرضت الجزية عليهم مقابل حمايتهم والدفاع عنهم وانتفاعهم بالأمن والأمان في بلاد المسلمين، وعدم مشاركتهم للمسلمين في الدفاع عن الوطن، فإن فعلوا ذلك فلا جزية عليهم.

ومحمد ﷺ قد بُعث هاديًا، ولم يُبعث جابيًا، ولذا فقد نَضَبت موارد الخزانة من طريق الجزية لكثرة من دخلوا في دين الله من مصر وخراسان وأقطار أخرى، ولم يبقَ للجزية وجود، كما هو الحال في شأن الأرقّاء.

وكما انتهت الوثنية في الجزيرة فقد خرج اليهود من آخر معاقلهم في خيبر سنة سبع من الهجرة، وجاء وفود النصارى إلى المدينة يستمعون إلى الوحي الجديد، فأسلم بعضهم وانشرح صدره، ومنهم من لم يُسلم، حتى طلب النبي ﷺ منهم المباهلة فأبوا ودفعوا الجزية.

ومع أن الإسلام كان الصوت الوحيد الذي بشّر بنصر الروم على الفرس مرة أخرى بعد هزيمتهم، وأنه أمر المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة، فقد كان الإسلام واضحًا كل الوضوح في إنكار التثليث، ورفض ألوهية عيسى أو بنوّته، واعتبر عيسى وأمه وجبريل من عباد الله الصالحين، مع التأكيد على نبوة عيسى عليه السلام.

وكان مما نزل من ذلك في سورة براءة ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾.

ثَالِثًا: الكَشْفُ عَنْ نَوَايَا المُنَافِقِينَ:

فقد فضحت السورة المنافقين وأخزتْهم، وأظهرتْ ما تنطوي عليه نفوسهم، وبيَّنت مسالكهم الخبيثة، وصفاتهم الذميمة في مجالات كثيرة، منها:

١- الفرار من مواطن الجد والجهاد، والتعلل بالأعذار الكاذبة، والتستر بالأيمان الفاجرة، كقوله تعالى عنهم: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [٤٢]

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [٤٩]

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [٨١].

٢- إشاعة الفتنة بين صفوف المجاهدين متى وُجدوا، وأينما حلُّوا ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [٤٧].

٣- محبة السوء للمسلمين، وكراهية الخير لهم ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [٥].

٤- التظاهر بالإسلام تَقِيَّة وجُبْنًا عن التصريح بالكفر ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ [٥٦].

٥- طعْنهم في جناب النبي ﷺ عند قسمة الأموال، وتوزيع الصدقات لإشاعة التهم الباطلة ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [٥٨].

٦- وصْفهم للرسول ﷺ بأنه يستمع إلى كل ما يقال له دون تثبُّت ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [٦١].

٧- استهزاؤهم بالإسلام وأهله، واعتذارهم بأنهم لم يكونوا جادين ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [٦٥].

٨- سخْريتهم من فقراء المسلمين الذين يتصدَّقون بما لديهم من القليل ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [٧٩].

٩- نقْضهم للعهد، وبخلهم بالمال، قال تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [٧٥، ٧٦]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [٥٣].

١٠- خداع المسلمين للإضرار بهم، والتفريق بينهم في إقامة مسجد الضرار وغيره. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: ١٠٧]

وهكذا رسمت السورة المنهج الذي يسير عليه المسلمون مع غيرهم في الداخل والخارج، إلى جوار الحديث عن الزكاة ومصارفها، وقصة الثلاثة الذين خُلِّفوا، والكلام عن الأشهر الحرم، والتأخير والتقديم فيها، ووجوب طلب العلم.

ثم تحدثت السورة قُرب نهايتها عن المؤمنين الصادقين الذين باعوا أنفسهم لله بجنة عرضها السموات والأرض، وأمرتْهم ألا يستغفروا للمشركين، وأن يكابدوا الشدائد في جهاد الأعداء، وحكمتْ على المتخلفين عن الغزو في سبيل الله، فمنهم المنافقون، ومنهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، ومنهم المرجَوْن لأمر الله.

وخُتمت السورة بالثناء على رسول الله ﷺ فوصفتْهُ بالرأفة والرحمة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

من كتاب محتويات سور القرآن الكريم

إن وجه الصلة والترابط بين سورتي الأنفال والتوبة، جعل بعض الصحابة يظنون أنهما سورة واحدة، والحق أن الذي يقرأ السورتين بتأمل وتدبر يراهما تعطيانه ما يشبه أن يكون صورة تاريخية مجملة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده إلى أن أتم الله له نعمة النصر.

قال الآلوسي: ووجه مناسبتها للأنفال أن في الأولى **قسمة الغنائم** وجعل خمسها لخمسة أصناف على ما علمت، وفي هذه **قسمة الصدقات** وجعلها لثمانية أصناف على ما ستعلم إن شاء الله.

وفي الأولى- أيضا- ذكر العهود وهنا نبذها. وأنه- سبحانه- **أمر في الأولى بالإعداد فقال:** وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ونعى هنا على المنافقين عدم الإعداد بقوله: وَلَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً.

وأنه- سبحانه- ختم الأولى بإيجاب أن يوالى المؤمنون بعضهم بعضا وأن يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية، وصرح- جل شأنه- **في هذه بهذا المعنى فقال:** بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ...

فقد تناولتا الجهاد والغزوات والمنافقين (فهي كالمتممة لسورة الأنفال في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه والسنن الإلهية والتشريع)، فسورة الأنفال في أغلبها تحذر من المشركين وتمهد للتبرؤ منهم وتدعو لذلك ممن يخشى نقضه للعهود، قال الله تعالى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ} (الأنفال:57 - 58) ، وجاءت التوبة من بدايتها تعلن البراءة من المشركين وترد عهدهم بسبب غدرهم.

- ذكر بعض صفات المشركين في "الأنفال" ، أتبعت في "التوبة" بعض صفات المشركين وأهل الكتاب والمنافقين،
من نقض للعهد، والتولي بعد العلم، وغيرها الكثير من الصفات التي اتسم بها المشركون والمنافقون، يقول البقاعي: وأن هذه الصفات ليست خاصة بالمخاطبين بل هي عامة لكل من اتصف بصفتهم، فمدار خيانتهم على الوصف فقال: {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ} أي قرابة وأصلا جيدا ثابتا، {وَلَا ذِمَّةً} أي عهدا أكيدا .



جاء صدر سورة التوبة شارحا ومفصلا لآخر الأنفال وخاصة في قوله تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ * وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ} (الأنفال:58 - 59) . فالله لا يحب الخائنين، ومبعدون من رحمته؛ لأنهم كذبوا من صدقهم، وخانوا من أمَّنهم، وغدروا من عاهدهم، ونقضوا العهد، فاستحقوا لواء الغدر يوم القيامة، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة) ، ومن ينقض العهد ليس له إلا الحرب في الدنيا والآخرة، كما قال محمد رشيد رضا، في تفسيره لهذه الآية: **(لأن نقض العهد يكون بالحرب أو ما يقتضيها ويستلزمها، وذلك من أنباء الغيب)** ، فكان صدر سورة التوبة براءة الله منهم وإيذان بحربهم، وأنهم لا يعجزون الله في شيء، وسيسلط عليهم في ذلك أولياءه.

في "الأنفال" رغب تعالى **بالإنفاق والصدقات** فقال: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} **(الأنفال:3)** ، وقال: { .. وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} **(الأنفال:60)** ، وفي "التوبة" تحدث عن فريضة الزكاة وحدد مصارفها الثمانية ، فقال: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} **(التوبة:60)** .

- تحدثت سورة الأنفال عن صدِّ المشركين عن المسجد الحرام، قال الله تعالى: {وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} (الأنفال:34) ، وفي التوبة تحدثت عن منع المشركين أن يعمروا مساجد الله نتيجة صدهم عن البيت الحرام، يقول ابن كثير: (ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، وقال في التوبة: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} (التوبة:18) ، فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد) ، فكان المقصد من عمارة المساجد سلامتها من الشرك، وعمارتها بالإيمان.

- كان ختام سورة الأنفال أن وعد الله المؤمنين بالمغفرة، لأنهم يتصفون بالإيمان، وما يشمله من أعمال عظيمة كالهجرة والجهاد في سبيل الله وما يصاحبهما من ولاء ونصرة للمؤمنين، وما أعدَّ الله لهم من الرزق الكريم، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (الأنفال:74) ، وفي ختام سورة التوبة يصف المؤمنين الصادقين الذين (أوقعوا الإيمان حقيقة لصحة أمزجة قلوبهم) ، فتزداد طاعاتهم لله بسرعة امتثال أوامر الله تعالى، فيستبشرون بما غفر الله لهم وما أعد لهم من رزق كريم، قال الله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (التوبة:124) .

- تناولت سورة الأنفال موضوع الجهاد وبيان فضله على المجاهدين فيه، ودعوة العباد للجهاد لإحقاق الحق ودمغ الباطل، قال تعالى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ*لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} (الأنفال:7 - 8) ، ليبين المقصد العظيم من الجهاد، لذلك حث عليه، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (الأنفال:24) ، ليتبين أيضا أن الجهاد سبب أصيل في الحياة الكريمة العزيزة، يقول البقاعي: (أي ينقلكم بعز الإيمان والعلم عن حال الكفرة من الصم والبكم وعدم العقل الذي هو الموت المعنوي إلى الحياة المعنوية) ، وفي سورة التوبة يأمر عباده المؤمنين بقتال الكافرين وجهادهم، لإبطال باطلهم ليعذبهم ويخزيهم، ويشف صدور المؤمنين وإحقاق الحق بانتصار المؤمنين عليهم، قال الله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} (التوبة:14) ، ثم يبين المقصد الجهادي والأثر النفسي والتربوي على الكافرين، قال الله تعالى: {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (التوبة:15)

- تناولت "الأنفال" الفتنة أي البلاء والعذاب {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الأنفال:25) ، يقول البقاعي: (واتقوا فتنة) أي بلاء مميلا محيلا إن لا تتقوه يعمُّكم) ، وتناولت موضوع الفتنة بمعنى الشرك والكفر، قال الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الأنفال:39) ، يقول الإمام ابن الجوزي في تفسير هذه الآية (وقوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي: شرك. وقال الزجاج: حتى لا يفتن الناس فتنة كفر؛ ويدل عليه قوله تعالى: {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّه لِلَّهِ} . وتناولت سورة التوبة الفتنة بمعنى البلاء، قال الله تعالى: {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (التوبة:47) ، يقول ابن عباس - *رضي الله عنه* - في: {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} يطلبون فيكم الشر والفساد والذلة والعيب . من هذه التفاسير اللغوية والموضوعية، خطورة الفتنة بتعدد معانيها المهلكة، ولذلك حذَّر الله تعالى منها، وحذَّر المؤمنين أن تكون مقصداً لهم من أي طريق لها.

المقطع الأول:

تحديد العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين(28-1)

الحض على مقاطعة المشركين وقتالهم

بـدأت سـورة الـتوبة بتحديد العلاقات النهائية بين المجتمع الاسلامي والمشـركين بشكل عام في الجزيرة العربية مع إبراز حقيقة العقيدة الاسلامية التـي يقـوم عليها هذا التحديد بالأسلوب القرآني ، وامتد هذا المقطع من بداية السـورة حـتى نهاية الآية الثامنة والعشرين ، حضت فيه الآيات على مقاطعة المشركين وقتالهم وفق ما يلي :

1- تقرير الـبراءة من المشركين ورفـع العصمة عن أموالهم وأنفسهم . قال تعالى : (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)(التوبة: 1) .

2- منحهم هدنة مقدارها أربعة شهور حتى يتهيئوا للدخول في الإسلام أو إعلان الحـرب عليهم . قال تعالى : (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلمواأنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين) (التوبة:2)

3- إعلام الناس جميعاً يوم الحج الأكبر بهذه البراءة . قال تعالى : (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ... » (التوبة: 3) .

4- إتمام مدة العهد لمن حافظ منهم على العهد طالما أنهم ملتزمون بما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ . قال تعالى : (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين) (التوبة:4)

5- بيان ما يعاملون به. بعد انتهاء أمد الهدنة أو مدة العهد . قال تعالى : فاذا انسلخ الأشـهر الحـرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) (التوبة:5)

6- تأمين المستجير حتى يسمع كلام الله . قال تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجرة حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ...) (التوبة: 6)

7- بيان الأسباب التي أوجبت البراءة منهم وصدور الأمر بقتالهم ، قال تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ...) (التوبة:8-16) .

8- إزالـة وسـاوس قـد يخطـر في بعض النفوس أنهـا تبرر مسالمة المشركين . قـال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد شـاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النـار هـم خالدون ...) (التوبة:17-19) .

9- حـض المسلمين على قتال المشركين ومقاطعتهم في الجزيرة العربية . قال تعالى : (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) (التوبة:14) .

10- وصف المشركين بأنهم نجس ولا يجوز لهم الدخول في بيت الله الحرام . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ...) (التوبة: 28) .

المقطع الأول: تحديد العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين(1-28)



١→(٣)→٣

البراءة من المشركين، وإعلان بنهاية العهود التي كانت بينهم وبين المسلمين لما نقضوها، ومنحهم مهلة أمان أربعة أشهر.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
1	وَأَوَّلُ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهَمَّ بِالْحَجِّ، ثُمَّ ذُكِرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَحْضُرُونَ عَامَهُمْ هَذَا الْمَوْسِمَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً فَكَرِهَ مُخَالَطَتَهُمْ، فَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمِيرًا عَلَى الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةَ، لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ مَنَاسِكَهُمْ، وَيُعْلِمَ الْمُشْرِكِينَ أَلَّا يَحُجُّوا بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا، وَأَنْ يُنَادِيَ فِي النَّاسِ بِبَرَاءَةٍ، فَلَمَّا قَفَلَ أَتْبَعَهُ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِيَكُونَ مُبَلِّغًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِكَوْنِهِ عَصَبَةً لَهُ.-ابن كثير-
2	**ثم بين المهلة التي منحها - سبحانه - للمشركين ليدبروا فيها أمرهم.** *ثم بين - سبحانه - أن هذا الإمهال للمشركين لن ينجيهم من إنزال العقوبة بهم متى استمروا على كفرهم فقال - تعالى - : ﴿ واعلموا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي الله وَأَنَّ الله مُخْزِي الكافرين ﴾.

المقصودُ من قَوله تعالى: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أمورٌ:

- **الأولُ:** أن يتفكَّروا لأنفُسِهم ويَحتاطوا في هذا الأمر.
- **والثاني:** لئَلَّا يُنسَب المُسلِمونَ إلى نَكثِ العَهدِ.
- **والثالث:** أراد اللَّهُ أن يعُمَّ جميعَ المُشركينَ بالجهادِ، فعَمَّ الكُلَّ بالبراءةِ، وأجَّلَهم أربعةَ أشهُرٍ؛ وذلك لقُوَّةِ الإسلامِ، وتخويفِ الكُفَّارِ، ولا يصِحُّ ذلك إلَّا بنَقضِ العُهودِ.
- **والرابع:** أراد النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يحُجَّ في السَّنةِ الآتيةِ، فأمَر بإظهارِ هذه البَراءةِ؛ لئَلَّا يُشاهِدَ العُراةَ.

تفسير السعدي:

أي: **هذه براءة من اللّه ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين**، أن لهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، **وبعد الأربعة الأشهر فلا عهد لهم، ولا ميثاق. وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل**، **أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر**، فإن اللّه يتعين أن يتمم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد.

ثم أنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا اللّه ولن يفوتوه، و أنه من استمر منهم على شركه فإنه لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد اللّه له.

وقفات ولطائف:

*قولُه: **بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ فيه إيثارُ الجُملةِ الاسميَّةِ على الفِعليَّةِ**- فلم يُعبَّر بالجُملةِ الفِعليَّةِ، كأنْ يُقال: (قد بَرِئَ اللهُ ورسولُه من الذين .. أو نحوُ ذلك)-؛ للدَّلالةِ على دَوامِ هذه البَراءةِ واستمرارِها

قَوله تعالى: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ

- قولُه: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ فيه تلوينُ الخِطابِ بصَرْفه عن المُسلِمينَ، وتوجيهِ إلى المُشرِكينَ مع حُصولِ المقصودِ بصِيغةِ أمْرِ الغائبِ (فَلْيَسيحوا) أيضًا؛ للمُبالغةِ في الإعلامِ بالإمهالِ حسْمًا لمادةِ تَعلُّلِهم بالغفلةِ، وقطعًا لشأفةِ اعْتِذارِهم بعدمِ الاستعدادِ ، وهو التفاتٌ من غَيْبة إلى خطابٍ، وفي ضِمنِه تهديدٌ

فسيحوا:أي: سيروا فيها مقبلين ومدبرين حيث شئتم و أنتم آمنون في هذه المدة.

وفي التعبير بقوله فَسِيحُوا من الدلالة على كمال التوسعة، ما ليس في قوله سِيرُوا أو ما يشبهه، لأن لفظ السياحة يدل على الاتساع في السير والبعد عن المدن، وعن موضع العمارة.

- قولُه: وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ فيه وضْعُ الاسمِ الجَليلِ موضِعَ المُضمَرِ- حيثُ لم يَقُلْ: (وأنَّه)-؛ لتربيةِ المَهابةِ، وتَهويلِ أمْرِ الإخزاءِ، وهو الإذلالُ بما فيه فضيحةٌ وعارٌ، و إيثارُ الإظهارِ على الإضمارِ أيضًا في قولِه: مُخْزِي الْكَافِرِينَ- حيث لم يَقُلْ: (وأنَّ اللهَ مُخْزِيكم)-؛ لذمِّهم بالكفرِ بعدَ وصْفِهم بالإشراكِ، والإشعارِ بأنَّ عِلَّةَ الإخزاءِ هي كُفرُهم

مخزي الكافرين" لو قال: يخزي لأفاد أنهم قد يكونون في وقت ما في غير خزي ولكنه جاء بالاسم ليدل على أن الخزي لازم لهم في كل حين.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

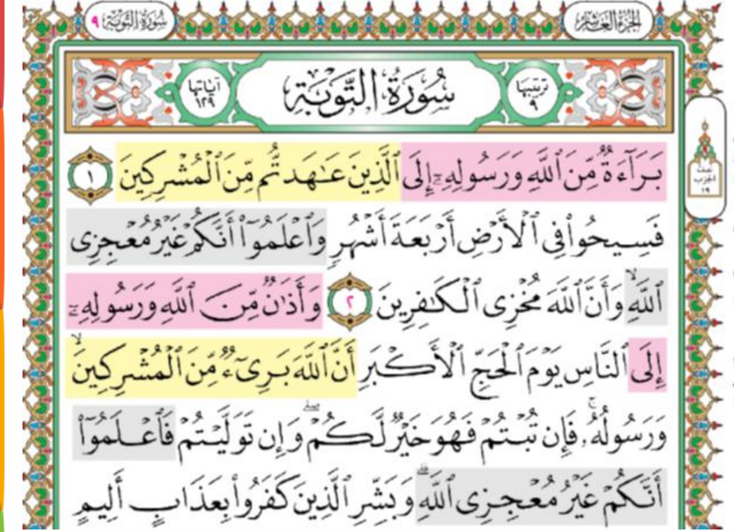
1-لا ينبغي لمؤمنٍ أن يبقى على صلةٍ مع قوم برئَ اللّهُ منهم ورسولُه، ألا تراه افتتح السورةَ بالبراءة، ثم أكَّدها مرَّة أخرى؟!

البراءة لا تكونُ من الشِّرك وحدَه، بل من حمَلته كذلك من المشركين، قاصيهم ودانيهم.

2-الإسلام بابُ رحمةٍ وهداية، يتيح للمشركين مهلةً للتروِّي، ويرغِّبهم في التوبة عن الشِّرك، ويرهِّبُهم من التولِّي عن الهدى، وييئِّسُهم من جدوى الضلال الذي يعيشون فيه.

فليطمئنَّ المؤمنون بأن اللّهَ مخزي الكافرين لا محالة، وأن الذين يتولَّون عن اللّه فلن يُعجزوه، ولن يُفلتوا من عذابه المُهين.

قرآنا عجبا



١→(٣)←٣

البـــــراءة مـــن المشركين، وإعلان بنهاية العهود التي كانت بينهم وبين المسلمين لمّا نقضوها، ومنحهم مهلة أمان أربعة أشهر.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
3	**ثم بين- سبحانه- بعد ذلك الموعد الذي تعلن فيه هذه البراءة من المشركين حتى لا يكون لهم عذر بعد هذا الإعلان** واختيريوم الحج الأكبرلهذا الإعلام، لأنه اليوم الذي يضم أكبرعدد من الناس يمكن أن يذاع الخبرعن طريقهم في جميع أنحاء البلاد. *ثم أكد ما يجب أن يبلّغوه بلا تأخيربقوله: (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)

تفسير السعدي:

هذا ما وعد الله به المؤمنين، من نصر دينه وإعلاء كلمته، وخذلان أعدائهم من المشركين الذين أخرجوا الرسول ومن معه من مكة، من بيت الله الحرام، وأجلوهم، مما لهم التسلط عليه من أرض الحجاز. نصرالله رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار. فأمر النبي مؤذنه أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بريء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، **وكان ذلك سنة تسع من الهجرة**. وحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة - يوم النحر- ابن عم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه. **ثم رغب تعالى المشركين بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك** فقال: ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: فائتيه، بل أنتم في قبضته، قادر أن يسلط عليكم عباده المؤمنين.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: مؤلم مفظع في الدنيا بالقتل والأسر، والجلاء، وفي الآخرة، بالنار، وبئس القرار.

وقفات ولطائف:

﴿يوم الحج الأكبر﴾

أي: يوم عرفة أو يوم النحر على اختلاف وأسند القرطبي إلى أبي داود أن رسول الله ﷺ سأل الناس في يوم النحر: ((أي يوم هذا؟)) فقالوا: يوم النحر فقال: ((هذا يوم الحج الأكبر)) تفسير القرطبي

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾

وهذا أمر للمسلمين بأن يأذنوا المشركين بهذه البراءة؛ لئلا يكونوا غادرين. ابن عاشور

قولُ الله تعالى: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ليس تَكرارًا لِقَولِه السَّابِق: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وذلك مِن وُجوه:

الوجهُ الأوَّلُ: أنَّ المَقصودَ مِن الكلامِ الأوَّلِ الإخبارُ بثُبوتِ البَراءةِ. والمقصودُ مِن هذا الكَلامِ إعلامُ جَميعِ النَّاسِ بما حصَلَ وثَبَت.

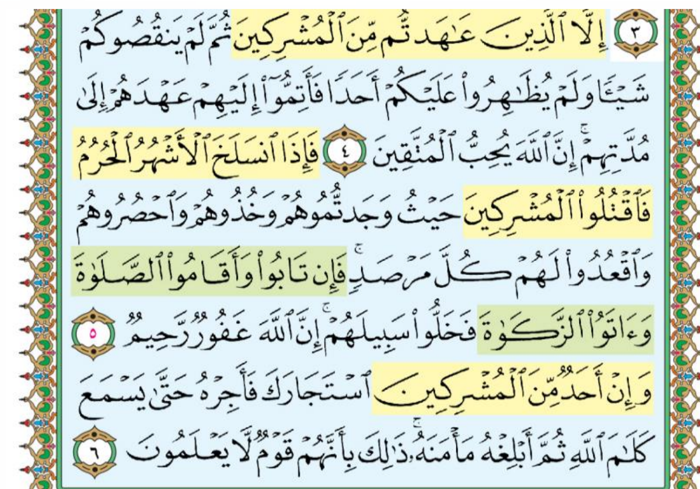
الوجهُ الثَّاني: أنَّ المُرادَ مِن الكلامِ الأوَّلِ البَراءةُ مِن العَهدِ. ومِن الكلامِ الثَّاني البراءةُ التي هي نقيضُ المُوالاةِ الجاريةِ مَجرى الزَّجرِ والوَعيدِ، والذي يدلُّ على حصولِ هذا الفَرقِ أنَّ في البراءةِ الأولى: بَريءٌ إليهم، وفي الثَّانية: بَريءٌ منهم.

الوجهُ الثَّالِثُ: أنَّه تعالى في الكَلامِ الأوَّلِ أظهَرَ البراءةَ مِن المشركينَ الذين عاهَدُوا ونَقَضوا العَهدَ، وفي هذه الآيةِ أظهَرَ البراءةَ من المُشركينَ مِن غيرِ أنْ يصِفَهم بوصفٍ مُعَيَّنٍ؛ تنبيهًا على أنَّ المُوجِبَ لِهذه البراءةِ كُفرُهم وشِركُهم.

قَولُ اللَّهِ تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ جاء بَعدَه قَولُه تعالى: فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وليس بتَكرارٍ؛ لأنَّ الأوَّلَ للمَكانِ، والثَّاني للزَّمانِ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- إذا قضى الله تعالى أمرًا فلا يتردَّد فيه مسلمٌ ولا يتهيَّب، ولا يتحرَّج من الإعلان به، وقَبول ما يحتويه، والعمل بما فيه.
- لا يأمننَّ عاصٍ عقابَ الله وإن أمهله، ولا يظننَّ أن تدبيره يُخرجُه من قبضة الحقِّ؛ فإن الله لا يُعجزُه شيء.



٤←(٣)→٦

لَمَّا أعلَمَهم اللهُ بنهايةِ العهودِ استثنى هنا الذين لهم عهدٌ محدَّدٌ بمدَّةٍ، ولم يخونوا هذا العهدَ، فإذا انتهتْ مهلةُ الأمانِ وجبَ قتالُ المشركينَ في أي مكانٍ وُجِدُوا، لكن لو طلبَ أحدُهم أن يسمعَ كلامَ اللهِ يُجابُ إلى طلبِه.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
4	**لَمَّا أعلَمَهمُ اللّهُ تعالى بالبَراءةِ**، وبالوَقتِ الذي يؤذَّنُ بها فيه، وكان معنى البَراءةِ منهم أنَّه لا عَهدَ لهم؛ **استثنى بعضَ المُعاهَدينَ**.-البقاعي- *فالآية الكريمة تدل على أن المراد بالمشركين الذين تبرأ الله ورسوله منهم وأعطوا مهلة الأربعة الأشهر، هم أولئك الذين عرفوا بنقض العهود. أما الذين عاهدوا ووفوهم بعهودهم، فإن هؤلاء يجب إتمام عهدهم إلى مدتهم وفاء بوفاء، وكرامة بكرامة.

تفسير السعدي:

4-أي هذه البراءة التامة المطلقة من جميع المشركين. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ واستمروا على عهدهم، ولم يجر منهم ما يوجب النقض، فلا نقصوكم شيئًا، ولا عاونوا عليكم أحدا، فهؤلاء أتموا لهم عهدهم إلى مدتهم، قَلَّتْ، أوكثرت، لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة و إنما يأمر بالوفاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين أدوا ما أمروا به، و اتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي.

وقفات ولطائف:

س:ماهو الفرق بين الذمي والمعاهد والمستأمن؟

والنفس المحرمة أربعة أنفس، هي:
نفس المؤمن،والذمي،والمعاهد،والمستأمن؛ بكسر الميم: طالب الأمان.
-الذمي :هو الذي بيننا وبينه ذمة؛ أي: عهد على أن يقيم في بلادنا معصوما مع بذل الجزية.
-وأما المعاهد؛ فيقيم في بلاده، لكن بيننا وبينه عهد أن لا يحاربنا ولا نحاربه.
-وأما المستأمن؛ فهو الذي ليس بيننا وبينه ذمة ولا عهد، لكننا أمناه في وقت محدد؛ كرجل حربي دخل إلينا بأمان للتجارة ونحوها، أو ليفهم الإسلام، قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} [التوبة: 6] ،،لكنها ليست على حد سواء في التحريم؛ فنفس المؤمن أعظم، ثم الذمي، ثم المعاهد، ثم المستأمن.
الشيخ ابن عثيمين

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❑ جزاءُ الوفاء الوفاء، فمَن عاهد من الكافرين فالتزم بعهده، ولم يسعَ في نَكثه فليس على المسلمين إلا الوفاءُ بميثاقه.
- ❑ إن قاعدةَ الأخلاق في الإسلام لا تقوم على المنفعة، ولا على العُرف المتغيِّر حسَب المصالح، بل هي تخلُّقُ المؤمنِ بما يحبُّه ربُّه ويرضاه، ولو فاتت معها بعضُ المصالح الشخصيَّة.

إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ ﴿٣﴾
شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ
فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ
وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾
وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾

٤←(٣)←٦

لَمَّا أعلَمَهم اللهُ بنهايةِ العهودِ استثنى هنا الذينَ لهم عهدٌ محدَّدٌ بمدَّةٍ، ولم يخونوا هذا العهدَ، فإذا انتهتْ مهلةُ الأمانِ وجبَ قتالُ المشركينَ في أي مكانٍ وُجِدُوا، لكن لو طلبَ أحَدُهم أن يسمعَ كلامَ اللهِ يُجابُ إلى طلبِه.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
5	***وبعد أن قررت السورة الكريمة براءة الله ورسوله من عهود المشركين الخائنين، وأمرت بالوفاء بمن وفى بعهده منهم.. بعد كل ذلك أخذت في بيان كيفية معاملة المشركين بعد انتهاء المهلة الممنوحة هلم فقال - تعالى - : [فَإِذَا انسلخ الأشهر....].** *ثم أردف- سبحانه- **هذا الإعلام بالبراءة من عهود المشركين بترغيبهم في الإيمان وتحذيرهم من الكفر والعصيان**.-الوسيط- ***واكتفى- سبحانه- بذكر الصلاة والزكاة عن ذكر بقية العبادات**، لكونهما الأساسين للعبادات البدنية والمالية. وبذلك ترى هذه الآية قد جمعت في إرشادها بين الترغيب والترهيب فقد أمرت المؤمنين بأن يستعملوا مع أعدائهم كل الوسائل المشروعة لإرهابهم ثم أمرتهم في الوقت نفسه بإخلاء سبيلهم متى تابوا و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة.. *لَمَّا قرَّرَ اللهُ تعالى أمْرَ البراءةِ مِن المُشرِكينَ إثباتًا ونفيًا؛ أمَرَبما يُصنَعُ بعد ما ضرَبَه لهم مِن الأجَلِ .-البقاعي-

5-والمتدبر لهذه الآية الكريمة يرى أن هذه الوسائل الأربع

- **القتل والأسر والمحاصرة والمراقبة- هي الوسائل الكفيلة بالقضاء على الأعداء، ولا يخلو عصر من العصور من استعمال بعضها أو كلها عند المهاجمة.**

تفسير السعدي:

5-يقول تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ أي: التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وتمام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذمة.

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في أي مكان وزمان،

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أسرى ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها [الله] معبدا لعباده. فهؤلاء ليسوا أهلا لسكناها، ولا يستحقون منها شبرا، لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن يخلو الأرض من دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم و ابذلوا غاية مجهودكم في ذلك، **ولا تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم**. ولهذا قال: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من شركهم ﴿وَ أَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ أي: أدوها بحقوقها ﴿وَ آتَوُا الزَّكَاةَ﴾ لمستحقيها ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ أي: اتركوهم، وليكونوا مثلكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر الشرك فما دونه، للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبولها منهم. **وفي هذه الآية، دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة، فإنه يقاتل حتى يؤديهما، كما استدل بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه.**

وقفات ولطائف:

قَولُ اللَّه تعالى: وَخُذُوهُمْ فيه أنَّه يجوزُ الأسْرُ بَدَلَ القَتلِ، والتَّخييرُ بينهما.

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾

ونبه بأعلاها على أدناها؛ فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله عزوجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعدٍ إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة. ابن كثير

***تأمل كيف يدعو الله- تعالى- أعداء الإسلام إلى التوبة والإقبال عليه، ويعدهم بالخير، فكيف بأهل الإيمان.**

وجُملةُ: إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ تَذييلٌ أُريدَ به حثُّ المسلِمينَ على عَدمِ التعرُّضِ بالسُّوءِ للذين يُسْلِمونَ من المُشرِكينَ، وعدَم مُؤاخذتِهم لِمَا فَرَط منهم؛ فالمعنى: اغْفِروا لهم؛ لأنَّ الله غَفَر لهم، وهو غَفورٌ رَحيمٌ

وقوله : ﴿ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تذييل قصد به التعليل لوجوب إخلاء سبيلهم أى، إن فعلوا ذلك فخلوا سبيلهم، ولا تعاملوهم بما كان منهم من شرك، فإن الإسلام يجُب ما قبله، وإن الله قد غفر لهم ما سلف من الكفر والغدر بفضله ورحمته.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

التوبة النصوح مَطهرةٌ عامَّةٌ لكلِّ ذنب، فمَن امتلأت صفحتُه أذًى ومحاربة، وفتنةً ومخالفة، فليتُب إلى ربِّه، وليستقِم على شريعته.

- لقد جعل اللهُ في التوبة والصلاة والزكاة مخرجًا لِمَن ضُيِّقت عليه الخيرات، وأُلقيَ في صنوف الآفات.
- إن التوبة لا تكون توبةً مقبولة حتى يُبرهَنَ عليها بأعمالٍ صالحة تدلُّ على صدق صاحبها.
- ينال التائبون مغفرةَ الله رحمةً منه بهم، لا بمجرَّد عملهم؛ فالحمد لله على رحمته.

فوائد من خلاصة سورة براءة

في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

01 تعليل الأمر بإتمام العهود المؤقتة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧،٤)﴾

02 تعليل الأمر بتخلية سبيل التائبين من المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾

03 تعليل الأمر بإجارة المشرك المستجير لسماع كلام الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ(٦)﴾

04 تعليل الأمر بقتال المشركين الناكثين للعهد ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)﴾

05 تعليل عدم قبول صدقات المنافقين بفسقهم ثم بكفرهم في آيتي(٥٤،٥٣)

06 تعليل عدم المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله وفسقهم في الآية (٨٠)

07 تعليل النهي عن الصلاة على موتاهم بكفرهم بالله ورسوله في الآية (٨٤)

08 تعليل الأمر بأخذ الصدقة من المؤمنين بتطهيرهم وتزكيتهم بها في الآية (١٠٣)

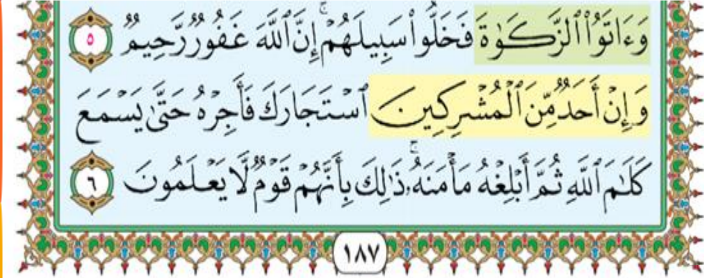
09 تعليل فتنة المنافقين في كل عام بأمل التوبة والتذكر في الآية (١٢٦)

فيعلم من كل تعليل أن حكمته تعالى في أفعاله وأحكامه منفعة عباده ومصلحتهم وخيرهم

تسعة أحكام وردت في سورة التوبة ورد فيها التعليل لهذه الأحكام وذلك في إحدى عشرة آية)) فيعلم من كل تعليل أن حكمته تعالى في أفعاله وأحكامه منفعة عباده ومصلحتهم وخيرهم))

٤←(٣)←٦

لَمَّا أعلَمَهم اللهُ بنهايةِ العهودِ استثنى هنا الذينَ لهم عهدٌ محدَّدٌ بمدَّةٍ، ولم يخُونُوا هذا العهدَ، فإذا انتهتْ مهلةُ الأمانِ وجبَ قتالُ المشركينَ في أي مكانٍ وُجِدُوا، لكن لو طلبَ أحَدُهم أن يسمعَ كلامَ اللهِ يُجابْ إلى طلبِه.



٤- ﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ﴾: لم يخونوا العهدَ، ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ﴾: لم يعاونوا، ٥- ﴿ٱنسَلَخَ﴾: انقضى، ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: الأشهرُ الأربعةُ التي أمنتُم فيها المشركينَ، بدأتْ يومَ النحرِ، وانتهتْ في العاشرِ من ربيعٍ الثاني، ٦- ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: طلبَ الأمانَ من القتلِ.

(٢) قلِّبْ في أوامرِكَ من: فورًا، وحالًا، فالربُّ قال لأعدائه: سيرُوا ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ آمنين، ولا عهدَ لكم بعدها ولا أمانَ.

(٥) ﴿فَإِن تَابُواْ ...﴾ تأمّل كيف يدعو اللهُ أعداءَ الإسلامِ إلى التوبةِ والإقبالِ عليه، ويَعِدُهم بالخيرِ، فكيف بأهلِ الإيمانِ!

ه: التوبة [١١].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
6	*وبعد أن قررت السورة الكريمة براءة الله ورسوله من عهود المشركين الخائنين، وأمرت بالوفاء لمن وفي بعهده منهم.. بعد كل ذلك أخذت في **بيان كيفية معاملة المشركين بعد انتهاء المهلة الممنوحة لهم** -الوسيط- *وبعد أن بين- سبحانه- **حكم المصرين على الشرك** وهو قتالهم وأخذهم، **وحكم الراجعين عنه** وهو إخلاء سبيلهم. بعد ذلك بين- سبحانه- **حكم المشركين الذين يطلبون الأمان لمعرفة شرائع الإسلام**

تفسير السعدي:

لما كان ما تقدم من قوله ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ **أمرا عاما في جميع الأحوال، وفي كل الأشخاص منهم، ذكر تعالى، أن المصلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم جاز، بل وجب ذلك** فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ أي: طلب منك أن تجيره، وتمنعه من الضرر، لأجل أن يسمع كلام الله، وينظر حالة الإسلام.

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ثم إن أسلم، فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي: المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون، فربما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام الله. وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق. وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول

وقفات ولطائف:

لم لا تكون الدعوة بالقرآن؟ لو تأملنا في حوار النبي ﷺ مع المدعوين وماذا كان يقول لهم لوجدنا أنه في كثير من المو اقف يكتفي بتلاوة آيات من القرآن الكريم ويحدث هذا أثرا عظيما في النفوس لقد كانت قراءة النبي لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرك و تبين له الحق ولا يقل أحد إن هذا خاص بالنبي بل هو ممكن لكل من سلك سبيله و اقتدى به وهو بهذا مستجيب لربه سبحانه وتعالى الذي أمره بذلك إذ يقول: {فذكر بالقرآن من يخاف وعيد} وبقوله سبحانه {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} وقوله {وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين}

*فمتى استشعر الداعية عظمة القرآن وكان معايشا له متعمقا فيه فإن أثر قراءته لبضع آيات لا يقارن بأثر قصة أو طرفة أو مشهد من هنا وهناك وجرب تجد. مفاتيح تدبر القرآن

*لن تجد أبلغ عبارة ولا أصدق خبرا ولا أقوى أثرا من كلام الله جل وعلا وقد عني النبي ﷺ بهذا كثيرا في دعوة الإنس والجن

*و اقتصر على ذكر السماع لعدم الحاجة إلى شئ آخر في الفهم، لأنهم من أهل الفصاحة والبلاغة، وقد كان سماع بعضهم لشئ من كلام الله سببا في هدايته.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ما أعظمَه من دين يحرُس مَن آذى المسلمين، وفتَنهم وعاداهم سنين، حين يستجيرُ بأهله! حتى يبلُغَ مأمنَه خارجَ حدود دار الإسلام!
- الإسلام إعلامٌ لمَن لا يعلمون، وإجارةٌ لمَن يستجيرون، فإن حالَ بين الأفراد وسماع كلام الله حائلٌ دعا داعي الجهاد لإزالته.
- النظر في كلام الله أعلى المقامات، حتى الكافرُ الذي أُهدِرَدمُه يأمنُ حين يطلبُ النظرَ فيه من أجل الاستهداء به، بل يجب إبلاغه مأمنَه.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا
اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
(٧) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا

٧←(٤)←١٠

لمَّا أعلنَ اللهُ نهايةَ العهودِ معَ المشركينَ بَيَّنَ هنا السببَ، وكَشَفَ عن إضمارِهِم الغدرَ والخيانةَ والعَزمَ على الابتداءِ بِنَقضِ العُهودِ التي بينَهمْ وبينَ المؤمنينَ، وأنَّهم إنْ تمكَّنُوا منَ المؤمنينَ فلن يُراعُوا فيهم قرابةً ولا عهدًا.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
7	***لَمَّا قال تعالى: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِه، وقال: أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وقال: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ فلعلَّ بعضَ قبائِلِ العَرَبِ مِنَ المشركينَ يتعجَّبُ مِن هذه البراءةِ، ويسألُ عن سَبَبِها، وكيف أُنهِيَت العُهودُ، وأُعلِنَتِ الحَربُ؟! فكان المقامُ مقامَ بيانِ سَبَبِ ذلك، والحِكمةِ المُوجِبةِ لأن يتبرَّأَ اللهُ ورسولُه مِن المُشركينَ، وأنَّه حُكمٌ واقِعٌ في مَحلِّه، وأنَّ نَبْذَ العُهودِ إلى المُشركينَ أمرٌ في غايةِ الإحكامِ والصَّوابِ-المحرر-** *وبعد أن صرحت السورة الكريمة ببراءة الله ورسوله من عهود المشركين الخائنين، وأمرت المؤمنين بإعطائهم مهلة يسيحون فيها في الأرض، ويتدبرون خلالها أمرهم، ثم بعد ذلك على المؤمنين أن يقتلوهم حيث وجدوهم، وأن يستعملوا معهم كل الوسائل المشروعة لإذلالهم، وأن يؤمنوا المشرك الذي يريد أن يسمع كلام الله، وأن يحافظوا عليه حتى يصل إلى مكان استقراره.. بعد كل ذلك أخذت السورة الكريمة في بيان الأسباب التي أوجبت البراءة من عهود المشركين، والحكم التي من أجلها أمر الله بقتالهم والتضييق عليهم.-الوسيط- *إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ.استثناء من المشركين الذين استنكرت الآية أن تكون لهم عهود عند الله وعند رسوله.

تفسير السعدي:

هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ الله ورسوله من المشركين، فقال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ هل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول الله والمؤمنين من أذيتهم؟ أما حاربوا الحق ونصروا الباطل؟ أما سعوا في الأرض فسادا؟ فيحق عليهم أن يتبرأ الله منهم، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ من المشركين

﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإن لهم في العهد وخصوصا في هذا المكان الفاضل حرمة، أوجب أن يراعوا فيها. ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

وقفات ولطائف:

﴿ إنَّ الله يُحِبُّ المتقين ﴾ تذييل قصد به التعليل لوجوب الامتثال، وتبيين أن الوفاء بالعهد إلى مدته مع الموفين بعهدهم من تقوى الله التي يحبها لعباده، ويحبهم بسبب تمسكهم بها.

هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية :ان العهد المعتد به في شريعة الإسلام، هو عهد الأوفياء غير الناكثين، وأن من استقام على عهده عاملناه بمقتضى استقامته، وأن الالتزام بالعهود من تقوى الله التي يحبها لعباده.-الوسيط-

*قال ابن القيم : مراتب التقوى :

التقوى ثلاث مراتب :

إحداها : حميّة القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات ، والثانية : حميّتها عن المكروهات ، والثالثة : الحمية عن الفضول وما لا يعني .

فالأولى تعطي العبد حياته ، والثانية تفيده صحته وقوته ، والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- مَن رهنَ نفسَه للهوى والشيطان، وبدأ بنفسه فخانها وغشَّها، غيرَناظرٍ في مصلحة، ولا مفكّرٍ في عاقبة، فكيف يُؤتمَن على شيء؟!
- ليس من خُلق المؤمن أن ينزِعَ يدَه من عهد، ما لم تظهر على المعاهَد أماراتُ الغدروالخيانة، فأهلُ الإيمان أولى الناس بالاستقامة.
- الاستقامة على الوفاء بالعقد مَنشؤُها في الإسلام تقوى الله تعالى، وطلب محبَّته، وليس المنفعةَ والضعف.

قرآنا عجبا

كَيۡفَ ٧ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا
وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ
فَٰسِقُونَ ٨ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
8	*أنَّه لَمَّا أنكَرَ سُبحانَه أن يكونَ للمُشرِكينَ غَيرِ المُستَثنَينَ عَهدٌ؛ بيّن السَّبَبَ المُوجِبَ للإنكارِ ، فقال تعالى: كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً. أي: كيفَ يكونُ للمُشرِكينَ عَهدُ أمانٍ، والحالُ أنَّهم إن يغلِبُوكم- أيُّها المُؤمِنونَ- لا يَرحَموكم، ولا يُراعُوا فيكم اللهَ، ولا قَرابةً، ولا عَهدًا ؟! (يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ.)لَمَّا ذكَرَ سُبحانَه حالَهم مع المُؤمِنينَ إن ظَهَروا عليهم، ذَكَرَ حالَهم معهم إذا كانوا غيرَ ظاهِرينَ، فقال تعالى : يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ. أي: يَقولُ لكم المُشرِكونَ بألسِنَتِهم كلامًا طَيِّبًا يُرضيكم- أيُّها المُؤمِنونَ- لكِنَّ قُلوبَهم تمتَنِعُ أن تُوافِقَ ما يَنطِقونَ به؛ فهي مُنطَوِيةٌ على بُغضِكم وعَداوَتِكم، والامتناعِ عَن محبَّتِكم، والدُّخولِ في دِينِكم • *قال ابن كثير : يقول تعالى محرضا للمؤمنين على معاداة المشركين والتبري منهم، ومبينا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله وكفرهم برسول الله ولو أنهم إذ ظهروا على المسلمين وأديلوا عليهم، لم يبقوا ولم يذروا، ولا راقبوا فيهم إلا ولا ذمة.

تفسير السعدي:

أي: ﴿كَيْفَ﴾ يكون للمشركين عند الله عهد وميثاق ﴿و﴾ الحال أنهم ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ بالقدرة والسلطة، لا يرحموكم، و﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون الله فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا. ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقا، المبغضون لكم صدقًا،

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ لا ديانة لهم ولا مروءة.

وقفات ولطائف:

﴿لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾تكررت بكلماتها في قوله سبحانه (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون)

والإل يعني: القرابة

والذمة تعني: العهد

ومرد التكرار إلى التأكيد على أن عدم رعاية الإل والذمة هو خصلة الكافر وطبيعته أو أن المرة الأولى كانت للإشارة إلى أن الكافر لا يرعاهما في مجموع المسلمين وفي المرة الثانية إلى عدم رعايته إياهما في المؤمن الواحد أو لأن المرة الأولى وردت صفة لطائفة أشارت الآية إلى أن [أكثرهم فاسقون] وفي المرة الثانية لطائفة وصفهم بأنهم [هم المعتدون] وقد ذكر النحاس أن المرة الأولى كانت في المشركين والثانية كانت في اليهود. إعراب القرآن.

قال تعالى: يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ. إن قيلَ: إنَّ الموصوفينَ بهذه الصِّفةِ كُفَّارٌ، والكُفرُ أقبَحُ وأخبَثُ مِن الفِسقِ، فكيف يَحسُنُ وَصفُهم بالفِسقِ في مَعرِضِ المبالغةِ في الذَّمِّ، و أيضًا الكُفَّارُ كلُّهم فاسِقونَ، فلا يبقى لِقَولِه: وَأَكْثَرُهُمْ فائدةٌ؟ فالجَوابُ: أنَّ الكافِرَ قد يكونُ عَدلًا في دِينِه، له حفظٌ لمراعاةِ الحالِ الحسنةِ مِن التعفُّفِ عمَّا يثلمُ العِرضَ، فلا ينقُضُ العَهدَ، وقد يكونُ فاسِقًا خبيثَ النَّفسِ في دينِه، لا مروءةَ تردعُه، ولا طباعَ مرضيةٌ تزَعُه، فينقُضُه، فالمرادُ بالفِسقِ هنا نَقضُ العَهدِ، وكان في المُشرِكينَ مَن وَفَى بِعَهدِه؛ فلهذا قال: وَأَكْثَرُهُمْ، أي: إنَّ هَؤلاءِ الكُفَّارَ- الذين مِن عادَتِهم نَقضُ العَهدِ- أكثَرُهم فاسِقونَ في دِينِهم وعند أقوامِهم، وذلك يُوجِبُ المُبالغةَ في الذَّمّ وقيل: التعبيرُ بقولِه: وَأَكْثَرُهُمْ لأنَّ منهم مَن قضَى اللهُ له بالإيمانِ ، وقيل: المرادُ بالأكثريةِ: الكلُّ، فمعنَى وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ: وكلُّهم فاسقون.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- مَن كان يريد انتهازَ الفرصة ليَغدِرَ في العقد، فإنه لا يُرجى منه دوامُ عهد، وأشباهُ هؤلاء أحرياء بالبراءة منهم.
- عند نَيل القوَّة أيًّا كانت تظهر أخلاقُ الناس وخبايا نفوسهم؛ خيرًا أو شرًّا.
- مهما أظهر العدوُّ من لِين القول فلا تغترَّ به؛ فإن كلامه هذا خارجٌ من فيه، لا من قلبه.
- ليس المؤمنُ العاقل بالذي يُغريه البيانُ المنمَّق، والخطابُ المزوَّق، وهو يَرى أولئك القائلين الخادعين يفتِكون بأهل الإسلام فتلكَ الضِّباع الطاوية بفرائسها.
- مخالفة موجِبات العقود، وما تترتَّب عليه العهود، من أسباب الفسق التي ينبغي للمؤمن أن يتنزَّه عنها.

قرآنا عجبا

﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
9	***ثم بين - سبحانه - بعد ذلك السبب الأصيل الذي جعل الغدر ديدنهم، والحقد على المؤمنين دأبهم.**-الوسيط- *أنَّه لَمَّا كشَفَ تعالى سرائِرَهم؛ شرعَ سبحانه يُقيمُ لهم الدَّليلَ على فِسقِهم وخِيانَتِهم، بتذكيرِهم ما بدا مِن بَعضِهم مِن النَّقضِ، بعد أن أثبَتَ فيما مضى أنَّهم شَرعٌ واحِدٌ ، بعضُهم أولياءُ بَعضٍ .-البقاعي- و أيضا فهذا بيانٌ مُستأنَفٌ لِمَن عساه يستغربُ غَلَبةَ الفِسقِ، والخُروجَ مِن دائرة الفَضائِلِ الفِطريَّةِ والتقليديَّةِ على أكثَرِهم، حتى مُراعاة اللهِ والقرابةِ والوفاءِ بالعَهدِ الممدوحَينِ عِندَهم، ويسألُ عن سبَبِه، وجوابُه.-المنار-

تفسير السعدي:

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: اختاروا الحظ العاجل الخسيس في الدنيا. على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله. ﴿فَصَدُّوا﴾ بأنفسهم، وصدوا غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

وقفات ولطائف:

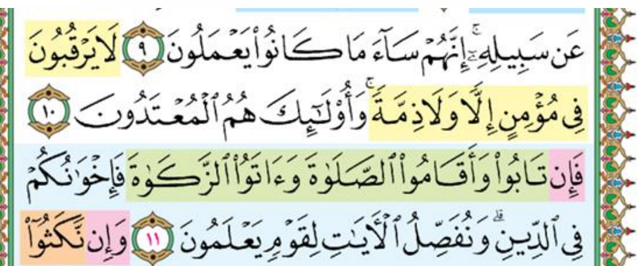
﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

استبدلوا بذلك (ثمناً قليلاً)، أي: شيئا حقيرا من حطام الدنيا؛ وهو أهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها. والجملة ... مستأنفة كالتعليل لقوله تعالى: (وأكثرهم فاسقون)؛ فيه أن من فسق وتمرد كان سببه مجرد اتباع الشهوات، والركون إلى اللذات. الألوسي

قَولُ الله تعالى: اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بيَّنَ عَراقتَهم في القبائحِ وأنَّها في جِبِلَّتِهم، بذِكرِ الكَونِ، فقال: كَانُوا يَعْمَلُونَ، أي: يُجَدِّدونَ عَمَلَه في كلِّ وَقتٍ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 9-ما أخسرَها من تجارةٍ تلك التي يكون فيها المثمَّنُ هو الصدَّ عن سبيل الله، والثمنُ متاعَ الدنيا!
- قبيحٌ بالمرء أن يترقَّ في معاصيه، ويمضيَ فيها من سيّئ إلى أسوأ منه، وشرُّ ذلك كلّه أن يستمرَّ الكافرُ في كفره الذي يضيف إليه، ويزيد فيه.
- قبيحٌ بالمرء أن يترقَّ في معاصيه، ويمضيَ فيها من سيّئ إلى أسوأ منه، وشرُّ ذلك كلّه أن يستمرَّ الكافرُ في كفره الذي يضيف إليه، ويزيد فيه.
- 10-على صاحب الإيمان أن يتوقَّعَ عداوةَ غيرِ المؤمنين وخيانتَهم، وأن يعلمَ أن إيمانه كلَّما ازداد ترقِّيًا زادت نفوسُ الكافرين حَنقًا وغيظًا.
- المعتدون على الإيمان هم الأعداء الحقيقيُّون، وليس في مرتبتهم المعتدون لمصالح الدنيا، والعاقلُ مَن انشغل بالعدوِّ الحقيقيِّ قبل غيره.



الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
10	**لَمَّا أخبَرَ تعالى بعَراقَتِهم في الفِسقِ، دلَّ عليه بأنَّ خيانَتَهم ليست خاصَّةً بالمُخاطَبينَ، بل عامَّةٌ لكُلِّ مَن اتَّصَفَ بصِفةِ الإيمانِ** ، فقال تعالى: لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً. أي: لا يُراعي أولئك المُشركونَ في أيِّ مُؤمنٍ قَدَروا عليه اللهَ ولا قرابةً ولا عَهدًا . وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ. أي: وأولئك المُشركونَ هم المُجاوِزونَ حُدودَ اللهِ، الظَّالِمونَ لِعبادِ اللهِ
11	**لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى حالَ مَن لا يرقُبُ في اللهِ إلًّا ولا ذِمَّةً، وينقُضُ العَهدَ، وينطوي على النِّفاقِ، ويتعدَّى ما حُدَّ له؛ بيَّنَ مِن بعدُ أنَّهم إن أقاموا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ كيف حُكمُهم**.الرازي- *وبعد أن وضحت السورة الكريمة طبيعة هؤلاء المشركين بالنسبة لكل مؤمن، وبينت الاسباب التي جعلتهم بمعزل عن الحق والخير.. شرعت في بيان ما يجب أن يفعله المؤمنون معهم في حالتي إيمانهم وكفرهم فقال تعالى.

تفسير السعدي:

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: لأجل عداوتهم للإيمان ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: لأجل عداوتهم للإيمان وأهله. **فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا عن دينكم، وانصروه واتخذوا من عاداه لكم عدوا ومن نصره لكم وليا، واجعلوا الحكم يدور معه وجودا وعدما، لا تجعلوا الولاية والعداوة، طبيعية تميلون بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء،**

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان ﴿وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وتناسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدا حقيقة. لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح منها ما وضح، أحكاما وحِكَمًا، وحُكْمًا، وحكمة قال: ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نوضحها ونميزها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، وبهم عرف دين الإسلام وشرائع الدين. اللهم اجعلنا من القوم الذين يعلمون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك [وإحسانك يا رب العالمين].

وقفات ولطائف:

قَولُه تعالى: فِي مُؤْمِنٍ إعلامٌ بأنَّ عَداوَتَهم إنَّما هي بحسَبِ الإيمانِ فقط، وقَولُه أوَّلًا: لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ [التوبة: 8] كان يحتمِلُ أن يظُنَّ ظانٌّ أنَّ ذلك للإحَنِ التي وقعَت، فزال هذا الاحتمالُ بقَولِه: فِي مُؤْمِنٍ

قال اللهُ تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ هذه الآيةُ دليلٌ على أنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ مَقرونتانِ بالشَّهادةِ، في كَفِّ السَّيفِ وحَقنِ الدَّمِ، ودليلٌ على أنَّ المُؤاخاةَ بالإسلامِ بين المُسلِمينَ مَوقوفةٌ على فِعلِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ جَميعًا؛ لأنَّ اللهَ تعالى شَرَطَهما في إثباتِ المُؤاخاةِ، ومَن لم يكُنْ من أهلِ وُجوبِ الزَّكاةِ وجَبَ عليه أن يُقِرَّ بحُكمِها، فإذا أقَرَّ بحُكمِها دخل في الصِّفةِ التي تجِبُ بها الأخُوَّة .

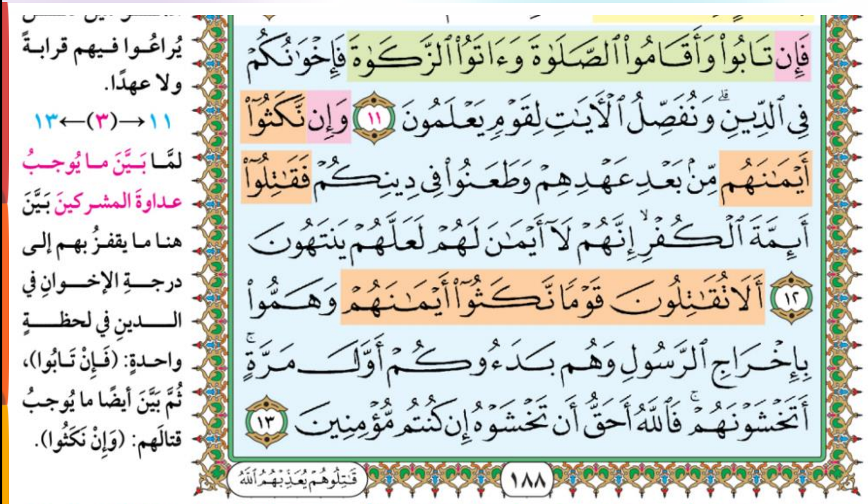
في قولِ اللهِ تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ علَّقَ الأخُوَّةَ في الدِّينِ على التَّوبةِ مِن الشِّركِ، و إقامِ الصَّلاةِ، و إيتاءِ الزَّكاةِ؛ والمُعلَّقُ بالشَّرطِ ينعَدِمُ عند عَدَمِه، فمَن لم يفعلْ ذلك فليس بأخٍ في الدِّينِ، ومَن ليس بأخٍ في الدِّينِ فهو كافِرٌ؛ لأنَّ المؤمنينَ إخوةٌ- رغم قيامِ الكبائِرِبهم- بدليلِ قَولِه تعالى في آيةِ المُقتَتِلين: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات: 10]، وهذا مع أنَّه قد سمَّى قتالَ المؤمنِ كُفرًا

مَن كان مِن المؤمنينَ بأرضٍ هو فيها مُستضعَفٌ، أو في وقتٍ هو فيه مُستضعَفٌ: فليعمَلْ بآياتِ الصَّبرِ والصَّفحِ، وأمّا أهلُ القُوَّةِ فإنَّما يَعملونَ بآيةِ قِتالِ أئمَّةِ الكُفرِ: فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ الذين يطعَنونَ في الدِّينِ، وبآيةِ قِتالِ الذينَ أوتُوا الكتابَ حتى يعطُوا الجِزيةَ عن يدٍ وهم صاغِرونَ.

- قولُ اللهِ تعالى: وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِإِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 10-على صاحب الإيمان أن يتوقَّعَ عداوةَ غيرِ المؤمنين وخيانتَهم، وأن يعلمَ أن إيمانه كلَّما ازداد ترقِّيًا زادت نفوسُ الكافرين حَنقًا وغيظًا.
- المعتدون على الإيمان هم الأعداء الحقيقيُّون، وليس في مرتبتهم المعتدون لمصالح الدنيا، والعاقلُ مَن انشغل بالعدوِّ الحقيقيِّ قبل غيره.
- 11-من أعظم المصالح الدنيوية للتوبة من ملَّة الكفر أن يصبحَ التائبُ أخًا للمسلم، له ما له وعليه ما عليه، أُخوَّة باقية ما بقي الإيمان.
- إقامة الصلاة أداءٌ لحقِّ الخالق، و إيتاءُ الزكاة أداءٌ لحقِّ المخلوق، وبهما يقوى عودُ الأخوَّة، وتبسُق فروعُها.
- إن منهاجَ التعامل مع الكافرِبيِّنٌ مفصَّل، لا يَعمى إلا على أصحاب التصوُّرات الخاطئة عن حقيقة الدين، أوحقيقة الكافرين.



٧- ﴿ٱسْتَقَٰمُوا﴾: وَفَوْا بعهدِكُم، ٨- ﴿يَظْهَرُوا﴾: يظفَروا بِكُم، ﴿إِلًّا﴾: قرابة، ﴿ذِمَّةً﴾: عهدًا، ١٢- ﴿نَّكَثُوا﴾: نقضوا، ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾: عُهودَهُم، ﴿لَا أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾: لا عهدَ لهم ولا ذِمّة.

(٧) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ اترك فعلاً تحبُّه ويُبغضه الله تقوى لله.

(٨) قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، ولم يقل: (كلهم فاسقون) كن دقيقًا في ألفاظك حتى مع الخُصوم والأعداء.

(١١) ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ تصحيحُ العقيدةِ حوّلَهم إلى إخوةٍ بعدَ أن كانوا ﴿هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾. [١١]: التوبة [٥].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
12	*أما إن كانت الآخرى، أى إذا لم يتوبوا وصاروا على عداوتهم، فقد بين سبحانه. ما يجب على المؤمنين نحوهم في هذه الحالة. *لَمّا استوفى اللهُ تعالى بيانَ **أصنافِ المُشركين**، الذين أمَرَ اللهُ بالبراءةِ من عَهدِهم، والذينَ أمَرَ بإتمامِ عَهدِهم إلى مُدَّتِهم ما استقاموا على العَهدِ، والذين يَستجيبونَ- **عطَفَ على أولئك بيانَ الذين يُعلِنونَ بِنَكْثِ العَهدِ، ويُعلِنون بما يُسخِطُ المُسلمين**
13	لَمّا قال تعالى: **فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ، أتبعَه بِذكرِ السَّبَبِ الذي يبعثُهم على مُقاتَلتِهم** -.الرازي-

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

1- قراءةُ **لَا إِيمَانَ** قيل: على معنى أنَّهم لا إسلامَ لهم ولا دينَ، فهم كفَّارٌ. وقيل: المرادُ معنى الأمنِ، أي: لا أمانَ لهم، فقد بطَلَ الأمانُ الذي أعطيتُموهم؛ لأنَّهم قد نقَضُوا عَهْدَهم. 2- قِراءةُ **لَا أَيْمَانَ** على معنى أنَّه لا عَهْدَ لهم، أي: هم لا يُوفُونَ بعُهودِهم ومَواثيقِهم

تفسير السعدي: **يقول تعالى بعدما ذكر أن المعاهدين من المشركين إن استقاموا على عهدهم فاستقيموا لهم على الوفاء:** ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي: نقضوها وحلوها، فقاتلوكم أو أعانوا على قتالكم، أو نقصوكم، ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي: عابوه، وسخروا منه. ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن الموجهة إلى الدين، أو إلى القرآن، ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي: القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر. ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي: لا عهود ولا مواثيق يلازمون على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين، ناكثين للعهد، لا يوثق منهم. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ في قتالكم إياهم ﴿يَنْتَهُونَ﴾ عن الطعن في دينكم، وربما دخلوا فيه **ثم حث على قتالهم، وهيج المؤمنين بذكر الأوصاف، التي صدرت من هؤلاء الأعداء، والتي هم موصوفون بها، المقتضية لقتالهم** فقال: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ الذي يجب احترامه وتوقيره وتعظيمه؟ وهم هموا أن يجلوه ويخرجوه من وطنه وسعوا في ذلك ما أمكنهم، ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث نقضوا العهد وأعانوا عليكم، وذلك حيث عاونت قريش - وهم معاهدون - بني بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وقاتلوا معهم كما هو مذكور مبسوط في السيرة. ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ في ترك قتالهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنه أمركم بقتالهم، وأكد ذلك عليكم غاية التأكيد. فإن كنتم مؤمنين فامتثلوا لأمر الله، ولا تخشوهم فتتركوا أمر الله

وقفات ولطائف:

قال تعالى: وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ فسَمَّاهم أئمَّةَ الكُفرِ لِطعنِهم في الدِّينِ؛ فكُلُّ طاعِنٍ في الدِّينِ، فهو إمامٌ في الكُفرِ؛ وذلك لأنَّه علَّلَ ذلك بأنَّهم لا أيمانَ لهم، وذلك يشمَلُ جميعَ النَّاكِثينَ الطَّاعنينَ، ولأنَّ النَّكثَ والطَّعنَ وصفٌ مُشتَقٌّ مُناسِبٌ لِوجوبِ القِتالِ، وقد رُتِّبَ عليه بحرفِ الفاءِ ترتيبَ الجَزاءِ على شرطِه، فإذا طعَنَ الذِّمِّيُّ في الدِّينِ، فهو إمامٌ في الكُفرِ، فيجِبُ قَتْلُه؛ لِقَولِه تعالى: فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ولا يَمينَ له؛ لأنَّه عاهَدَنا على ألَّا يُظهِرَ عَيبَ الدِّينِ، وخالَفَ

*مُؤاخَذتُهم على مُجَرَّدِ الهَمِّ بإخراجِ الرَّسولِ في قَولِ الله تعالى: أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ تدلُّ على أنَّهم لم يُخرِجوه، وإلَّا لكان الأجدَرُ أن يَنعَى عليهم الإخراجَ لا الهَمَّ به (31) ، وهذا على أحدِ أوجهِ التفسيرِ للآيةِ.

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

وجيء بالشرط المتعلق بالمستقبل -مع أنه لا شك فيه- لقصد إثارة همتهم الدينية؛ فيبرهنوا على أنهم مؤمنون حقا؛ يقدمون خشية الله على خشية الناس. ابن عاشور

إن قيل: أليسَ قال اللهُ تعالى في سورةِ الأنفالِ: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ [الأنفال: 33] فكيف قال تعالى هنا: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ فالجَوابُ: أنَّ المُرادَ مِن قولِه: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ عذابُ الاستئصالِ، والمرادُ مِن قولِه: يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ عذابُ القَتلِ والحَربِ. والفَرقُ بين البابَينِ أنَّ عَذابَ الاستئصالِ قد يتعَدَّى إلى غيرِ المُذنِبِ، وإن كان في حَقِّه سببًا لِمَزيدِ الثَّوابِ، أمَّا عذابُ القَتلِ فالظَّاهِرُ أنَّه يَبقَى مقصورًا

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 12-لا ريبَ أن الطَّعن في الدين هو أعظمُ من الطّعن بالرُّمح والسَّيف، فمَن وقع في ربِّنا أو نبيِّنا، أو كتابنا أو ديننا، فقد نقض عهدَه معنا.
- ليكن غرضُ المؤمنين من قتال الكافرين الطاعنين انتهاءَهم عمَّا هم فيه، وهذا من أعظم مظاهر رحمة الله بالمسيء.
- 13-البادئ بالشرّ أظلم، وهو أوَّل مَن يُبدأ بتأديبه، وشقّ هامة عدو انه؛ ومن أمثلته: البَدء بقتال الناكثين قبل سواهم من الكافرين.
- إيمانُك يدعوك إلى ألا تخشى مخلوقًا، خشيةً تُقعدُك عن القيام بأمر خالقك.

١٤←(٣)←١٦
أعاد الله هنا الأمر بقتال المشركين وذكر خمس فوائد لذلك، ثم وبّخ من تثاقل.

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
14	**لَمَّا بكَّتَ اللهُ تعالى المُؤمِنينَ في التَّواني عن قتالِ المُشركين، وأقام الحُجَجَ البيِّنةَ على وُجوبِ قِتالِهم، ودَحْضِ شُبهةِ المانِعِ منه-** صرَّحَ بالأمرِ القَطعيِّ به، مع الوعد بإظهارِ المُؤمِنينَ عليهم أكمَلَ الظُّهورِ وأتَمَّه، بما يُزيلُ خَشْيَتَهم منهم، بل يُوجِبُ إقدامَهم عليهم، ورغبَتَهم فيهم.-المحرر- *وفى الآية إيماء إلى أن المؤمن يجب أن يكون أشجع الناس وأعلاهم همة ولا يخشى إلا الله وبعد أن أقام الأدلة على وجوب قتالهم، وفنّد الشبه المانعة من ذلك- أمرهم به أمرا صريحا مع وعده لهم بالنصر وإظهار المؤمنين عليهم، وهذه العدة من أخبار الغيب فى وقعه معينة، وقد صدق الله وعده فقال:قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ. -الوسيط-
15	**لَمَّا كان الشِّفاءُ في قَولِه تعالى: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ قد لا يُرادُ به الكَمالُ؛ أتبعَه تحقيقًا لِكَمالِه** بقولِه :وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ. أي: ويُزِلِ اللهُ الغَيظَ الكامِنَ في قُلوبِ المُؤمِنينَ بِسبَبِ ظُلمِ الكُفَّارِ وقَهرِهم لهم . وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. أي: ويتوبُ اللهُ على مَن يَشاءُ أن يتوبَ عليهم من أولئك المُشركِينَ، بأن يُوفِّقَهم للدُّخولِ في الإسلامِ، ويَقبَلَ منهم التَّوبةَ مِن الكُفرِ والآثامِ . وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. أي: واللهُ عليمٌ بكُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك عِلمُه بما يُصلِحُ عِبادَه، وعِلمُه بمن يستحِقُّ منهم التَّوفيقَ للتَّوبةِ، ومَن يستحِقُّ منهم الخِذلانَ عنها، حكيمٌ في أفعالِه و أقوالِه وشَرْعِه، يضَعُ كُلَّ شَيءٍ في موضِعِه اللَّائِقِ به، ومن ذلك حِكمَتُه في تَصريفِ عِبادِه مِن حالٍ إلى حالٍ .-المحرر-

تفسير السعدي:

14-ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم من الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، فقال: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ بالقتل ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ إذا نصركم الله عليهم، وهم الأعداء الذين يطلب خزيهم ويحرص عليه، ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها. ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾

15-﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ فإن في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نورالله، وزوالا للغيظ الذي في قلوبهم،

وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.

ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من هؤلاء المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويُكَرِّهَ إليهم الكفروالفسوق والعصيان.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح، فيبقيه في غيه وطغيانه.

وقفات ولطائف:

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾

قال تعالى عزيمة على المؤمنين، وبياناً لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين). ابن كثير

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

والتذييل بجملة: (والله عليم حكيم) لإفادة أن الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم، و أنه حكيم لا يأمر إلا بما فيه تحقيق الحكمة، فوجب على الناس امتثال أوامره. ابن عاشور

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 14-ما أحسنَ تلك الحالَ التي تنشرح فيها صدورُ المؤمنين، بكسر شوكة الكافرين المعتدين، الطاعنين في دين ربِّ العالمين، ويذهبُ عن قلوبهم ما غشَّاها من الحزن لما حلَّ بالمسلمين!
- 15-انظر إلى فضل الله على أهل طاعته؛ لقد جعل من مقاصِد شرائع دينه ما يُدخل السرورَعليهم، ويُسعِد قلوبَهم.
- امتلاء القلب حَميَّةً لدين الله، ورغبةً في إعلاء كلمته، وحرصًا على صدِّ عادية المعتدين على شريعته؛ من براهين الإيمان، وهذا شأنُ الصحابة الكرام.
- إن المؤمنَ إذا علم أن مشيئة الله تعالى وحِكمتَه ورحمته تقتضي أن يقبلَ التوبة؛ فإنه يُسلِّم لله، ولا يجدُ في نفسه على التائبين إلا الصفاء.
- يعلم الله تعالى نيَّاتِ عباده، وله في تعاملِه معهم حكمة، كما يعلم مَن صدَق في رجوعه إليه، وله الحكمةُ في فتح باب التوبة لخَلقه.

﴿١٥﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ
أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ
أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ

١٧→(٢)←١٨

بعدَ الأمرِ بقتالِهم بَيَّنَ اللهُ هنا حرمةَ مشاركةِ المشركينَ في عمارةِ مساجدِ اللهِ بالعبادةِ أو الخدمةِ أو الولايةِ.

١٩→(٢)←٢٠

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
16	أنَّ الآياتِ المُتقَدِّمةَ كانت مُرغِّبةً في الجهادِ، والمقصودُ مِن هذه الآيةِ **مَزيدُ بَيانٍ في التَّرغيبِ** . أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ. أي: أظَنَنْتُم- أيُّها المُسلِمونَ - أن يترُكَكم اللهُ دون أن يَخْتَبِرَكم بالجِهادِ، فيعلَمَ الصَّادِقينَ منكم الذين يُجاهِدونَ في سبيلِه، مِن الكاذِبينَ المُضَيِّعينَ ما أمَرَبه من جِهادِ الكافرينَ؛ عِلمًا ظاهِرًا مَشهودًا يترتَّبُ عليه الثَّوابُ والعِقابُ ؟ كما قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران: 142]. وقال سُبحانه: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ [آل عمران: 179]. وقال عزَّوجَلَّ: الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [العنكبوت: 1 - 3]. وقال جلَّ جلاله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ [محمد: 31].

تفسير السعدي:

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد ما أمرهم بالجهاد: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ من دون ابتلاء وامتحان، وأمر بما يبين به الصادق والكاذب.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ أي: علما يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليترتب عليه الثواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله: لإعلاء كلمته ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أي: وليا من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء.

فشرع اللّه الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها.

وقفات ولطائف:

وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً.

أي: ولمَّا يَعلمِ الله الَّذين جاهدُوا مِنكم، والَّذين لم يتَّخِذوا مِن دُونِ اللهِ ولا رَسولِه ولا المُؤمِنينَ بِطانةَ سُوءٍ مِن الكُفَّارِ، يُوالُونَهم ويُفشُونَ إليهم أسرارَ المُؤمِنينَ .

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ [المائدة: 51 - 53].

وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.أي: واللهُ عَليمٌ بِجَميعِ أعمالِكم الخَفِيَّةِ- أيُّها المُسلِمونَ- فيُجازيكم عليها؛ إنْ خَيرًا فخَيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ، ومن ذلك اتِّخاذُ بِطانةٍ مِن الكافِرينَ

شَرَعَ اللهُ الجِهادَ؛ لِيَحصُلَ به مقصودٌ أعظَمُ، وهو أن يتميَّزَ الصَّادِقونَ، الذين لا يتحَيَّزونَ إلَّا لِدينِ الله، من الكاذبينَ الذين يزعُمونَ الإيمانَ، وهم يتَّخِذونَ الولائِجَ والأولياءَ مِن دونِ الله ورَسوله والمُؤمِنينَ؛ قال الله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً [26] ، كذلك جرَت سنَّةُ اللهِ تعالى بالابتلاءِ؛ لينكشِفَ الخَبيءُ، وتتميَّزَ الصفوفُ، وتتمَحَّصَ القلوبُ، ولا يكون ذلك كما يكونُ بالشَّدائِدِ والتَّكاليفِ والمِحَنِ والابتلاءاتِ

قال الله تعالى: وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً، ولا وَليجةَ أعظَمُ ممَّن جعلَ رَجُلًا بِعَينِه مُختارًا على كلامِ اللهِ، وكَلامِ رَسولِه، وكلامِ سائِرِ الأمَّةِ، يُقَدِّمُه على ذلك كُلِّه، ويَعْرِضُ كتابَ اللهِ وسُنَّةَ رَسولِه وإجماعَ الأمَّةِ على قَولِه، فما و افَقَه منها قَبِلَه؛ لِمُوافقتِه لِقَولِه، وما خالَفَه منها تلطَّفَ في رِدّه، وتطَلَّبَ له وُجوهَ الحِيَلِ، فإن لم تكُنْ هذه وليجةً، فلا نَدري ما الوليجةُ . ابن القيم

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- الحياة أمامَ المؤمن طريقٌ طويلة، فيها منعطَفاتٌ خطيرة، يُعرَف فيها قدرُإيمانه، وصحَّةُ سلوكه، فمن الناس من يثبُت فيستمرُّسيرُه، ومنهم من يضعُف فيسقط على جنبات الطريق.
- جرَت سنَّة الله تعالى بالابتلاء؛ لينكشفَ الخَبيء، وتتميَّزَ الصفوف، وتتمحَّصَ القلوب، ولا يكون ذلك إلا بالشدائد والتكاليف.
- القتال في سبيل الله ليس مقصودًا لذاته، ولكنَّه اختبارٌلقوَّة الإيمان، وإخلاص العبودية، وصدق الانقياد، والتضحية بنفيس ما يُملَك ابتغاءَ وجه الله تعالى.

١٥ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ
أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧
إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ
أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ

١٧←(٢)→١٨
بعدَ الأمرِ بقتالِهم بَيَّنَ اللهُ هنا حرمةَ مشاركةِ المشركينَ في عمارةِ مساجدِ اللهِ بالعبادةِ أو الخدمةِ أو الولايةِ.

١٩←(٢)→٢٠

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
17	**ثم أخذت السورة بعد ذلك في إعلان حكم آخر يتعلق بتعمير مساجد الله**، فبينت أنه يحرم على المشركين أن يعمروا مساجد الله، وأن المستحقين لذلك هم المؤمنين الصادقون، فقال - تعالى - : ﴿ ما كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ... مِنَ المهتدين ﴾. **ثم بين - سبحانه - :في ختام الآية سوء عاقبتهم** فقال ﴿ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النارِهُمْ خَالِدُونَ ﴾ -الوسيط- أنَه تعالى بدأ السُّورةَ بذِكرِ البراءةِ من الكُفَّارِ، وبالَغَ في إيجابِ ذلك، وذكرَ من أنواعِ فضائِحِهم وقبائِحِهم ما يُوجِبُ تلك البراءةَ، ثمَّ إنَّه تعالى حكى عنهم شُبَهًا احتجُّوا بها في أنَّ هذه البراءةَ غيرُ جائزةٍ، و أنَّه يجِبُ أن تكونَ المُخالَطةُ والمُناصَرةُ حاصلةً؛ فأوَّلُها ما ذكرَه في هذه الآيةِ، وذلك أنَّهم موصوفونَ بصِفاتٍ حَميدةٍ وخِصالٍ مَرضِيَّةٍ، وهي تُوجِبُ مُخالَطتَهم ومُعاوَنتَهم ومُناصرَتَهم، ومن جملةِ تلك الصِّفاتِ كَونُهم عامرينَ للمَسجِدِ الحَرامِ .-المحرر- **وأيضًا لَمَّا حَذَّرهم اللهُ تعالى مِن اتِّخاذِ وليجةٍ مِن دُونِه، شرَعَ يُبيِّنُ أنَّ الوليجةَ التي يتَّخِذُها بعضُهم لا تصلُحُ للعاطفةِ** بما اتَّصَفَت به من محاسِنِ الأعمالِ، ما لم تُوضَعْ تلك المحاسِنُ على الأساسِ الذي هو الإيمانُ المُبيَنُ بدَلائِله، فقال سائقًا له مَساقَ جَوابِ قائلٍ قال: إنَّ فيهم مِن أفعالِ الخَيرِ ما يدعو إلى الكَفِّ عنهم؛ من عمارةِ المسجِدِ الحرامِ وخِدمَتِه وتَعظيمِه .

تفسير السعدي:

قول تعالى: (مَا كَانَ) أي: ما ينبغي ولا يليق (لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ) بالعبادة، والصلاة، وغيرها من أنواع الطاعات، والحال أنهم شاهدون ومقرون على أنفسهم بالكفر بشهادة حالهم وفطرهم، وعلم كثير منهم أنهم على الكفر والباطل.

فإذا كانوا (شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) وعدم الإيمان، الذي هو شرط لقبول الأعمال، فكيف يزعمون أنهم عُمَّارُ مساجد الله، والأصل منهم مفقود، والأعمال منهم باطلة؟!.

ولهذا قال: (أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) أي: بطلت وضلت (وَفِي النَّارِهُمْ خَالِدُونَ).

وقفات ولطائف:

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ.
أي: ما ينبغي للمُشرِكينَ أن يَعمُروا مساجِدَ اللهِ ببِنائِها وتزيينِها، والعبادةِ فيها، والحالُ أنَّهم شاهِدونَ على أنفُسِهم بالكُفرِ ؛ بما يأتونَه من أقوالٍ و أفعالٍ كُفريَّةٍ، يُقِرُّونَ بها، ولا يُمكِنُهم إنكارُها .
أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ.
أي: أولئك المُشرِكونَ قد بَطَلَت أعمالُهم- ومنها عِمارةُ البَيتِ الحَرامِ- فلا يُؤجَرونَ عليها في الآخرةِ؛ بِسَبَبِ شِرْكِهم .
كما قال سُبحانه: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [هود: 15-16].
وقال تعالى: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا [الفرقان: 23].
وَفِي النَّارِهُمْ خَالِدُونَ.
أي: وأولئك المُشرِكونَ في نارِ جهنَّمَ، ماكِثونَ فيها على الدَّوامِ .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❑ لا يَعمُر بيتَ الله إلا مَن عمَر التوحيدُ قلبَه، وقامت على الإخلاص والمتابعة عباداتُه.
- ❑ إن صورة أعمال المرء وحدَها لا قيمة لها، فقد يكون ظاهرُها حسنًا، لكنَّ باطنها خاوٍ، فلا يلبث أن يظهرَ فسادُها، ويتبيَّن جزاء صاحبها.

١٧←(٢)←١٨
بعدَ الأمرِ بقتالِهم بَيَّنَ اللهُ هنا حرمةَ مشاركةِ المشركينَ في عمارةِ مساجدِ اللهِ بالعبادةِ أو الخدمةِ أو الولايةِ.
١٩←(٢)←٢٠

وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ
أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ
أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
18	**لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى عدمَ استحقاقِ المُشركينَ لِعِمارةِ مَساجِدِ اللهِ، أثبَتَها للمُسلِمينَ الكامِلينَ**، وجَعَلَها مقصورةً عليهم بالفِعلِ لا بمجَرَّدِ الشَّأنِ والاستحقاقِ -المنار- كما قال تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [النور: 36-37]. وقال عزَّوجلَّ: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن: 18]. وقال سُبحانه: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا [البقرة: 114]. وعن عُثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ((مَن بنى مَسجِدًا يبتغي به وَجهَ اللهِ، بنى اللهُ له مِثلَه في الجَنَّةِ)) . وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: ((سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ يومَ القيامةِ في ظِلِّه، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه)) وذكَرَ منهم: ((ورجُلٌ قَلبُه مُعَلَّقٌ في المسجِدِ)) .

تفسير السعدي:

ثم ذكر من هم عمار مساجد الله فقال: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ) الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن.

(وَآتَى الزَّكَاةَ) لأهلها (وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ) أي قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة.

فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها.

(فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) و« عسى » من الله واجبة. وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه.

وقفات ولطائف:

قولُه تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ دليلٌ على أنَّ الشَّهادةَ لعُمَّارِ المساجِدِ بالإيمانِ صحيحةٌ؛ لأنَّ اللهَ سُبحانه ربَطَه بها، وأخبَرَعنه بمُلازَمتِها. وقد قال بعضُ السَّلَفِ: (إذا رأيتم الرَّجُلَ يعمُرُ المَسجِدَ، فحَسِّنُوا به الظَّنَّ)

قال تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ جرتِ العادةُ أنَّ اللهَ يذكرُ الإيمانَ باليومِ الآخِرِ مع الإيمانِ به؛ لأنَّ الكُفرَ باليومِ الآخِرِ سببٌ لكلِّ البَلايا، و أنواعِ الكُفرِ والجحودِ؛ لأنَّ مَطامِعَ العُقَلاءِ محصورةٌ في أمرينِ؛ هما: جلبُ النَّفعِ، ودفعُ الضرِّ، والذي لا يُصدِّقُ بيومِ القيامةِ لا يرغَبُ في خيرٍ في ذلك اليَومِ، ولا يخافُ من شَرٍّ في ذلك اليومِ، فلا يَنزَجِرُ عن شيءٍ، ولا يَرعَوي عن شيءٍ؛ ولذا كان التَّكذيبُ بالبعثِ من أشنعِ أنواعِ الكُفرِ باللهِ جلَّ وعلا

﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾

فبين أن عمار المساجد هم الذين لا يخشون إلا الله، ومن لم يخش إلا الله فلا يرجو ويتوكل إلا عليه؛ فإن الرجاء والخوف متلازمان. والذين يحجون إلى القبور يدعون أهلها، ويتضرعون لهم، ويعبدونهم، ويخشون غير الله، ويرجون غير الله؛ كالمشركين الذين يخشون آلهتهم ويرجونها. ابن تيمية

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❑ تعاهُد المساجد ودوامُ ملازمتها بالطاعة تشهد على إيمان المرء، كما تعينُه على تجويد صلاته، وتسهّل عليه بذلَ ماله، وتغرس فيه تقديمَ مُرادِ الله وخشيته على كلّ مُراد.
- ❑ المساجد بيوتُ الله، فلا يحقُّ أن يُدعى فيها سواه، فمَن دعا فيها صالحًا أو وليًّا واستغاث به، فقد تعدَّى على ربِّه في بيته، وهذا من أبشع سوء الأدب مع الله تبارك وتعالى.
- ❑ ربَط الله عِمارةَ المسجدِ بالإيمان، فمَن عمرَ المساجدَ فلنُحسِن به الظنَّ، حتى يَظهرَ منه خلافُ ذلك.
- ❑ لا تجعل خشيتَك إلا من الله سبحانه؛ فهو الذي بيده الأمر كلُّه، ولن يستطيعَ العباد نفعَك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولا ضَرَّك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.



تفسير السعدي:

لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، فقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾

فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال.

وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالا صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر.

20-ثم صرح بالفضل فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بالنفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ بالخروج بالنفس ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم.

وقفات ولطائف:

19-إذ في عملهم هذا جمع بين الضدين، فإن عمارة البيت الحسية إنما تكون لعمارته المعنوية بعبادته تعالى وحده، وذلك لا يقع إلا من المؤمن الموحّد لكنهم يشركون به غيره ويساوونه ببعض خلقه في العبادة.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

أي: واللهُ لا يوفِّقُ للتَّوبةِ، ولِفعلِ الأعمالِ الصَّالحةِ، الكُفَّاروالمُشركينَ، ومنهم أهلُ سِقايةِ الحاجِّ وعِمارةِ المَسجِدِ الحرامِ، من المُشركينَ الذين ظَلَموا بمُساواةِ أعمالِهم هذه بالإيمانِ باللهِ وباليومِ الآخِروالجهادِ في سبيلِ اللهِ، فوَضَعوا الأشياءَ في غيرِمواضِعِها .

كما قال تعالى: وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ [إبراهيم: 27].

وقال سبحانه: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان: 13].

- قولُ الله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ لَمَّا كانت الأوصافُ التي تحلَّوا بها، وصاروا بها عَبيدَه حقيقةً، هي ثلاثةً: الإيمانُ، والهِجرةُ، والجهادُ بالمالِ والنَّفس- قُوبِلوا في التَّبشيرِبثلاثةٍ: الرَّحمةِ، والرِّضوانِ، والجنَّاتِ. فبدأ بالرَّحمةِ؛ لأنَّها الوَصفُ الأعَمُّ النَّاشِئُ عنها تيسيرُالإيمانِ لهم، وثنَّى بالرِّضوانِ؛ لأنَّه الغايةُ مِن إحسانِ الرَّبِّ لِعَبدِه، وهو مُقابِلُ الجِهادِ؛ إذ هو بَذْلُ النَّفسِ والمالِ، وقُدِّمَ على الجنَّاتِ؛ لأنَّ رِضا اللهِ عن العَبدِ أفضَلُ مِن إسكانِهم الجنَّةَ، و أتى ثالثًا بقَولِه: وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ، أي: دائمٌ لا ينقطِعُ. وهذا مُقابِلٌ لِقَولِه: وَهَاجَرُوا لأنَّهم تركُوا أوطانَهم التي نَشَؤوا فيها، وكانوا فيها مُنعَّمينَ، فآثَرُوا الهِجرةَ على دارِالكُفرِ إلى مُستقَرِّالإيمانِ والرِّسالةِ، فقُوبِلوا على ذلك بالجَنَّاتِ ذواتِ النَّعيمِ الدَّائِمِ، فجاء التَّرتيبُ في أوصافِهم على حسَبِ الو اقِع: الإيمانُ، ثمَّ الهِجرةُ، ثمَّ الجِهادُ. وجاء التَّرتيبُ في المُقابِلِ على حسَبِ الأعَمِّ، ثمَّ الأشْرَفِ، ثمَّ التَّكميلِ

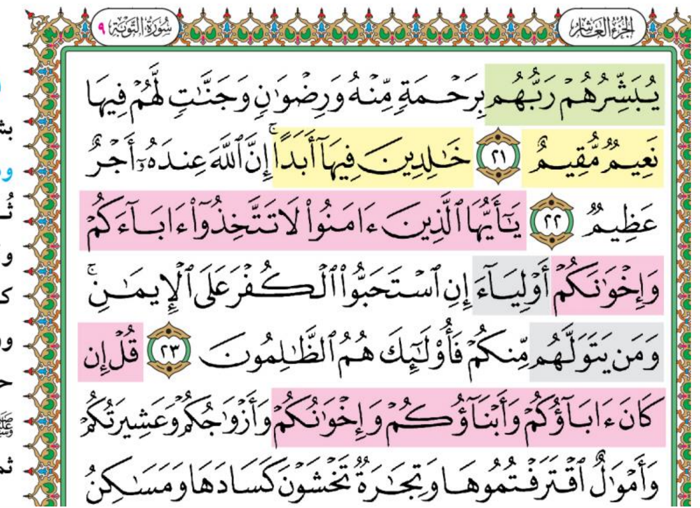
العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

19-حين يعيش المرءُ في ظلُمات الضلال يضطرب ميزانُ حُكمِه على الأشياء، فيقدِّم ما يستحقُّ التأخير، ويؤخِّر ما يستحقُّ التقديم.

ما أبعدَ الظالمَ عن الهداية، وإن تستَّرَبالعبادات، وبعضِ الأعمال الصالحات!

20-أعمال البِرّليست في درجةٍ واحدة، فالإيمانُ بالله والهجرة والجهاد في سبيله أعظمُ الأعمال وأعلاها، وأصحابُها هم السابقون الفائزون.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
19	لَمَّا وقَعَ الكلامُ على أنَّ المُؤمِنينَ هم الأحِقَّاءُ بعِمارةِ المَسجِدِ الحرامِ مِن المُشركِينَ: دلَّ ذلك الكلامُ على أنَّ المَسجِدَ الحَرامَ لا يحِقُّ لِغَيرِ المُسلِمِ أن يُباشِرَ فيه عملًا مِن الأعمالِ الخاصَّةِ به، فكان ذلك مَثارَظَنٍّ بأنَّ القِيامَ بِشَعائِرِالمسجِدِ الحرام مُساوٍللقيامِ بأفضَلِ أعمالِ الإسلامِ.-المحرر- *وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. **لَمَّا نفى اللهُ عزَّ وجلَّ المُساواةَ بين الفَريقين، أوضَحَ مَن الراجِحُ مِنهما**، ولَمَّا أثبَتَ الهِدايةَ للمُؤمنينَ بِقَولِه: فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، نفاها عن المُشرِكينَ فقال : وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.
20	*. **استئناف لبيان مراتب فضلهم زيادة في الرد، وتكميلا له**.-الوسيط- *لما حكَم الله تعالى بأنَّ الصنفين لا يستوون بقولِه: لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ؛ بيَّن ذلك وأوضَحه، فعدَّد الإيمانَ والهِجرةَ والجهادَ، وحكَم أنَّ أهلَ هذه الخصال أعظَمُ دَرَجَةً عندَ اللَّهِ من جميع الخلق، ثم حكَم لهم بالفوزبرحمتِه ورضوانه، مع تفصيلٍ للجهادِ المذكورفي قولِه: وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ بأنَّه الجِهادُ بالأموالِ والأنفُس



٢١←(٤)←٢٤
بشارةُ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، ثُمَّ التحذيرُ من ولايةِ الكافرين وإن كانوا أولي قربى، ووجوبُ تقديم حبِّ اللهِ ورسوله ﷺ والجهادِ على ثمانيةِ أشياء.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها
21	*ثم فصل - سبحانه - هذا الفوز.-الوسيط- *لما قال الله تعالى: أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ، وقال: وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ؛ أتبعه ببيانِ هذه الدَّرجةِ العَظيمةِ، وهذا الفوزِ المُجمَل ، فقال: يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ.-المحرر- أي: يُعْلِمُ اللهُ الذين آمَنوا وهاجَروا وجاهَدوا في سبيلِ اللهِ، بأنَّ لهم رحمةً عظيمةً مِن ربِّهم، يزولُ بها عنهم الشرورُ، ويصلُ إليهم بها كلُّ خيرٍ، و أنَّه رَضِيَ عنهم رضًا كاملًا، فلا يسخطُ عليهم أبدًا
22	قال الآلوسى :ذكر أبو حيان أنه - تعالى - **لما وصف المؤمنين بثلاث صفات الإيمان والهجرة، والجهد بالنفس والمال، قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث :الرحمة والرضوان، والجنة.** وبدأ - سبحانه - بالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقفها عليه، ولأنها أعم النعم وأسبقها كما أن الإيمان هو السابق. وثنى - سبحانه - بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان في مقابلة الجهاد الذي هو بذل الأنفس والأموال. وثلث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان، إشارة إلى أنهم لما آثروا تركها - في سبيله أعطاهم بدلها داراً عظيمة دائمة وهى الجنات.

تفسير السعدي:

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ جودًا منه، وكرما وبرا بهم، واعتناء ومحبة لهم، ﴿بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم [بها] كل خير. ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ منه تعالى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا.

﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ من كل ما اشتهته الأنفس، وتلذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى، الذي منه أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا ينتقلون عنها، ولا يبغون عنها حِوَلًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لا تستغرب كثرته على فضل الله، ولا يتعجب من عظمه وحسنه على من يقول للشيء كن فيكون.

وقفات ولطائف: عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ رَضِيَ الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ اللهَ يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ. فيقولون: لبَّيكَ ربَّنا وسَعْدَيكَ، والخيرُ في يديكَ. فيقولُ: هل رَضِيتُم؟ فيقولونَ: وما لنا لا نَرضى يا ربِّ، وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خَلْقِك؟! فيقولُ: ألَا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلك؟ فيقولونَ: يا ربِّ، وأيُّ شَيءٍ أفضَلُ مِن ذلك؟! فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخَطُ عليكم بَعدَه أبدًا)) .

وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ.

أي: ويُبَشِّرُهم اللهُ أيضًا بجنَّاتٍ لهم فيها نعيمٌ دائِمٌ لا يزولُ .

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ [فصلت: 8].

وقال سُبحانه: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا [الطلاق: 11].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ في الجنَّةِ مِئة درجةٍ، أعَدَّها اللهُ للمُجاهِدينَ في سبيلِه، كُلُّ دَرَجتَينِ ما بينهما كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، فإذا سألتُمُ اللهَ فَسَلُوه الفِردَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجَنَّةِ، وأعلى الجنَّةِ، وفوقَه عَرشُ الرَّحمنِ، ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ)) .

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

أي: ماكِثينَ في تلك الجَنَّاتِ بلا نهايةٍ .

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا [الكهف: 107- 108].

إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

أي: إنَّ اللهَ عنده جزاءٌ وثوابٌ كَبيرٌ على الأعمالِ الصَّالحةِ، يمنَحُه للمُؤمنينَ في الآخرةِ .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❖ الله تبارك وتعالى هو المالكُ المربّي لعباده، المدبّر لشؤونهم بحكمته، ذو البُشرى بما يَسُرُّ أولياءه، لا ينقطع عن خَلقه برُّه، ولا يزال يصل إليهم خيرُه.
- ❖ ثلاث بشاراتٍ لذوي الأعمال الصالحات: الرحمةُ، والرضوانُ، والجنَّات التي تحتضِن النعيمَ المُقيم، فما أعظمَها من ثلاث!
- ❖ ليستبشر المؤمنون برحمةٍ من الله مقابلَ ما لَقُوا من الأذى والعناء في سبيله، وبرضوانه مقابلَ ما لَقُوا من سخَط الناس في مَرضاته، وبجنَّات الخُلد مقابلَ مفارقتهم لأوطانهم ومنازلهم؛ دعوةً أو جهادًا أو هجرةً في سبيله.
- ❖ 22-الدنيا إلى زوال، وساكنُها إلى انتقال، فاعمل لدارٍ لا زوالَ لها، ومنازلَ لا انتقالَ منها.
- ❖ يا له من أجرٍ لا يحيط به عقلٌ لسَعَته، ولا تعلم نفسٌ مقدارَ عظمته، كيف لا وواهبه الربُّ الكريم؟!

الجزء العاشر — سورة التوبة ٩

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ

٢١←(٤)←٢٤
بشارةُ الذينَ آمنُوا وهاجرُوا وجاهدُوا، ثُمَّ التحذيرُ من ولايةِ الكافرينَ وإن كانُوا أُولِي قُربى، ووجوبُ تقديمِ حبِّ اللهِ ورسولِه ﷺ والجهادِ على ثمانيةِ أشياء.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
23	**ولَمّا فَرَغَ مِنَ العاطِفَةِ بِمَحاسِنِ الأعْمالِ، شَرَعَ في العاطِفَةِ بِالأنْسابِ والأمْوالِ**، وقَدَّمَ الأوَّلَ إشارَةً إلى أنَّ المُجانَسَةَ في الأفْعالِ مُقَدَّمَةٌ عَلى جَمِيعِ الأحْوالِ، ولَمّا كانَ مَحَطُّ المُوالاةِ المُناصَرَةَ، وكانَتِ النُّصْرَةُ بِالآباءِ والإخْوانِ أعْظَمَ مِنَ النُّصْرَةِ بِغَيْرِهِمْ؛ لِأنَّ مَرْجِعَها إلى كَثْرَةِ الأعْوانِ والأخْدانِ، اقْتَصَرَ عَلَيْها.-البقاعي-

تفسير السعدي:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم به. و﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ﴾ الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم ﴿أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، و اتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله.

ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ في النسب والعشرة ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي: قر اباتكم عمومًا ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كَدّ.

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأو اني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ من حسنها وزخرفتها ومو افقتها لأهو ائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الذي لا مرد له.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.

وقفات ولطائف: قال القرطبي: وخص- سبحانه- الآباء والإخوة إذ لا قر ابة أقرب منها. فنفى المولاة بينهم ليبين أن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 23-من مُقتَضى الإيمانِ البراءةُ على أساس العقيدة، وتقديمُ رابطة الدين على رابطة القر ابة.
- الوَلاية لله هي الآصرةُ التي تجمع البشريةَ كلَّها، فلا تُقدَّمُ عليها آصرةُ نسبٍ ولا قر ابة ولا غيرهما.
- إن كان الآباءُ والإخوان الكفَّارُ لا وَلاية لهم، فمَن هم دونَهم أولى.
- حادَ عن الجادَّة وظلم؛ مَن وضع الوَلايةَ موضعَ البراءة، والمودَّةَ محلَّ العداوة.

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ

ووجوبُ تقديمِ حبِّ اللهِ ورسولِه ﷺ والجهادِ على ثمانيةِ أشياء.

٢٥←(٣)←٢٧

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
24	***لما كانتِ الأنفُس مُختلِفةَ الهِمَم، مُتبايِنةَ السَّجايا والشِّيَم، كان هذا غيرَ كافٍ في التَّهديدِ لِكُلِّها، فأتبَعَه تَهديدًا أشَدَّ منه بالنِّسبةِ إلى تلك النُّفوسِ**، فقال مُنتَقِلًا من أسلوبِ الإقبالِ إلى مقامِ الإعراضِ المُؤذِنِ بزَواجِرِ الغَضَبِ . قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ. أي: قل- يا محمَّدُ- للمُتخَلِّفينَ عن الهِجرةِ إلى دارِالإسلامِ: إن كان آباؤُكم و أبناؤُكم، وإخوانُكم في النَّسَبِ وزوجاتُكم، وعمومُ أقارِبِكم . ***ثم أمر- سبحانه- رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلن للناس هذه الحقيقة: وهي أن محبة الله ورسوله يجب أن تفوق كل محبة لغيرهما** فقال- تعالى-: قُلْ يا محمد لمن اتبعك من المؤمنين: إِنْ كانَ آباؤُكُمْ الذين أنتم بضعة منهم، وَ أَبْناؤُكُمْ الذين هم قطعة منكم وَإِخْوانُكُمْ الذين تربطكم بهم وشيجة الرحم وَأَزْواجُكُمْ اللائي جعل الله بينكم وبينهن مودة ورحمة وَعَشِيرَتُكُمْ أى: أقاربكم الأدنون الذين تربطكم بهم رابطة المعاشرة والعصبة وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها أى: اكتسبتموها فهي عزيزة عليكم.

تفسير السعدي:

ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ في النسب والعشرة ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي: قر اباتكم عمومًا ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كدّ.

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فأنتم فسقة ظلمة.﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الذي لا مرد له.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.

وقفات ولطائف:. عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ بِهِنَّ حَلاوةَ الإيمانِ: مَن كان اللهُ ورَسولُه أحَبَّ إليه ممَّا سِواهما، وأنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلَّا لله، وأن يَكرَهَ أن يعودَ في الكُفرِ بعد أن أنقَذَه اللهُ منه، كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النَّارِ)) .

وعنه أيضًا، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((لا يُؤمِنُ أحَدُكم، حتى أكونَ أحَبَّ إليه من وَلَدِه ووالِدِه والنَّاسِ أجمَعينَ)) .

وعن عبدِ اللهِ بنِ هِشامٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنَّا مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَبنِ الخطَّابِ، فقال له عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، لأنت أحَبُّ إليَّ مِن كُلِّ شَيءٍ إلَّا مِن نفسي، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا والذي نفسي بيَدِه، حتَّى أكونَ أحَبَّ إليك مِن نَفسِك. فقال له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللهِ لأنتَ أحَبُّ إليَّ مِن نَفسي. فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: الآنَ يا عُمَرُ)) .

عن أبي أُمامةَ رَضِيَ الله عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن لم يَغزُ أو يُجهِّزْ غازِيًا، أو يَخْلُفْ غازيًا في أهلِه بخَيرٍ؛ أصابَه اللهُ سُبحانه بقارعةٍ قبلَ يَومِ القيامةِ)) .

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن مات ولم يَغزُ، ولم يحدِّث به نفسَه، مات علَى شُعبةٍ من نِفاقٍ)) .

وعن ابنِ عُمَرَرَضِيَ اللهُ عنهما قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((إذا تَبايَعتُم بالعِينةِ ، وأخَذْتُم أذنابَ البَقَرِ ، ورَضِيتُم بالزَّرعِ، وتَركْتم الجِهادَ؛ سلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا يَنزِعُه، حتى تَرجِعُوا إلى دينِكم)) .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ☐ 24-مصلحة الدين لا تُقدَّم عليها أيُّ مصلحة دُنيويَّة عند التعارُض، وبذلك يُعرَف طالبُ الدنيا من طالب الآخرة.
- ☐ إذا تجذَّر حبُّ الله ورسوله في القلب لم يُقدِّم صاحبُه على ذلك حبَّ شيءٍ في الوجود.
- ☐ في شعور الحبِّ يحصُل الابتلاء، فيتبيَّن به قَدرُ المحبوب في قلب المُحبِّ؛ بذِكره له، و انشغاله به، وتوجُّهِه إليه، و انصرافِ انقياده لما يريد.
- ☐ ليس مطلوبًا من المسلم أن ينقطعَ عن محبوبات الدنيا الحسِّيَّة والمعنويَّة المُباحة، و إنما المطلوبُ ألا يقدِّمَها على الحبِّ الأعلى؛ حبِّ الله ورسوله.
- ☐ برهِن على إيمانك بتقديم ما يحبُّه الشرع، على ما يستحبُّه الطبع.
- ☐ كم يَجني الفسقُ على أهله! وكم يحرِمُهم من خيرٍ يُرتجى! فمَنعُ الهداية من أعظم الحِرمان.

- *ذكَرَ تعالى الأمورَ الدَّاعيةَ إلى مُخالطةِ الكُفَّار، وهي أمورٌ أربعةٌ:

أوَّلها: مُخالطةُ الأقاربِ، وذكر منهم أربعةَ أصنافٍ على التَّفصيلِ، وهم: الآباءُ والأبناءُ والإخوانُ والأزواجُ، ثُمَّ ذكَرَ البقيَّةَ بلفظٍ واحدٍ يتناوَلُ الكُلَّ، وهو لفظُ العَشيرةِ.

وثانيها: المَيلُ إلى إمساكِ الأموالِ المُكتَسَبةِ.

وثالثها: الرَّغبةُ في تحصيلِ الأموالِ بالتِّجارةِ.

ورابعها: الرَّغبةُ في المساكِنِ.

ولا شَكَّ أنَّ هذا التَّرتيبَ ترتيبٌ حَسَنٌ؛ فإنَّ أعظَمَ الأسبابِ الدَّاعيةِ إلى المُخالطةِ القَرابةُ، ثُمَّ إنَّه يُتوصَّلُ بتلك المُخالَطةِ إلى إبقاءِ الأموالِ الحاصِلةِ، ثُمَّ إنَّه يُتوصَّلُ بالمُخالطةِ إلى اكتسابِ الأموالِ التي هي غيرُ حاصلةٍ، وفي آخِرِ المراتِبِ الرَّغبةُ في البناءِ في الأوطانِ، والدُّورِ التي بُنِيَت لأجلِ السُّكنى، فذكَرَ تعالى هذه الأشياءَ على هذا التَّرتيبِ الواجِبِ.

*ذكَرَ الأبناءَ هنا؛ لأنَّه ذكَرَ المحبَّةَ، وهم أعلَقُ بالنَّفسِ، بخلافِ الآيةِ قَبلَها فلم يُذكَروا؛ لأنَّ المَقصودَ منها الرَّأيُ والمَشورةُ.

وجهُ الاقترانِ بين محبَّةِ اللهِ ومَحبَّةِ رَسولِه، في قَولِه تعالى: أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أنَّه لا تتِمُّ محبَّةُ اللهِ إلَّا بمحبَّةِ ما يُحِبُّه، وكراهةِ ما يكرَهُه، ولا طريقَ إلى مَعرفةِ ما يُحبُّه وما يَكرَهُه -تعالى- إلَّا مِن جهةِ نبيِّه المُبَلِّغِ عنه -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- ما يُحبُّه وما يَكرَهُه، فصارت مَحبَّةُ اللهِ مُستلزِمةً لِمَحبَّةِ رَسولِه وتَصديقِه ومُتابَعتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) .

***أخَّرَ هنا حبَّ الزوجيَّةِ عن حُبِّ البَنِينَ**: لأنَّ الكَلامَ في الحُبِّ المُعارِضِ لحُبِّ اللهِ ورَسولِه والجهادِ في سبيلِه، وما يُخشَى مِن حَملِه على مُوالاةِ أهلِ الكُفرِ في الحَربِ على المُؤمنينَ، وقلَّما تكونُ زَوجُ الرَّجُلِ مُعارِضةً له في دينِه، ووَلايةِ مَن يَدينُ للهِ بوَلايتِه، كما يُعارِضُه أبوه و ابنُه وأخوه مِن أهلِ الحَربِ دونَ امرأتِه. وقدَّمَه على حُبِّ البَنِينَ في قَولِه تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ [آل عمران:14]؛ لأنَّ الكلامَ في الآيةِ على حُبِّ الشَّهَواتِ، وهو أقوى الشَّهواتِ البَشَريَّةِ على الإطلاقِ

قال اللّه تعالى: وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا خَصَّ الأموالَ المُقتَرَفةَ بالذِّكرِ؛ لأنَّها أرغَبُ عند أهلِها، وصاحِبُها أشَدُّ حِرصًا عليها مِمَّن تأتيه الأموالُ مِن غيرِ تعَبٍ ولا كَدٍّ؛ فحُبُّ الأموالِ المُقتَرَفةِ -أي: المُكتَسَبةِ- أقوى في النَّفسِ مِن حُبِّ الأموالِ المَورُوثةِ؛ لأنَّ عَناءَ الإنسانِ في اقترافِها يجعَلُ لها في قَلبِه مِن القيمةِ والمَنزِلةِ ما ليس لِمَا جاءَه عَفوًا، كما هو مشهورٌ بين النَّاسِ عِلمًا وعَمَلًا) .

وخص الجهاد بالذكر من عموم ما يحبه الله منهم تنويها بشأنه، ولأن ما فيه من الخطر على النفوس، ومن إنفاق الأموال ومفارقة الإلف، جعله أقوى مظنة للتقاعس عنه، لا سيما والسورة نزلت عقب غزوة تبوك التي تخلف عنها كثير من المنافقين وبعض المسلمين. ابن عاشور

دلَّ قولُه تعالى: فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ على أنَّ مَحبَّةَ اللهِ تعالى فَرْضٌ على العِبادِ؛ لأنَّه سُبحانه توعَّدَ مَن قدَّمَ محبَّةَ غيرِه على مَحبَّتِه ومَحبَّةِ رَسولِه، والوعيدُ لا يقعُ إلَّا على فَرْضٍ لازِمٍ، وحَتمٍ واجِبٍ

ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ
تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ
بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢٥←(٣)←٢٧

لمَّا أَمرَ بالقتالِ والجهادِ ذكَّرَ المؤمنينَ هنا بأنَّه نَصَرَهم في مواطنَ كثيرةٍ ليعتزُّوا بدينِهم، ولكن لا يُعجبُوا بكثرتِهم كيوم حُنَين ٨ هـ، لمَّا أُعجبُوا بكثرتِهم انهزمُوا، فلمَّا تضرعُوا إلى اللهِ نَصَرَهم.

٢٤- ﴿ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾: اكتسبتُموها، ﴿كَسَادَهَا﴾: عدمَ رواجِها، ٢٥- ﴿وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾: فررتُم منهزمين.

(٢٤) ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ...﴾ الآيةُ دليلٌ على وجوبِ محبّةِ اللهِ ورسولِه ﷺ، وعلى تقديمِها على محبّةِ كلِّ شيءٍ.

(٢٥) ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ إذا قلتَ: يا ربُّ تولاكَ اللهُ، أمَّا إن قلتَ: «يا أنا» تخلَّى عنك.

(٢٦) ﴿وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ ليس شرطًا أن ترى خطواتِ الفَرَجِ، الفَرَجُ يسيرُ إليكَ في الخفاءِ وأنت لا تدري.

٢٣: الممتحنة [٩]، المائدة [٥١]، ٢٥: آل عمران [١٢٣].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
25	لَمَّا تقدَّمَ قَولُه: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ [التوبة:14] واستطرَدَ بعد ذلك بما استطرَدَ: ذَكَّرهم تعالى نَصرَه إيَّاهم في مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ .-أبو حيان- و أيضًا لَمَّا تضمَّنَتِ الآياتُ السَّابقةُ الحَثَّ على قِتالِ المُشرِكينَ ابتداءً مِن قَولِه تعالى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [التوبة: 5]، وكان التَّمهيدُ للإقدامِ على ذلك مُدرَّجًا؛ بإبطالِ حُرمةِ عَهدِهم لِشِركِهم، وبإظهارِ أنَّهم مُضمِرونَ العَزمَ على الابتداءِ بنَقضِ العُهودِ التي بينهم وبين المُسلِمينَ، لو قُدِّرَ لهم النَّصرُ على المسلمين، وهَمِّهم بإخراجِ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، حتى إذا انتهى ذلك التَّمهيدُ المُدرَّجُ إلى الحَثِّ على قتالِهم، وضَمانِ نَصرِ اللهِ المُسلِمينَ عليهم، وما اتَّصَل بذلك ممَّا يُثيرُ حماسةَ المُسلِمينَ- جاء في هذه الآيةِ بِشَواهِدِ ما سبق مِن نَصرِ اللهِ المُسلِمينَ في مواطِنَ كَثيرةٍ، وتذكيرٍ بمُقارنةِ التَّأييدِ الإلهيِّ لِحالةِ الامتثالِ لأوامِرِه، وأنَّ في غَزوةِ حُنَينٍ شَواهِدَ تَشهدُ للحالَيْنِ .

يربِّي اللّه عبادَه المؤمنين ببعض الجِراح، ليَسلَمَ جسدُ الإيمان، فالأجسام قد تَصِحُّ بالعِلَل.

تفسير السعدي:

يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء،
حتى في يوم ﴿حنين﴾ الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها.
وذلك أن النبي ﷺ لما فتح مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم ﷺ في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا اثني عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة.
فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي ﷺ يركض بغلته نحو المشركين ويقول: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة.
فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين، هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم.
وذلك قوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف.
﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ أي: لم تفدكم شيئا، قليلًا ولا كثيرًا ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ﴾ بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتم ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: على رحبها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منهزمين.

وقفات ولطائف:

﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَ﴾
يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم، وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره، لا بعددهم، ولا بُعَددهم، ونبههم على أن النصر من عنده. ابن كثير
قولُ اللهِ تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا أسنَدَ سُبحانه الفِعلَ للجَمعِ؛ إشارةً إلى أنَّهم لعُلُوِّ مَقامِهم ينبغِي ألَّا يكونَ منهم مَن يقولُ مثلَ ذلك
- قولُه تعالى: إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فيه تنبيهٌ على خَطئِهم في الأدبِ مع اللهِ، المناسِبِ لَمقامِهم، أي: ما كان يَنبغي لكم أن تَعتمِدوا على كَثرتكم

﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾
كانوا يومئذ [اثني] عشر ألفاً، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فأراد الله إظهار عجزهم، ففرَّ الناس عن رسول الله -ﷺ- حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار، وقال: (شاهت الوجوه)، ونادى بأصحابه فرجعوا إليه، وهزم الله الكفار. ابن جزي
*قال بعضهم: لن نغلب اليوم عن قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة، فكان ما ذكرناه من الهزيمة في الابتداء إلى أن تراجعوا. البغوي

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

غزوة حنين

و افقت أحداث هذه الغزوة السابع من شهر شوال، من السنة الثامنة من هجرة النبي المصطفى ﷺ. ودارت رحاها في وادي حنين، وهو وادٍ إلى جنب ذي المجَاز، بينه وبين مكة سبعة وعشرون كيلو مترًا تقريبًا، من جهة عرفات. وكان عدد المسلمين الذين اجتمعوا في هذه المعركة اثنا عشر ألفًا؛ عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفين من أهل مكة .

سبب الغزوة :

لقد كان فتح مكة كما قال ابن القيم : " الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدي للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين. وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء...ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياء و ابتهاجًا . "

وكان لهذا الفتح الأعظم رد فعل معاكس لدى القبائل العربية الكبيرة القريبة من مكة، وفي مقدمتها قبيلتا (هوزان) و(ثقيف). فقد اجتمع رؤساء هذه القبائل، وسلموا قياد أمرهم، إلى مالك بن عوف سيد (هوزان). وأجمعوا أمرهم على المسير لقتال المسلمين، قبل أن تتوطد دعائم نصرهم، وتنتشر طلائع فتحهم .

مجريات الغزوة ووقائعها :

وكان مالك بن عوف رجلاً شجاعًا ومقدامًا، إلا أنه كان سقيم الرأي، وسيء المشورة؛ فقد خرج بقومه أجمعين، رجالاً ونساء وأطفالاً وأموالاً؛ ليُشعر كل رجل وهو يقاتل أن ثروته وحرمته وراءه فلا يفر عنها. وقد اعترضه في موقفه هذا دريد بن الصمة - وكان فارسًا مجربًا محنكًا، قد صقلته السنون، وخبرته الأحداث - قائلاً له: وهل يرد المنهزم شيء؟ إن كانت الدائرة لك، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك: فضُحْتَ في أهلك ومالك. فسفَّه مالك رأيه، وركب رأسه، وأصر على المضي في خطته، لا يثنيه عن ذلك شيء .

و انتهى خبر مالك وما عزم عليه إلى رسول الله ﷺ، فأخذ يجهز جيشه، ويعد عدته لمواجهة هذا الموقف. وكان مالك بن عوف قد استبق زمام المبادرة وتوجه إلى حنين، وأدخل جيشه بالليل في مضائق من ذلك الوادي، وفرق أتباعه في الطرق والمداخل، وأصدر إليهم أمره، بأن يرشقوا المسلمين عند أول ظهورلهم، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد .

وكان رسول الله ﷺ قد عبأ جيشه بالسَّحَر، وعقد الألوية والرايات، وفرقها على الناس، وقبل أن يبزغ فجر ذلك اليوم، استقبل المسلمون وادي حنين، وشرعوا ينحدرون فيه، وهم لا يدرون بما كان قد دُبِّر لهم بليل. وبينما هم ينحطون على ذلك الوادي، إذا بالنبال تمطر عليهم من كل حدب وصوب، وإذا بكتائب العدو قد شدت عليهم شدة رجل واحد، فانهزم المسلمون راجعين، لا يلوي أحد على أحد، وكانت هزيمة منكرة لذلك الجمع الكبير.

و انحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وهو يقول: (إلي يا عباد الله، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) ولم يبق معه في موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين والأنصار.

وقد روى لنا العباس ﷺ هذا الموقف العصيب، وصوَّره لنا أدق تصوير، فقال: (شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار، فقال رسول الله ﷺ: أي عباس ! نادِ أصحاب السَّمُرَة - أي: أصحاب بيعة العقبة - فقال عباس : أين أصحاب السمرة ؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتَهم حين سمعوا صوتي، عَطْفَة البقر على أولادها - أي: أجابوا مسرعين - فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار...فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال: حمي الوطيس ، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب محمد ، قال: فذهبت أنظر ، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبرًا - يعني قوتهم ضعيفة، وأمرهم في تراجع وهزيمة -) هذه رواية مسلم في "صحيحه". وقد فرَّ مالك بن عوف ومن معه من رجالات قومه، والتجؤوا إلى الطائف، وتحصنوا بها، وقد تركوا وراءهم مغانم كثيرة، فأرسل رسول الله ﷺ على أثرهم فريقًا من الصحابة، حاصروهم، وقاتلوهم حتى حسموا الأمر معهم .

وهذا الحدث وما رافقه من مجريات ووقائع، هو الذي أشار إليه سبحانه وتعالى، بقوله: { ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين و أنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين } (التوبة:26-25) .

لقد كان موقف رسول الله وثباته في هذه المعركة مع قلة من الصحابة دليلاً ناصعًا، وبرهانًا ساطعًا على عمق إيمانه بالله، وثقته بنصره وتأييده، وتحققه بأن نتيجة المعركة سوف تكون إلى جانب الحق.

و إنك لتبصر صورة نادرة، وجرأة غير معهودة في مثل هذه المو اقف؛ فقد تفرقت عنه ﷺ الجموع، وولوا الأدبار، لا يلوي واحد منهم على أحد، ولم يبق إلا رسول الله وسط ساحات الوغى، حيث تحفُّ به كمائن العدو من كل جانب، فثبت ثباتًا عجيبًا، امتد أثره إلى نفوس أولئك الفارين، فعادت إليهم من ذلك المشهد رباطة الجأش، وقوة العزيمة .

موقف أم سليم :

ومن المو اقف المشرفة في هذه المعركة موقف الصحابية أم سُليم ، وكانت مع زوجها أبي طلحة . وقد روت كتب الحديث والسِّيَر بسند صحيح وقائع خبرها، فعن أنس ، أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها فرآها أبو طلحة ، فقال: يا رسول الله ! هذه أم سليم ، معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: (يا أم سليم! إن الله قد كفى وأحسن

تداعيات هذه الغزوة

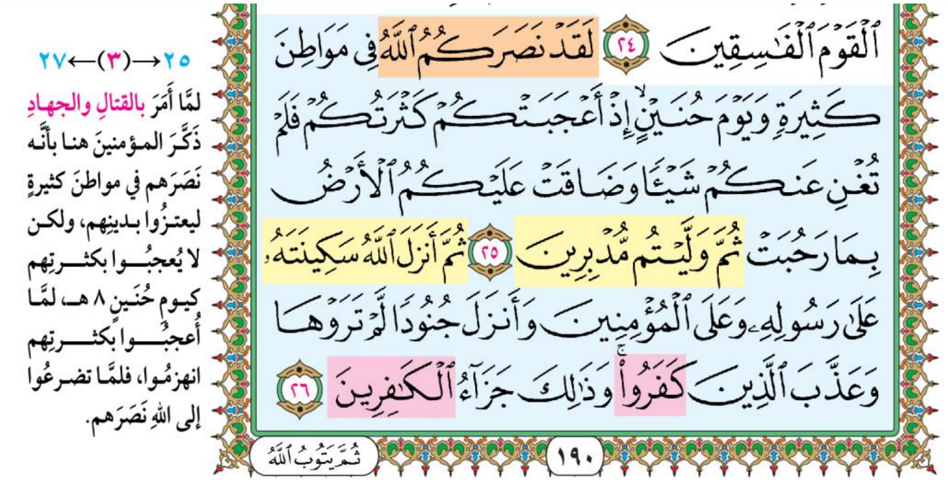
ثم إن من تداعيات هذه المعركة، ما كان من مسألة تقسيم الغنائم - وقد غنم المسلمون مغانم كثيرة في هذه المعركة - وكانت هذه القسمة من رسول الله ﷺ، مبنية على سياسة حكيمة، لكنها لم تُفْهَم أول الأمر، فأُطْلِقتْ ألسنة شتى بالاعتراض، والقيل والقال .وحاصل خبر تداعيات تقسيم الغنائم، ما رواه ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري ، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ، ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القَالَةُ - يعني كثرة الكلام بين الناس - حتى قال قائلهم: لقي - والله - رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: (فأين أنت من ذلك يا سعد ؟) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة). فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا. وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال: لقد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، و أثنى عليه، ثم قال: (يا معشر الأنصار، ما قَالَة بلغتني عنكم، وَجِدَةٌ وجدتموها عليَّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟) قالوا: بلى، الله ورسوله أمَنُّ و أفضل. ثم قال: (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟) قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل. قال: (أما والله لو شئتم لقلتم، فصَدَقْتُمْ ولصُدِّقْتُمْ: أتيتنا مُكَذَّبًا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسَيْنَاك. أوَجَدْتُمْ يا معشر الأنصار في أنفسكم فيَّ لَعَاعَةٍ من الدنيا - يعني شيئًا تافهًا - تَألَّفْتُ بها قومًا ليُسْلِمُوا، ووَكَلْتُكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْبًا، وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شِعب الأنصار. و إنكم ستلقون أثرة من بعدي، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض. اللّهم ارحم الأنصار، و أبناء الأنصار، و أبناء أبناء الأنصار) فبكي القوم حتى اخضلت - تبللت - لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قَسْمًا وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرق الجمع .

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا كان يومُ حُنَينٍ أقبلَت هوازنُ وغطَفانُ وغيرُهم بنعَمِهم وذَرارِيِّهم، ومع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم عَشرةُ آلافٍ، ومِنَ الطُّلَقاءِ، فأدبَرُوا عنه حتى بَقِيَ وَحدَه، فنادى يومَئذٍ نِداءَينِ، لم يَخلِطْ بينهما؛ التفتَ عن يمينِه فقال: يا معشَرَ الأنصارِ. قالوا: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ، أبشِرْ نحن معَك، ثمَّ التفتَ عن يَسارِه فقال: يا مَعشَرَ الأنصارِ. قالوا: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ، أبشِرْ نحنُ معك، وهو على بَغلةٍ بَيضاءَ، فنزَلَ فقال: أنا عَبدُ اللهِ ورَسولُه، فانهزَمَ المُشرِكونَ)) . رواه البخاري ومسلم

وعن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ رَضِيَ الله عنه، قال: ((شَهِدْتُ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَ حُنَينٍ، فلَزِمْتُ أنا و أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلم نُفارِقْه، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على بغلةٍ له بيضاءَ، أهداها له فَروةُ ابنُ نُفاثةَ الجُذاميُّ، فلمَّا التقى المُسلِمونَ والكُفَّارُ ولَّى المُسلِمونَ مُدبِرينَ، فطَفِقَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُركِضُ بَغلَتَه قِبَلَ الكُفَّارِ، قال عبَّاسٌ: و أنا آخِذٌ بلِجامِ بَغلةِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أكُفُّها؛ إرادةَ ألَّا تُسرِعَ، و أبو سُفيانَ آخِذٌ برِكابِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أيْ عبَّاسُ، نادِ أصحابَ السَّمُرةِ. فقال عبَّاس- وكان رَجُلًا صَيِّتًا-: فقُلْتُ بأعلى صوتي: أين أصحابُ السَّمُرةِ؟ قال: فواللهِ، لكأنَّ عَطفَتَهم- حين سَمِعوا صوتي- عَطفةُ البَقَرِ على أولادِها، فقالوا: يا لبَّيكَ، يا لبَّيكَ، قال: فاقتَتَلوا والكُفَّارَ، والدَّعوةُ في الأنصارِ يقولون: يا مَعشرَ الأنصارِ، يا مَعشرَ الأنصارِ. قال: ثمَّ قَصُرَت الدَّعوةُ على بني الحارثِ بنِ الخَزرَجِ، فقالوا: يا بَني الحارثِ بنِ الخَزرجِ، يا بني الحارثِ ابنِ الخزرجِ، فنظَرَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهو على بَغلَتِه كالمُتطاوِلِ عليها إلى قِتالِهم، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: هذا حينَ حِمِيَ الوَطيسُ. ثم أخذَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حَصَياتٍ فرمى بهِنَّ وُجوهَ الكُفَّارِ، ثم قال: انهَزَموا وربِّ مُحمَّدٍ.قال: فذهَبْتُ أنظُرُ، فإذا القِتالُ على هَيئَتِه فيما أرى، قال: فواللهِ، ما هو إلَّا أن رماهم بحَصَياتِه، فما زِلْتُ أرى حَدَّهم كَليلًا، وأمْرَهم مُدبِرًا)) رواه مسلم.

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((افتَتَحْنا مكَّةَ، ثم إنَّا غزَوْنا حُنينًا، فجاء المُشركون بأحسَنِ صُفوفٍ رأيتُ، فصُفَّتِ الخَيلُ، ثم صُفَّتِ المُقاتِلة، ثم صُفَّتِ النِّساءُ مِن وراء ذلك، ثمَّ صُفَّتِ الغَنَمُ، ثم صُفَّتِ النَّعَمُ، ونحن بَشَرٌ كثيرٌ، وعلى مُجَنِّبةِ خَيلِنا خالدُ بنُ الوليد، فجعَلَتْ خيلُنا تلوي خَلْفَ ظُهورِنا، فلم نلبَثْ أن انكشَفَت خَيلُنا، وفرَّتِ الأعرابُ ومَن نعلَمُ مِن النَّاسِ، فنادى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يا لَلمُهاجِرينَ، يا لَلمُهاجِرينَ. ثم قال: يا لَلأنصارِ، يا لَلأنصارِ. قُلنا: لبَّيك يا رسولَ الله، قال: فتقَدَّمَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَايمُ اللهِ، ما أتَيناهم حتَّى هَزَمَهم اللهُ، فقَبَضْنا ذلك المالَ، ثم انطَلَقْنا إلى الطَّائِفِ فحاصَرْناهم أربعينَ ليلةً، ثم رَجَعْنا إلى مكَّةَ، فنزَلْنا، فجعل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُعطي الرَّجُلَ المِئةَ مِن الإبِلِ))رواه مسلم

وعن أبي إسحاقَ، قال: ((قال رجلٌ للبَراءِ: يا أبا عُمارةَ، أفرَرْتم يومَ حُنَينٍ؟! قال: لا واللهِ، ما ولَّى رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولكِنَّه خرَجَ شُبَّانُ أصحابِه وأخِفَّاؤُهم حُسَّرًا، ليس عليهم سِلاحٌ أو كثيرُ سِلاحٍ، فلَقُوا قومًا رُماةً، لا يكادُ يَسقُطُ لهم سَهمٌ؛ جمْعَ هوازِنَ وبني نَصرٍ، فرَشَقوهم رشْقًا ما يكادُونَ يُخطِئونَ، فأقبَلُوا هناك إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على بَغلَتِه البَيضاءِ، و أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ يقودُ به، فنزل فاستنصَرَ، وقال: أنا النبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ)) رواه البخاري ومسلم


ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ
تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ
بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ — ١٩٠

٢٥→(٣)→٢٧
لمَّا أَمَرَ بالقتالِ والجهادِ ذَكَّرَ المؤمنينَ هنا بأنَّه نَصَرَهم في مواطنَ كثيرةٍ ليعتزُّوا بدينِهم، ولكن لا يُعجبُوا بكثرتِهم كيومِ حُنَينٍ ٨ هـ، لمَّا أُعجبُوا بكثرتِهم انهزمُوا، فلمَّا تضرعُوا إلى اللهِ نَصَرَهم.

٢٤- ﴿ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾: اكتسبْتمُوها، ﴿كَسَادَهَا﴾: عدمَ رَواجِها، ٢٥- ﴿وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾: فررْتمْ مُنهزِمِينَ.
(٢٤) ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ...﴾ الآيةُ دليلٌ على وجوبِ محبّةِ اللهِ ورسولِه ﷺ، وعلى تقديمِها على محبّة كلِّ شيءٍ.
(٢٥) ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ إذا قلتَ: يا ربُّ تولاكَ اللهُ، أمَّا إن قلتَ: «يا أنا» تخلَّى عنكَ.
(٢٦) ﴿وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ ليس شرطًا أن ترى خطواتِ الفَرَجِ، الفَرَجُ يسيرُ إليكَ في الخفاءِ وأنت لا تدري.
٢٣: الممتحنة [٩]، المائدة [٥١]، ٢٥: آل عمران [١٢٣].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
26	*عَطفٌ عَلى قَوْلِه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكم كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]. –ابن عاشور- *ولَمّا كانَ المَقامُ لِلرِّسالَةِ، وكانَ تَأْيِيدُ مُدَّعِيها مِن أماراتِ صِدْقِهِ في دَعْوى أنَّهُ رَسُولٌ، وأنَّ مُرْسِلَهُ قادِرٌ عَلى ما يُرِيدُ لا سِيَّما إنْ كانَ تَأْيِيدُهُ عَلى وجْهٍ خارِقٍ لِلْعادَةِ، عَبَّرَ بِهِ دُونَ وصْفِ النُّبُوَّةِ فَقالَ: ﴿عَلى رَسُولِهِ﴾ -البقاعي-

تفسير السعدي:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد.

﴿وَ أَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر.

﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ.

وقفات ولطائف:.

قال ابن القيم: افتتح الله- تعالى- غزوات العرب بغزوة بدر، وختم غزوهم بغزوة حنين، لهذا يقرن بين هاتين بالذكر، فقال بدروحنين وإن كان بينهما سبع سنين.. وبهاتين الغزوتين طفئت جمرة العرب لغزورسول الله ﷺ والمسلمين. فالأولى خوفتهم وكسرت من حدتهم، والثانية استفرغت قواهم، واستنفدت سهامهم، وأذلت جمعهم، حتى لم يجدوا بدا من الدخول في دين الله.

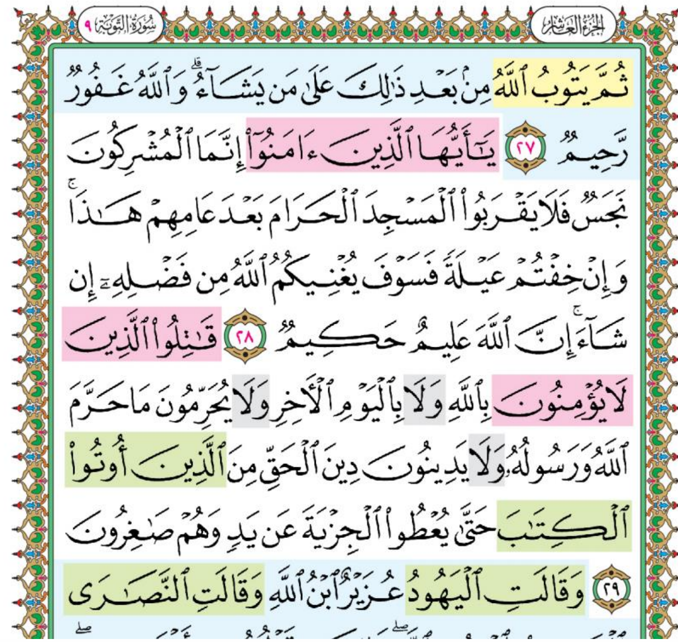
العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

*إذا امتحنَ اللهُ عبادَه بالهزيمة، فخضعوا له، استوجبوا منه العِزَّ؛ فإن خِلعةَ النصر إنما تكون مع وَلاية الذلِّ لله وحدَه.

*في حُنَين هُزم الكافرون بعد أن لاحَ لهم بريقُ النصر، ومن أشدِّ ما يكون على النفس وقعًا: حصولُ الهزيمة بعد الأمل العريض بالنصر.

*جزاء الكافرين وَخيم؛ فليس عذابُهم مقصورًا على الآخرة فحسب، ولكنَّهم يُعذَّبون قبل ذلك في الدنيا بأنواع العذاب، منها الهزيمةُ والقتل.

٢٨→(٢)←٢٩
لمّا علّل فيما مضى إقصاءَ المُشركينَ عن المَسجِدِ الحرام بأنّهم شاهِدونَ على أنفسِهم بالكُفر، فليسُوا أهلًا لتعمير المسجِدِ المبنيِّ للتّوحيد، علّل هنا بعِلّةٍ أخرى وهي أنّهم نَجَسٌ، فلا يَعْمُروا المسجدَ لِطَهارته، ثُمّ الأمرُ بقتالِ أهلِ الكتاب حتى يؤمنوا أو يدفعوا الجزيةَ.



الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
27	**ثم بين- سبحانه- بعض مظاهر قدرته ورحمته بعباده** فقال- تعالى- ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ. –الوسيط-
28	*وبعد هذا التذكير والتوجيه من الله- تعالى- لعباده المؤمنين.. وجه- سبحانه- إليهم نداء أمرهم فيه بمنع المشركين من قربان المسجد الحرام، ووعدهم بالعطاء الذي يغنيهم.-الوسيط- *أنّها رُجوعٌ إلى غَرَضِ إقصاءِ المُشركينَ عن المَسجِدِ الحرامِ، المُفادِ بقَولِه: مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ جِيءَ به لتأكيدِ الأمرِ بإبعادِهم عن المَسجِدِ الحَرامِ مع تَعليلِه بعِلَّةٍ أخرى تقتضي إبعادَهم عنه: وهي أنّهم نَجَسٌ، فقد علَّلَ فيما مضى بأنّهم شاهِدونَ على أنفسِهم بالكُفرِ، فلَيسُوا أهلًا لِتَعميرِ المسجِدِ المبنيِّ للتَّوحيدِ، وعلَّلَ هنا بأنّهم نَجَسٌ، فلا يَعْمُروا المسجِدَ لِطَهارَتِه .

تفسير السعدي:

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فتاب الله على كثير ممن كانت الوقعة عليهم، و أتوا إلى النبي ﷺ مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم، وأولادهم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم، وقبول توباتهم، فلا ييأسنَّ أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل.

وقفات ولطائف:

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاة. فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وحَمَلنا عَلَيْهِمْ انْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْغَنَائِمِ، فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ:
أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى بَقِيَّةِ هَوَازِنَ، وَأَسْلَمُوا وَقَدِمُوا عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ، وَلَحِقُوهُ وَقَدْ قَارَبَ مَكَّةَ عِنْدَ الجِعِرَّانة، وَذَلِكَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ بِقَرِيبٍ مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَيَّرَهم بَيْنَ سَبْيِهِمْ وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، فَاخْتَارُوا سَبْيَهُمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافِ أَسِيرٍ مَا بَيْنَ صَبِيٍّ وَامْرَأَةٍ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَقَسَّمَ أَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْغَانِمِينَ، وَنَفَلَ أُنَاسًا مِنَ الطُّلَقَاءِ لِيَتَأَلَّفَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَعْطَاهُمْ مِائَةً مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أُعْطِيَ مِائَةً مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّضْرِي، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَوْمِهِ كَمَا كَانَ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

27-ما من تائبٍ صادقٍ في توبته إلا ويقبَلُه الله بجُوده، ومَن جدَّد توبتَه جدَّد الله توبتَه عليه.
توسَّل إلى الله تعالى برحمته ومغفرته ليتوبَ عليك، فما أبلغَها وما أنفعَها من وسيلة!

- ✓ 28على قاصدِ البيت الحرام أن يطهِّرَ باطنَه وظاهره، فإنه مكانٌ لا تصلُح فيه النجاسةُ المعنويَّة ولا الحسِّيَّة.
- ✓ مَن تنجَّس بالشِّرك لا ينبغي أن يُقرَّب به ويُحتفى به، ولو كان في ذلك فواتُ مصالحَ دنيوية؛ ألا تراه سبحانه نهى عن اقتراب المشركين من المسجد الحرام، مع ما يجُرُّه دخولهم مكةَ من منافعَ اقتصاديَّة؟!
- ✓ لمَّا كان الرزَّاق هو الله تعالى، الذي ييسِّر للرزق ما شاء من الأسباب، ويفتحُ له ما يريد من الأبواب، فلا يخافنَّ العبدُ انقطاعَه.
- ✓ مَن خاف على رزقه بفعل طاعة ربِّه، فليُراجع قلبَه ورصيدَ إيمانه.
- ✓ مَن ترك الدنيا لأجل الدين أوصله اللهُ إلى مطلوبه منها، مع ما سَعِدَ به من أمر الدين.
- ✓ لا تبع دينَك من أجل فقرٍ تخشاه؛ فما من عبدٍ إلا والغنيُّ مولاه، وهو الذي يتولَّى كِفايتَه، ويُذهب فاقتَه.
- ✓ بعلمِه تعالى وحكمتِه شرَعَ شرائعَ دينه التي بها يجتلب الناسُ منافعَ الدنيا والآخرة، فمَن ظنَّ أن العملَ بما شرَع اللهُ يفوِّت مصلحتَه فليتذكر أن الله عليمٌ حكيم

تفسير السعدي:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ﴾ بالله الذين عبدوا معه غيره ﴿نَجَسٌ﴾ أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا؟".

وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل الله ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي ﷺ ابن عمه عليا، أن يؤذن يوم الحج الأكبر - ﴿براءة﴾ فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وليس المراد هنا، نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها.

والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تَقَذُّرَهم من النجاسات، و إنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة.

وقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿عَيْلَةً﴾ أي: فقرا وحاجة، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فليس الرزق مقصورا على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصا لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين.

وقد أنجز الله وعده، فإن الله قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: ﴿إِنْ شَاءَ﴾ تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا علقه الله بالمشيئة.

فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.

وتدل الآية الكريمة، وهي قوله ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ أن المشركين بعد ما كانوا، هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم صار بعد الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية.

ولما مات النبي ﷺ أمر أن يجلوا من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بُعْدِ كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

وقفات ولطائف:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ.أي: يا أيُّها المؤمنونَ، المُطَهَّرةُ بواطِنُهم بالإيمانِ، ما المُشرِكونَ بِجَميعِ مِلَلِهم وأديانِهم إلَّا نَجِسةٌ وخَبيثةٌ بواطِنُهم؛ بالشِّركِ والكُفرِ بالرَّحمنِ .

فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا.أي: لأنَّ المُشركِينَ نَجَسٌ، فلا تُمَكِّنُوهم مِن دُخُولِ جميعِ الحَرَمِ، بعد هذا العامِ التَّاسِعِ للهجرة، الذي نَبَذْتُم فيه لِجَميعِ المُشرِكينَ عُهودَهم .

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((بَعَثَني أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ في الحَجَّةِ التي أمَّرَه عليها رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قبل حَجَّةِ الوَداعِ، في رَهطٍ يُؤَذِّنونَ في النَّاسِ يومَ النَّحرِ: لا يَحُجُّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ، ولا يَطوفُ بالبَيتِ عُريانٌ) [404] رواه البخاري (369)، ومسلم (1347) واللفظ له..

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء.

أي: وإنْ خِفتُم- أيُّها المُؤمِنونَ- فقرًا بسبَبِ مَنعِكم المُشرِكينَ مِن دُخولِ الحَرَمِ، و انقطاعِ التِّجارةِ التي بينكم وبينهم؛ فسوف يُغنيكم اللهُ مِن رزقِه إن شاءَ .

إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.أي: إنَّ الله عليمٌ بكلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك عِلمُه بما تُخفيه صُدورُكم مِن خَوفِ العَيْلةِ، وعليمٌ بما يَصلُحُ لِعبادِه، فيَعلَمُ مَن يليقُ به الغِنى، ومَن لا يَليقُ به، حكيمٌ في شَرْعِه وفي تَدبيرِ شُؤونِ خَلْقِه، يضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه اللَّائِقِ به

س/ ما المراد بالنجاسة في قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ } مع ذكر الدليل

وليس المراد هنا، نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها.

والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تَقَذُّرَهم من النجاسات، و إنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة

المقطع الثاني:

تحديد العلاقات النهائية بين المسلمين وأهل الكتاب(29- 35)

يتضمن هـذا المقطـع من سورة براءة العلاقات النهائية بين المجتمع المسـلم وأهل الكتاب مع بيان الأسباب العقدية والتاريخية أو الواقعية التي تحتم هـذا الـتحديد وتكشف عن طبيعة العقيدة الإسلامية وحقيقتها ، وعن الانحراف الخطيـر عـند أهل الكتاب في جانب العقيدة والسلوك ، ويتضح ذلك من خلال استعراضنا لبعض آيات هذا المقطع وهو كما يلي :

1- الأمـر باستمرار القتال مع أهـل الكتـاب الذين بدأوا به حتى تبدو عليهم آية الخضوع لسلطان الإسلام ، وذلك بدفع الجزية للمسلمين . قال تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)) (التوبة:29)

2- أرشـدت الآيات إلى خطة اليهود في سلب أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل اللّه ، وبينت سوء عاقبة الذين يكنزون الأموال وعدم إنفاقها في سبيل اللّه . قـال تـعـالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ...... » (التوبة:34) .

3- بـيـان صفات أهل الكتاب التي بها قرر استمرار قتالهم بعد عدوانهم على المسلمين مع بيان الأسباب العقدية والتاريخية ، وتكشف الآيات كذلك عن طبيعة الإسـلام وحقيقته المستقلة وعن انحراف أهل الكتاب عن دين اللّه الصحيح عقيـدة وسـلوكاً بمـا يجعلهم على اعتبار الإسلام ليسوا على ديـن اللّه . قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ...) (التوبة:30) .

المسجد المبني للتوحيد، علّل هنا بعلّة أخرى وهي أنهم نَجَس، فلا يَعْمُروا المسجد لطهارته، ثُمَّ الأمرُ بقتال أهل الكتاب حتى يؤمنوا أو يدفعوا الجزية.

شَاءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
29	*ثم ساقت السورة الكريمة بعد ذلك سبع آيات بينت فيها ما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين من المنحرفين من أهل الكتاب، كما حكت بعض أقوالهم الذميمة، و أفعالهم القبيحة، التي تدعو المسلمين إلى قتالهم حتى يخضعوا لسلطان الإسلام.-الوسيط- *لَمَّا ذكَرَ اللَّهُ تعالى حُكمَ المُشركينَ في إظهارِ البَراءةِ عن عَهدِهم، وفي إظهارِ البَراءةِ عنهم في أنفُسِهم، وفي وُجوبِ مُقاتَلتِهم، وفي تَبعيدِهم عن المسجِدِ الحرامِ، وأورَدَ الإشكالاتِ التي ذكَرُوها، وأجاب عنها بالجَوابات الصَّحيحة- ذكَرَ بعده حُكمَ أهلِ الكتاب . * و أيضًا لَمَّا كان قَولُه تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مَوضِعَ تَعَجُّبٍ، يكونُ سَببًا لِأَنْ يُقالَ: مِن أين يكونُ ذلك الغِنى؟ أجابَ بقوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ؛ ففي ذلك غِنًى لا يُشْبِهُ ما كُنتُم فيه مِن قِتالِ بعضِكم لِبعض؛ لِتَغنَمَ ما في يَدِه مِن ذلك المالِ الحَقيرِ، ولا ما كُنتُم تَعدُّونَه غِنًى مِن المتاجِرِ التي لا يبلُغُ أكبَرُها وأصغَرُها ما أرشدناكم إليه، مع ما في ذلك مِنَ العِزِّ المُمَكِّنِ مِن الإصلاحِ والطَّاعةِ .

تفسير السعدي:

هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود والنصارى من [الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ] إيمانا صحيحا يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم. ولا يحرمون ما حرم اللّه، فلا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات،

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، لأنه إما بين دين مبدل، وهو الذي لم يشرعه الله أصلا، وإما دين منسوخ قد شرعه الله، ثم غيره بشريعة محمد ﷺ فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز.

فأمره بقتال هؤلاء وحث على ذلك، لأنهم يدعون إلى ما هم عليه، ويحصل الضرر الكثير منهم للناس، بسبب أنهم أهل كتاب.

وغيَّى ذلك القتال ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ أي: المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قتالهم، و إقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم، بين أظهر المسلمين، يؤخذ منهم كل عام، كلٌّ على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره، من أمراء المؤمنين.

وقوله: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي: حتى يبذلوها في حال ذلهم، وعدم اقتدارهم، ويعطوها بأيديهم، فلا يرسلون بها خادما ولا غيره، بل لا تقبل إلا من أيديهم، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

فإذا كانوا بهذه الحال، وسألوا المسلمين أن يقروهم بالجزية، وهم تحت أحكام المسلمين وقهرهم، وحال الأمن من شرهم وفتنتهم، واستسلموا للشروط التي أجراها عليهم المسلمون مما ينفي عزهم وتكبرهم، ويوجب ذلهم وصغارهم، وجب على الإمام أو نائبه أن يعقدها لهم.

وإلا بأن لم يفوا، ولم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لم يجز إقرارهم بالجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا.

واستدل بهذه الآية الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن اللّه لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم.

وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الكتاب في أخذ الجزية و إقرارهم في ديار المسلمين، المجوس، فإن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر من الفرس المجوس.

وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخبارا بالواقع، لا مفهوما له.

ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كِتَابِيٍّ وغيره.

وقفات ولطائف:.

وقال ابن كثير ما ملخصه: هذه الآية أول أمر نزل بقتال أهل الكتاب- اليهود والنصارى. وكان ذلك في سنة تسع، ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم، ودعا الناس إلى ذلك، وأظهره لهم، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة، فندبهم فأوعبوا معه، واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفا، وتخلف بعض الناس من أهل المدينة. ومن حولها من المنافقين وغيرهم، وكان ذلك في عام جدب، ووقت قيظ حر. وخرج رسول الله ﷺ يريد الشام لقتال الروم، فبلغ تبوك، ونزل بها، و أقام بها قريبا من عشرين يوما، ثم استخار الله في الرجوع، فرجع عامه ذلك لضيق الحال، وضعف الناس....»

في قوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إلى قوله سبحانه: وَهُمْ صَاغِرُونَ دلالةٌ على أنَّ نساءَهم وصبيانَهم لا جزيةَ عليهم؛ لأنَّهم لا يُقاتِلون، بل قد نُهِيَ عن قَتْلِهم.

وُصِفَت النَّصارى في قوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بأنَّهم لا يُؤمِنونَ باليوم الآخِر مع أنَّ النَّصارى يُقِرُّونَ بمَعادِ الأبدانِ! ووجهُ ذلك أنَّهم لا يُقِرُّون بما أخبَرَ اللهُ به من الأكلِ والشُّربِ واللِّباسِ والنِّكاحِ، والنَّعيمِ والعذابِ في الجنَّةِ والنَّارِ، بل غايةُ ما يُقِرُّونَ به من النَّعيمِ: السَّماعُ والشَّمُّ، ومنهم مُتفَلسِفةٌ يُنكِرونَ مَعادَ الأجسادِ

ليس المرادُ بالعطاءِ في قَولِه تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ العطاءَ الأوَّلَ وحْدَه، بل العطاءُ المستمِرُّ المتكرِّرُ كُلَّ عامٍ

دلَّ قولُه تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ على أنَّه لا يجوزُ الإمساكُ عن قتالِهم إلَّا إذا كانوا صاغِرينَ حالَ إعطائِهم الجزيةَ، ومِن المعلومِ أنَّ مَن أظهَرَ سَبَّ نبيِّنا في وجوهِنا، وشَتَمَ ربَّنا على رُؤوسِ الملإِ مِنَّا، وطعَنَ في دِينِنا في مَجامِعِنا- فليس بصاغرٍ؛ لأنَّ الصاغِرَ: الذَّليلُ الحقيرُ، وهذا فِعلُ مُتعَزِّزٍ مُراغِمٍ، ففي هذه الحالِ يكونُ قتالُ هؤلاء مأمورًا به، ولا تنعقِدُ لهم ذمَّةٌ، ولو عُقِدَ لهم كان عقدًا فاسِدًا

ليس المرادُ بالصَّغَارِ في قَولِه تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ أنْ يكونوا صاغرينَ حالَ تناوُلِ الجزيةِ منهم فقط؛ ويفارقُهم الصَّغَارُ فيما عدا هذا الوقتَ، هذا باطِلٌ قطعًا، و إنَّما أنْ يلازِمَهم الصَّغَارُ والذُّلُّ في كامِلِ مدَّةِ أداءِ الجِزيةِ)

*في قوله تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ دليلٌ على توهينِ قولِ مَن قال: إنَّ مَن أسلم مِن رجالِهم - وقد مضى بعضُ السَّنَةِ - فعليه مِن الجزيةِ بقَدْرِ ما مضى منها. لأنَّ اللهَ جلَّ جلالُه جَعَلَ الجزيةَ صَغَارًا؛ والصَّغَارُ لاحقٌ بالدافعِ وقتَ الدفعِ؛ لقولِه: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ؛ وكيف يُلْزَمُ المسلمُ صَغَارَ الجزيةِ وقد أعَزَّهُ اللهُ بالإسلامِ؛ والإسلامُ يَجُبُّ ما قبْلَه) ؟!

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- مَن صدَق إيمانُه بالله آمنَ بكلِّ ما جاء من عنده، فالكتابيُّ لو صحَّ إيمانُه بالله لآمن بمحمَّدٍ ﷺ.
- من مُقتضَيات الجهاد في شرع الله: امتناعُ قومٍ عن حُكم الشريعة تحليلًا وتحريمًا، وإن كان ذلك عن دين باطل، أو نظر قاصر.
- التحريم والتحليل حقٌّ لله تعالى ولرسوله ﷺ، وما على العباد إلا السمع والطاعة.
- الشدَّة على الكافرين من أجل إعزاز هذا الدين مَقصِدٌ من مقاصده، وجَعلُ كلمةِ الله هي العليا لا يَتِمُّ إلا بذلك.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ
يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ
مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا

(Verse 29 marker ﴿٢٩﴾ precedes the first line.)

حتى يؤمنوا أو يدفعُوا الجزيةَ.

٣٠→(٢)→٣١

لَمَّا أمَرَ بقِتالِ أهلِ الكِتابِ ذكرَ هنا بعضَ أقوالِهم وأفعالِهم المُوجبةِ لِقتالِهم.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
30	**وبعد أن بين- سبحانه- بعض رذائل أهل الكتاب على سبيل الإجمال، اتبع ذلك بتفصيل هذه الرذائل**، فحكى أقوالهم الباطلة، و أفعالهم الذميمة، ونو اياهم السيئة.-الوسيط- ***لَمَّا حكَم اللَّهُ تعالى في الآيةِ المُتقدِّمة على اليهودِ والنَّصارى بأنَّهم لا يُؤمِنون باللَّه، شَرَحَ ذلك في هذه الآية**، وذلك بأنْ نقَلَ عنهم أنَّهم أثبَتُوا لله ابنًا، ومَن جَوَّزَ ذلك في حَقِّ الإلهِ، فهو في الحقيقةِ قد أنكَرَ الإلهَ، و أيضًا بيَّن تعالى أنَّهم بمنزلةِ المُشركينَ في الشِّركِ، وإن كانت طُرُقُ القَولِ بالشِّركِ مُختلِفةً؛ إذ لا فرقَ بين من يَعبُدُ الصَّنمَ، وبين من يعبُدُ المَسيحَ وغيرَه؛ لأنَّه لا معنى للشِّركِ إلَّا أن يتَّخِذَ الإنسانُ مع اللهِ مَعبودًا، فإذا حصَلَ هذا المعنى، فقد حصَلَ الشِّركُ . **وأيضًا لَمَّا أمَرَ اللَّهُ تعالى بقِتالِ أهلِ الكِتابِ، ووصَفَهم بما هو السَّبَبُ الباعِثُ على ذلك؛ عطَفَ عليه بعضَ أقوالِهم المُبيحة لِقِتالِهم، المُوجبة لِنَكالِهم**

تفسير السعدي:

لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، **فيدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرأوا فيها على الله**، وتنقصوا عظمته وجلاله.

وقد قيل: إن سبب ادعائهم في ﴿عزير﴾ أنه ابن الله، أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حَمَلَةَ التوراة، وجدوا

عزيرا بعد ذلك حافظا لها أو لأكثرها، فأملاها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ﴾ عيسى ابن مريم ﴿ابْنُ اللَّهِ﴾ قال الله تعالى ﴿ذَلِكَ﴾ القول الذي قالوه ﴿قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لم يقيموا عليه حجة ولا برهانا.

ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل، يحجزه، عما يريد من الكلام.

ولهذا قال: ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ أي: يشابهون في قولهم هذا ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قول المشركين الذين يقولون: ﴿الملائكة بنات الله﴾ تشابهت قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان.

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون على الحق، الصرف الواضح المبين، إلى القول الباطل المبين.

وقفات ولطائف:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين؛ فكانوا يعتقدون أن أحبارهم ورهبانهم يحللون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، وهذا مطرد في جميع أهل الدينين ... فحصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم، فكانت الشناعة لازمة للأمتين ولو كان من بينهم من لم يقل بمقالهم كما زعم عدي بن حاتم؛ فإن الأمة تؤاخذ بما يصدر من أفرادها إذا أقرته ولم تنكره. [ابن عاشور]

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- الافتراء على الله تعالى جريمةٌ شنيعة، ودعوى الشريك والولد له سبحانه بُهتانٌ عظيم؛ فلذلك أغرى اللهُ المؤمنين بقتال اليهود والنصارى القائلين بهذه المقالة المُفتراة.
- مَن رضيَ بما يقوله قومُه أو يفعلونه، فهو قائلٌ قولهم وفاعلٌ فعلهم، ألم ترَ أن القرآن ينسُب الحدثَ لأهل الكتاب جميعًا وأهلُه فئةٌ منهم؟
- ما ذكرَ اللهُ قولًا مقرونًا بذكر الأفواه والألسُن إلا وكان قولًا زورًا؛ لا يطابق الحقَّ، ولا يو افق ما في القلب.
- تتشابه الأقوال لتشابُه القلوب؛ فأقوالُ أهل الكفر يشبه بعضُها بعضًا، ولو تغيَّر القالَبُ وتباعدتِ الأماكن والأزمان.
- ما أعجبَ حالَ مَن انصرف عن التوحيد إلى خلافه، وهو الحقُّ الذي توجبُه الفِطرة!

حتـى يؤمنُـوا أو يدفعُوا الجزيةَ.

٣٠←(٢)→٣١

لَمَّا أمَرَ بقِتالِ أهلِ الكِتابِ ذكـرَ هنا بعـضَ أقـوالِهم وأفعالِهم المُوجبةِ لِقِتالِهم.

(٢٩) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ
مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)

١٩١

٢٨- ﴿عَيْلَةً﴾: فقرًا، ٢٩- ﴿الْجِزْيَةَ﴾: مالٌ يفرض على الكافرِ المقيم ببلادِ المسلمين، ﴿صَاغِرُونَ﴾: أذلّاء، ٣٠- ﴿يُضَاهِئُونَ﴾: يشابهون،
٣١- ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾: علماءَ اليهود، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾: عُبَّادَ النصارى.

(٢٧) في سورة واحدة: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾، ﴿فَإِن تَابُوا﴾، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾، ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿التَّائِبُونَ﴾، ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ﴾، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿هُوَ التَّوَّابُ﴾ فما عذرُ من تأخر عن التوبة.

(٢٨) ﴿يُغْنِيكُمُ اللَّهُ﴾ غناك وفقرك بيده، فلِمَ تذلّ نفسك لغيره. ٢٧: التوبة [١٥].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
31	**ثُمَّ زادهم جرأةً عليهم بالإشارةِ إلى ضعفِ مُستندِهم حيثُ كانَ مَخلوقًا مِثلَهم** بقولِهِ: ﴿اتَّخَذُوا﴾ أيْ: كَلَّفُوا أنفُسَهُمُ العُدُولَ عَنِ اللهِ القادرِ علَى كُلِّ شَيْءٍ وأَخَذُوا ﴿أَحْبارَهُمْ﴾ أيْ: مِن عُلَماءِ اليَهُودِ، والحَبْرُ في الأصلِ العالِمُ من أيِّ طائفةٍ كانَ ﴿ورُهْبانَهُمْ﴾ أيْ: مِن زُهّادِ النَّصارى، والرّاهِبُ في الأصلِ مَن تَمَكَّنَتِ الرَّهْبَةُ في قَلْبِهِ فَظَهَرَتْ آثارُها عَلى وجْهِهِ ولِباسِهِ، فاخْتُصَّ في العُرْفِ بِعُلَماءِ النَّصارى أصْحابِ الصَّوامِعِ ﴿أرْبابًا﴾ أيْ: آلِهَةً لِكَوْنِهِمْ يَفْعَلُونَ ما يَخْتَصُّ بِهِ الرَّبُّ مِن تَحْرِيمِ ما حَرَّمُوا وتَحْلِيلِ ما حَلَّلُوا. ***أنَّه تعالى وصَفَ اليهودَ والنَّصارى بضَربٍ آخرَ مِن الشَّرِّ.** – الرازي-

53

تفسير السعدي:

وهذا - وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة، أن تتفق على قول - يدل على بطلانه أدنى تفكر وتسليط للعقل عليه.

فإن لذلك سببا وهو أنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ وهم علماؤهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ أي: العُبَّاد المتجردين للعبادة.

﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يُحِلُّون لهم ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.

وكانوا أيضًا يغلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانا تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة.

﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ اتخذوه إلها من دون الله، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على ألسنة رسله فما ﴿أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة والدعاء، فنبذوا أمر الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانًا.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ وتعالى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس، وتعالت عظمته عن شركهم و افترائهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، والله تعالى العالي في أوصافه و أفعاله عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس.

وقفات ولطائف:

قال اللهُ تعالى :اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ **الإشراكُ باللّهِ في حُكمِه، والإشراكُ به في عِبادَتِه كِلاهما بمعنًى واحدٍ، لا فَرْقَ بينهما البَتَّةَ؛** فالذي يَتْبَعُ نظامًا غيرَ نظامِ اللهِ، وتشريعًا غيرَ ما شَرَعه اللهُ، وقانونًا مُخالِفًا لِشَرعِ اللهِ، مِن وَضْعِ البَشرِ، مُعرِضًا عن نورِ السَّماءِ، الذي أنزلَه اللهُ على لِسانِ رَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، من كان يفعَلُ هذا هو ومَن يعبُدُ الصَّنَمَ ويَسجُدُ للوَثَنِ، لا فرق بينهما البتَّةَ بِوجهٍ مِن الوجوهِ، فهما واحِدٌ؛ فكِلاهما مُشرِكٌ باللهِ: هذا أشرَكَ به في عبادَتِه، وهذا أشرَكَ به في حُكمِه، والإشراكُ به في عِبادَتِه، والإشراكُ به في حُكمِه، كِلاهما سَواءٌ، وقد قال اللهُ جلَّ وعلا في الإشراكِ به في عبادَتِه :فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا]الكهف: 110 [وقال في الإشراكِ به في حُكمِه أيضًا :لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا]الكهف: 26 [وفي قراءةِ ابنِ عامرٍ من السَّبعةِ: (وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا بصيغةِ النَّهيِ المُطابِقةِ لِقَولِه :وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا]الكهف: 110[؛ فكِلاهما إشراكٌ باللهِ

لم تُوصَفِ النَّصارى باسمِ (المُشركينَ)- يعني: بألِ التَّعريفِ- وإنما وُصِفت بعمومِ فِعْلِ الشِّرك، كما في قوله تعالى :سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ووجهُ ذلك: أنَّ أهلَ الكتابِ ليس في أصلِ دِينِهم شِركٌ؛ فإنَّ اللهَ إنَّما بعثَ الرُّسُلَ بالتَّوحيدِ، فكلُّ مَن آمن بالرُّسُلِ والكُتُبِ، لم يكنْ في أصلِ دينِهم شِرْكٌ، كما في قولِه تعالى : وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ولكنَّ النَّصارى ابتَدَعوا الشِّركَ، وحيث ميَّزَهم اللهُ عن المشركين، فعطَفَ ذِكرَهُم على ذِكرِ المُشرِكينَ؛ فلأنَّ أصلَ دينِهم اتِّباعُ الكُتُبِ المُنَزَّلةِ التي جاءت بالتَّوحيدِ لا بالشِّركِ، وفرقٌ بين دَلالةِ اللَّفظِ مُفرَدًا ومَقرونًا، فإذا أُفرِدَ ذِكرُ المشركينَ دخلَ فيهم أهلُ الكتابِ، وإذا قُرِنوا بأهلِ الكِتابِ لم يَدخُلوا فيهم.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- الطاعة لغير الله في التحليل والتحريم على خلاف الشرع كافيةٌ لتصيير ذلك المطاع ربًّا مع الله تعالى.
- التشريع من خصائص الربوبيَّة وحدَها، فمَن أطاع مُشرِّعًا غيرَ الله تعالى، يحلِّلُ له ويحرِّم ما شاء، فقد عبده.
- لا فرقَ بين مَن يشرك بالله تعالى في حُكمه، ومن يشرك به في عبادته.
- تنزَّه اللهُ عن أن يكونَ له شريكٌ في عبادته، أو شريكٌ في تشريعه، بل قضى كمالُه أن يكونَ ذلك كلُّه له وحدَه.

الجزء العاشر — سورة التوبة ٩

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

الحزب ٢٠

٣٢←(٢)←٣٣

ومن أفعالِهم القبيحةِ أيضًا: سعيُهم في القضاءِ على الإسلامِ، ثُمَّ وعدُ اللهِ بإظهارِ دينِه.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
32	*لَمَّا وَهَّى اللهُ سُبحانَه أمرَ أهلِ الكِتابِ مِن جِهةِ استنادِهم، زاد ذلك توهيةً مِن جِهةِ مُرادِهم؛ بالإعلامِ بأنَّهم بقِتالِهم لأهلِ الطَّاعةِ إنَّما يُقاتِلونَ اللهَ تعالَى، و أنَّه لا يُنَفِّذُ غَرَضَهم، بل يريدُ غيرَ ما يريدونَ، ومِن المُقَرَّرِ أنَّه لا يكونُ إلَّا ما يريدُ سُبحانَه.-البقاعي-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- لا يزال دينُ الإسلام يتلقَّى حربًا ضروسًا من أهل الكتاب، منها الأكاذيبُ والدسائس والفتن، وتحريضُ الأتباع والأشياع.
- أيُّ عقل ذلك الذي يتوهَّمُ أن نور الله العظيم هو من الضعف بحيث يمكن أن ينطفئَ بنفخة؟!
- أهل الظلم والظلام مستمرُّون في محاولة إطفاء نور السماء الذي قد كتب اللهُ له ثبوتَ تمامه وكمالَ نوره، حتى يملأَ الآفاق.
- لا تخشَ على هذا الدين، واصبر على مشاقِّه ولأوائه، فإن له ربًّا سيبلّغه المشارقَ والمغارب، ولو أبغضَته أممُ الأرض واجتمعت على حربه.

تفسير السعدي:

فلما تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصَّلوه، وإنما هو مجرد قول قالوه وافتراء افتروه أخبر أنهم [يُرِيدُونَ] بهذا [أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ].

ونور الله: دينه الذي أرسل به الرسل، و أنزل به الكتب، وسماه الله نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلا.

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وسعوا ما أمكنهم في رده و إبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئًا.

وقفات ولطائف: عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((لا يذهَبُ اللَّيلُ والنَّهارُ حتى تُعبَدَ اللَّاتُ والعُزَّى. فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إن كنْتُ لَأظَنُّ حين أنزلَ اللهُ: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ أنَّ ذلك تامًّا! قال: إنَّه سيكونُ من ذلك ما شاءَ اللهُ)) .

وعن ثوبانَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأرضَ ، فرأيتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منها)) .

وعن خبَّابِ بن الأرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((شَكَوْنا إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهو متوسِّدٌ بُردةً له في ظِلِّ الكَعبةِ، قُلنا له: ألَا تَستَنصِرُ لنا، ألَا تدعو اللهَ لنا؟ قال: كان الرَّجُلُ فيمن قبلَكم يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاءُ بالمِنشارِ فيُوضَعُ على رأسِه، فيُشَقُّ باثنَتَينِ، وما يصدُّه ذلك عن دينِه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحَديدِ ما دونَ لَحمِه من عَظمٍ أو عصَبٍ، وما يصُدُّه ذلك عن دينِه، واللهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمرُ، حتى يسيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنعاءَ إلى حَضرمَوتَ، لا يخافُ إلَّا اللهَ، أو الذِّئبَ على غَنَمِه، ولكنَّكم تَستعجِلون)) .

وعن تميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سمِعْتُ رَسولَ اللهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((لَيَبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، ولا يترُكُ اللهُ بَيتَ مَدَرٍ ولا وبَرٍ إلَّا أدخلَه اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفرَ)) .

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

إضافة النور إلى اسم الجلالة إشارة إلى أن محاولة إطفائه عبث، وأن أصحاب تلك المحاولة لا يبلغون مرادهم. ابن عاشور

*طبيعةُ المَوقِفِ الدَّائِمِ لأهلِ الكِتابِ، مِن نُورِ اللهِ المتمَثِّلِ في دينِه الحَقِّ، الذي يَهدِي النَّاسَ- أنَّهم محاربونَ لِنُورِ اللهِ، سواءٌ بما يُطلِقونَه من أكاذيبَ ودسائِسَ وفِتَنٍ، أو بما يحَرِّضونَ به أتباعَهم وأشياعَهم على حَربِ هذا الدِّينِ وأهلِه؛ يُبَيِّنُ ذلك قولُ الله تعالى :يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

الجزء العاشر — سورة التوبة ٩

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

الحزب ٢٠

٣٢←(٢)→٣٣

ومن أفعالِهم القبيحةِ أيضًا: سعيُهم في القضاءِ على الإسلامِ، ثُمَّ وعدُ اللهِ بإظهارِ دينِه.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
33	فالآية الكريمة-السابقة- وعد من الله، تعالى للمؤمنين بإظهار دينهم وإعلاء كلمتهم لكي يمضوا قدما إلى تنفيذ ما كلفهم الله به بدون إبطاء أو تثاقل، وهي في الوقت نفسه تتضمن في ثناياها الوعيد لهؤلاء الضالين وأمثالهم. *لَمَّا حكى اللّهَ تعالى عن الأعداءِ أنَّهم يُحاولونَ إطفاءَ نورِ اللّه، وبيَّنَ تعالى أنَّه يأبى ذلك، وأنَّه يُتِمُّ نورَه- بيَّنَ كيفيَّةَ ذلك الإتمامِ ، وبيَّنَ النُّورَ المَذكورَ الذي قد تكفَّلَ بإتمامِه وحِفْظِه.-المحرر-

تفسير السعدي:

ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ الذي هو العلم النافع ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمدا ﷺ مشتملا على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه و أفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة.

فأرسله الله بالهدى ودين الحق ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه، فوعد الله لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لابد أن يقوم به.

وقفات ولطائف:.

في قَوله تعالى :هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ بيانُ أنَّه لا هُدَى إلَّا فيما جاء به الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلا يَقبلُ اللهُ مِن أحدٍ دينًا يَدينُه به إلَّا أنْ يكونَ مُوافِقًا لدينِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقد نزَّه سبحانه وتعالى نفسَه عمَّا يَصِفُه به العبادُ إلَّا ما وصفَه به المُرسَلونَ، فقال تعالى :سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ]الصافات: 180-181 [وسلَّمَ على المُرسَلينَ؛ لِسَلامةِ ما وصَفُوه به مِن النَّقائِصِ والعُيوبِ.

*كثيرًا ما يجمَعُ سُبحانه بين هذينِ الأصلَينِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لأنَّ بهما تمامَ الدَّعوةِ، وظهورَدِينِه على الدِّين كُلِّه

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾

وإظهاره: جعله أعلى الأديان و أقواها؛ حتى يعم المشارق والمغارب. ابن جزي.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 33-لا هدًى بعد محمَّدٍ ﷺ إلا هُداه، ولا دينَ مقبولًا عند الله غيرُ الدين الذي جاء به.
- بعث الله تعالى محمَّدًا ﷺ بالهُدى ودين الحقّ إلى الناس؛ فبالهُدى يُعرَف الحقُّ، وبدين الحقّ يُقصَد الخيرُويُعمَل به.
- نصيب المرء من الهُدى بقدر استجابته لِمَن أُرسِل به.
- وعد اللهُ بإظهار هذا الدين على ما سواه من الأديان، ولو كره ذلك الظهورَ مَن عاداه، فماذا نفعَهم ذلك الكُرهُ الذي أورثهم تكذيبَه وحربَه؟ لقد ظهر دينُ الإسلام، وخفَتَ أعداؤه.

كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ
أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ
وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ
عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ
وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ
تَكۡنِزُونَ ٣٥ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ

الحزب ٢٠

الإسلامِ، ثمَّ وعدَ اللهِ بإظهارِ دينِه.

٣٤←(٢)→٣٥

لَمَّا ذَكَرَ أنَّ اليَهودَ والنَّصارى اتَّخَذُوا أحبارَهم ورُهبانَهم أربابًا، وصفَ الأحبارَ والرُّهبانَ هنا بالطَّمعِ وأكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ، ثُمَّ توعَّدَ من امتنعَ عن أداءِ حقوقِ اللهِ ف...

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
34	**لَمَّا ذَكَرَ اللهُ جلَّ وعلا أنَّ اليهودَ والنَّصارى اتَّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أربابًا؛ بيَّن أنَّ الرُّهبانَ والأحبارَ لا ينبغي اتِّخاذُهم أربابًا؛ لأنَّ أكثرَهم فَجَرةٌ غيرُ مُستقيمين** -. الشنقيطي- **وأيضًا لَمَّا وصفَ اللهُ تعالى رؤساءَ اليهودِ والنَّصارى بالتكبُّرِ والتَّجبُّر، وادِّعاءِ الرُّبوبيَّة والترفُّع على الخَلقِ؛ وصفَهم في هذه الآيةِ بالطَّمَعِ والحِرصِ على أخذِ أموالِ النَّاسِ؛** تنبيهًا على أنَّ المَقصودَ مِن إظهارِ تلك الربوبيَّةِ والتجبُّرِ والفَخرِ، أخذُ أموالِ النَّاسِ بالباطِلِ ، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ. أي: يا أيُّها المُؤمنونَ، إنَّ كثيرًا من عُلَماءِ اليهودِ وعُبَّادِ النَّصارى، يتملَّكونَ أموالَ النَّاسِ بغَيرِ حَقّ ؛ فاحْذَروا التشبُّهَ بعُلَماءِ السُّوءِ، والعُبَّادِ الضالِّينَ، ولا تكونُوا مِثْلَهم.-الرازي- *لما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ؛ عطَفَ عليه قولَه هذا، والمناسبةُ بينَهما: أنَّ **كلتا الجملتينِ تنبيهٌ على مساوي أقوامٍ يضعُهم النَّاسُ في مقاماتِ الرِّفعةِ والسُّؤدُدِ، وليسوا أهلًا لذلك،** فمضمونُ الجملةِ الأُولَى بيانُ مساوي أقوامٍ رفَعَ النَّاسُ أقدارَهم لعلمِهم ودينِهم، وكانوا منطوينَ على خبائثَ خفيةٍ، ومضمونُ الجملةِ الثانيةِ بيانُ مساوي أقوامٍ رفعَهم النَّاسُ لأجلِ أموالِهم، فبيَّن اللهُ أنَّ تلك الأموالَ إذا لم تنفقْ في سبيلِ الله لا تُغني عنهم شيئًا من العذابِ ؛ فإنَّ النَّاسَ عالةٌ على العلماءِ، وعلى العبَّادِ، وعلى أربابِ الأموالِ، فإذا فسَدَتْ أحوالُ هؤلاءِ فسدَتْ أحوالُ النَّاسِ

تفسير السعدي:

هذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأحبار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل الله، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم.

ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحبار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان: أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصدهم الناس عن سبيل الله.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ أي: يمسكونها ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت.

وقفات ولطائف:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

والمقصود: التحذير من علماء السوء، وعباد الضلال؛ كما قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى. ابن كثير.

فإن الناس عالةٌ على العلماء، وعلى العباد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس. ابن كثير.

قولُ الله تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إسنادُ هذه الجريمةِ المُزرِيةِ إلى الكَثيرينَ منهم دونَ جَميعِهم، مِن دقائقِ تَحرِّي الحَقِ في عباراتِ الكتابِ العَزيزِ؛ فهو لا يحكُمُ على الأمَّةِ الكبيرةِ بِفَسادِ جَميعِ أفرادِها، أو فِسقِهم أو ظُلْمِهم، بل يُسنِدُ ذلك إلى الكثيرِ أو الأكثَرِ، أو يُطلِقُ اللَّفظَ.

***يقال: من أحب شيئاً وقدَّمه على طاعة الله عُذِّب به، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها ... هذه الأموال لما كانت أعز الأموال على أربابها كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة.** ابن كثير

قولُه تعالى :يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ قدَّمَ الجِباهَ ثمَّ الجُنُوبَ؛ لأنَّ مانِعَ الصَّدَقةِ في الدُّنيا كان يَصرِفُ وَجهَه أوَّلًا عن السَّائِلِ، ثم يَنُوءُ بجانِبِه، ثمَّ يتولَّى بظَهْرِه

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 34-قال سفيان بن عُيَينة: (مَن فسد من علمائنا كان فيه شَبهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبهٌ من النصارى).
- ما أسوأَ حالَ الناس إذا ضلَّ هداتُهم، وصاروا يلهثون خلف شهواتهم!
- إذا حرَص العالِمُ على المال ورياسة الدنيا وجاهِها أُصيبت مقاتلُه، و أفسد علمَه وديانتَه، فيا ويلَه ويا ويلَ الناس منه!
- كما أن من فتن المال أن يُطلَب بالباطل، فإن من فتنته أيضًا ألا يُصرفَ في وجوه الحقّ.
- لو علم الناسُ حقَّ العلم أن كنزهم الحقيقيَّ هو ما أنفقوه في مراضي الله لما بخِلوا، ولما أنفقوا الأموالَ في الحرام والسرَف.
- إن كان المال يُجمَع ليكونَ سببَ سعادةٍ وهناء، فيا خسارةَ مَن عاد عليه بالعذاب والشقاء!

كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ
أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ
وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ
عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ
وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ
تَكۡنِزُونَ ٣٥ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ

الإسلام، ثمّ وعد اللهِ بإظهارِ دينِه.

٣٤←(٢)→٣٥

لَمَّا ذَكَرَ أنَّ اليَهودَ والنَّصارى اتَّخذُوا أحبارَهم ورُهبانَهم أربابًا، وصفَ الأحبارَ والرُّهبانَ هنا بالطَّمعِ وأكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ، ثُمَّ توعَّدَ من امتنعَ عن أداءِ حقِّ... الله في...

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
35	**لما انتهى قَوله تعالى: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ على الإجمالِ والإبهامِ في العَذابِ؛ أخَذ في التَّفصيلِ بعد الإجمالِ** ، فقال تعالى: يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ. أي: يومَ يُوقَدُ فيه على كُنوزِهم في نارِ جَهنَّمَ، فتُحرق بالذَّهَبِ والفِضَّةِ المكنُوزةِ جِباهُهم وجُنوبُهم وظهورُهم .

تفسير السعدي:

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾ أي: على أموالهم، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فيحمى كل دينار أو درهم على حدته.
﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخا ولوما: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.

وذكر اللّه في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعا، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة اللّه، وإخراجها للصد عن سبيل اللّه.

وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات، و (النهي عن الشيء، أمر بضده)

وقفات ولطائف:.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((ما مِن صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ، لا يؤدِّي منها حَقَّها، إلَّا إذا كان يومُ القيامةِ، صُفِّحَت له صفائِحَ مِن نارٍ، فأُحمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ، فيُكوى بها جَنْبُه وجَبِينُه وظَهْرُه، كُلَّما بَرُدَت أُعِيدَت له، في يومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنَةٍ، حتى يُقضَى بين العِبادِ، فيُرى سَبيلَه: إمَّا إلى الجنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ)) .

وعن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (بَشِّرِ الكانِزينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عليه في نارِ جهنَّمَ، ثم يُوضَعُ على حَلَمةِ ثَدْيِ أحَدِهم حتى يَخرُجَ مِن نُغْضِ كَتِفِه، ويُوضَعُ على نُغْضِ كَتِفِه حتى يَخرُجَ مِن حَلَمةِ ثَدْيِه، يتزَلزَلُ .

هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ.

أي: يُقالُ تَوبيخًا وتَهَكُّمًا مِن الذينَ تُكوَى جِباهُهم وجُنوبُهم وظُهورُهم، بِكُنوزِهم: هذا الذي تُكوَونَ به في النَّارِ هو ما جَمَعْتُم في الدُّنيا لأنفُسِكم، دونَ أن تُؤَدُّوا حُقوقَ الله فيه، فاطعَمُوا عذابَ هذا الذي كُنتُم تَكْنِزونَه .

عن جابِرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ما من صاحِبِ إبلٍ ولا بقَرٍ ولا غنَمٍ، لا يؤدِّي حَقَّها، إلا أُقعِدَ لها يومَ القيامةِ بِقَاعٍ قَرقَرٍ تطؤُه ذاتُ الظِّلْفِ بظِلْفِها وتنطَحُه ذاتُ القَرنِ بقَرنِها، ليس فيها يومَئذٍ جمَّاءُ ولا مَكسورةُ القرْنِ. قلْنا: يا رسولَ الله، وما حَقُّها؟ قال: إطراقُ فَحْلِها ، وإعارةُ دَلْوِها، ومَنِيحَتُها ، وحَلْبُها على الماءِ، وحَملٌ عليها في سبيلِ الله. ولا مِن صاحِبِ مالٍ لا يُؤَدِّي زكاتَه، إلَّا تَحوَّلَ يومَ القِيامةِ شُجاعًا أقرَعَ، يَتْبَعُ صاحِبَه حيثما ذهَبَ، وهو يفِرُّ منه، ويُقال: هذا مالُك الذي كنْتَ تَبخَلُ به، فإذا رأى أنَّه لا بُدَّ منه، أدخَلَ يدَه في فِيه، فجعَلَ يَقضَمُها كما يَقْضَمُ الفَحلُ)) .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- 35-مَن أحبَّ شيئًا وقدَّمه على طاعة الله، عُذِّب به.
- كم من محبوبٍ كان سببَ هلاكِ مُحبِّه! فاجعل محبوباتِك حبلَ نجاتك، ووسائلَ سعادتك الأبدية.
- بقدرما يكنِز المرءُ من المال، ويمتنع عن إنفاقه في حقِّه الواجب، ينالُه من العذاب، ويصيبه من العقاب.

من صفات المنافقين المذكورة في الآيات



1- عدم رعاية حرمات الله .



2- تقديم المحبوبات على العقيدة و نصرة الدين .
الأية 25 جاءت بعد أية المحبوبات و هي تتحدث عن غزوة حنين ولنعلم أن النصر ليس بالكثرة ,بعدها في الآية 40 يتكلم الله عن نصرته للرسول و صاحبه في الهجرة .
في الآية رقم 25 كانوا 12 ألف و لم ينتصروا في الأول لأن قلوبهم كانت مع المحبوبات
في الآية رقم 40 كانوا إثنان و ربنا نصرهم لأن قلوبهم كانت مع حرمات الله
أنت سبب نصر و لا سبب هزيمة ؟



3- عدم تعلق القلب بالله ..
ذكرت كلمة (ضاقت) في السورة مرتين في الأية 25 و الأية 118
الأولى في غزوة حنين على المسلمين لما تعلقت قلوبهم بالأسباب ..
و الثانية في الذين تخلفوا عن غزوة تبوك لما تعلقت قلوبهم بالشهوات ..
لما تتعلق القلوب بالأسباب و الشهوات تأتي العقوبة بالضيق..



4- صفة ثقل التضحية على القلب
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [٣٨]
إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا(39)
العمل لدين الله فرض و ليس فضل
الدين منصور منصور و أنت اللي محتاج تنصر الدين ..



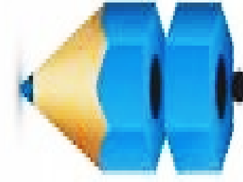
5- صفة الأولوية ليست للدين
وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ اللَّـهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ [٤٦] لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [٤٧]
لو دينك هو أولى أولويات حياتك ستعد له عدة ..
ربنا ثبطهم لأنهم سيكونوا عناصر فتنة في وقت الشدائد التي لا تحتمل ترك الثغور .
فهؤلاء يعاقبوا في البداية بأنهم يطردوا من الصف..
لازم تكون جاهز حتى لا تطرد.



6- أهل أعذار (التهرب من المسؤلية لنصرة الدين)
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ(49)
وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ(81)
يتحجج بعذر يحفظ له شكله الديني
حقيقة مشكلته أنه خايف على دنياه من الدين فلا يريد أن ينصر الدين لكي لا يضر دنياه (خايف).
لازم تكون مطمن بالله .

مستفاد من دروس
د.حازم شومان





7- تقديم مصلحة الأمن على العقيدة .

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ [٥٦]
لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ [٥٧]
يفرقون ، الفرق هو أشد من الخوف لو طلب منه أن يقاتل اليهود يخاف و يهرب
يا ترى لو طلب منك تقاتل اليهود هتعمل إيه ؟



8- من يأخذ الدين صفقة (فكر تجاري مع الدين)

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ [٥٨]
داخل الدين علشان يأخذ مش علشان يعطي .
مش علشان ربنا و لكن علشان الدين و الوجاهة



9- برودة الدم تجاه مشاكل الدين

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [٩٣]
صفات الصادقين العاطفة الحارة تجاه الدين ..
دنيتك كلها تترتب على دينك و كل ما تتعب لدينك تفرح أكتر .



10 - تقديم المرجوات على العقيدة

وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّـهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ [٧٥]
فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ [٧٦]
لما يتعرض عليه الدنيا و هو في طريق الدين يسيل لعابه

المقطع الثالث:

تحديد الأشهر الحرم وما فيها من أحكام فقهية (36 -37)



المقطع الثالث:

تحديد الأشهر الحرم وما فيها من أحكام فقهية والعودة للحديث عن المشركين (36 -37)



36

***لما ذكر أنواعا من قبائح أهلِ الشركِ وأهلِ الكتاب؛ ذكر أيضا نوعا منه، وهو تغيير العَرَبِ أحكامَ اللّه تعالى؛** لأنَّه حَكَمَ في وقتٍ بحُكمٍ خاصّ، فإذا غَيَّروا ذلك الوَقتَ، فقد غيَّروا حُكمَ الله .

وأيضًا فهذه الآيةُ والتي تَليها عودٌ إلى الكلامِ في أحوالِ المُشركينَ، وما يُشرَعُ مِن مُعامَلَتِهم بعد الفتح، وسُقوطِ عصبيّةِ الشِّرك، وكان الكلامُ في قتالِ أهلِ الكِتابِ، وما يجِبُ أن ينتهيَ به من إعطاءِ الجِزيةِ مِن قَبيلِ الاستطرادِ، اقتضاه ما ذَكَرَ قبلَه من أحكامِ قِتالِ المُشركينَ ومُعامَلتِهم، وقد ختم الكلامَ في أهلِ الكتابِ ببيانِ حالِ كثيرٍ مِن رجالِ الدِّينِ الذين أفسدَتْ عليهم دينَهم المطامعُ الماليةُ، وإنذارِ مَن كانت هذه حالَهم بالعذابِ الشديدِ يومَ القيامةِ، وجعلِ هذا الإنذارِ موجهًا إلينا وإليهم جميعًا، ومِن ثَمَّ كان التناسبُ بينَ الكلامِ فيما يشترِكُ فيه المسلمون مع أهلِ الكتابِ مِن الوعيدِ على أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، وكنزِ النَّقدَين، إلى ما يجبُ أن يخالفوا فيه المشركينَ مِن إبطالِ النسيءِ، ومِن أحكامِ القتالِ- تناسبًا ظاهرًا قويًّا .

وأيضًا لَمَّا تقدَّمَ كَثيرٌ مِمَّا ينبني على التَّاريخ: كالحجّ في غيرِ موضِعٍ، و إتمامِ عَهدِ مَن له مُدَّةٌ إلى مُدَّتِه، والزكاةِ، والجِزيةِ، وخُتِمَ ذلك بالكَنزِ الذي لا يُطلَقُ شَرعًا إلَّا على ما لم تؤدَّ زكاتُه، وكان مُشركو العَرَبِ، الذين تقدَّمَ الأمرُ بالبراءةِ منهم، والتَّأذينِ بهذه الآياتِ يومَ الحَجِّ الأكبَرِ فيهم، قد أحدَثوا في الأشهُرِ بالنَّسِيءِ الذي أُمِروا أن يُنادُوا في الحَجِّ بإبطالِه، ما غَيَّرَ السِّنينَ عن مَوضُوعِها الذي وَضَعَها اللهُ عليه، **فضاهَوْا به فِعلَ أهلِ الكتابِ بالتَّدَيُّنِ بتَحليلِ أكابِرِهم وتحريمِهم، كما ضاهَى أولئك قَولَ أهْلِ الشِّرْكِ في النبوَّةِ والأبُوَّة**

تفسير السعدي:

قول تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في قضائه وقدره. ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وهي هذه الشهور المعروفة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في حكمه القدري، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السموات وَالأَرْضَ﴾ وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسمها على هذه الشهور الاثني عشر [شهرًا].

﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرما لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها.

﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثنى عشر شهرا، وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على مِنَّتِهِ بها، وتقييضها لمصالح العباد. فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها.

ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرام لم ينسخ تحريمه عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها. ومنهم من قال: إن تحريم القتال فيها منسوخ، أخذا بعموم نحو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين.

ولا تخصوا أحدًا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئًا.

ويحتمل أن ﴿كَافَّةً﴾ حال من الواو فيكون معنى هذا: وقاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين.

وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بعونه ونصره وتأييده، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سركم وعلنكم والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار، فإنه في هذه الحال، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين.

وقفات ولطائف: أي: إنَّ عددَ الشُّهورِ في حُكمِ الله وتَقديرِه، اثنا عشَرَ شَهرًا قَمَريًّا، مكتوبةٌ في اللَّوحِ المحفوظِ مُنذُ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ .كما قال تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [يونس: 5].

وعن أبي بَكْرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: ((إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كهَيئَتِه يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمَواتِ والأرضَ؛ السَّنةُ اثنا عشَرَ شَهرًا، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثةٌ متوالياتٌ: ذُو القَعدةِ، وذو الحِجَّة، والمحَرَّمُ، ورجَبُ شَهرُ مُضَرَ، الذي بين جُمادى وشَعبانَ)) ..

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❑ التأريخ الهجريُّ موافق لعِدَّة الشهور التي عند الله، وبها انتظمَت منذ القِدَم حياةُ البشرية، وهو تأريخٌ تُعرَف به الأوقاتُ الفاضلة، وأزمنةُ الأحكام الشرعيَّة. فلنحافظ عليه.
- ❑ رُوعيَ في التشريع أن يأمنَ الناسُ في عباداتهم المشروعة، و أنساكهم الصالحة.
- ❑ من لم يتلبَّس بالعبادة في الأشهر الحرُم فلا يتلبَّسنَّ بالمعاصي، فإنها في تلك الأوقات أعظمُ إثمًا، كما أن الصالحاتِ أعظمُ أجرًا.
- ❑ العاصي إنما يجني على نفسه، وعائدةُ ظلمه عليها، فارحم نفسك في زمن المُهلة.
- ❑ المشركون يتعاضدون في حرب الإسلام، فحريٌّ بالمسلمين أن تجتمعَ كلمتُهم للدفاع عنه، ونشره في العالم.
- ❑ لا تدَع تقوى الله وطاعتَه ولو كنتَ في ساعة حرب الكفَّار، بل أنت مفتقرٌ إلى تقواه في تلك الساعة أكثرَ من غيرك.
- ❑ إنما النصرُ لمَن يتَّقي حرُماتِ الله أن ينتهكَها، ونواميسَ الشرع أن يُحرِّفَها، ومَن كان الله معه كان النصر حليفَه.



٣٧←(١)→٣٧

بعدَ ذكرِ الأشهرِ الحُرُمِ ذكَرَ اللهُ هنا تلاعبَ المشركينَ بالأشهرِ الحُرُم، (النَّسِيء: تأخيرُ حرمةِ شهرٍ ووقتِه إلى شهرٍ آخَر).

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
37	**ثم نعى- سبحانه- على ما كانوا يفعلون من تحليل وتحريم للشهور على حسب أهوائهم..**

تفسير السعدي:

النسيء: هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال، في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا - بآرائهم الفاسدة - أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حرامًا، فهذا - كما أخبر الله عنهم - أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المحاذير

منها: أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع اللّ

ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا.

ومنها: أنهم مَوَّهوا على الله بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.

ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال: ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرم الله.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ أي: زينت لهم الشياطين الأعمال السيئة، فرأوها حسنة، بسبب العقيدة المزينة في قلوبهم.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **كما أن الإيمان يزيدُ بأعماله، فالكفر يزيد بأعماله؛ فتغييرُ الأحكام الشرعيَّة والحدود القرآنيَّة بتحليل الحرام وتحريم الحلال زيادةٌ في الكفر.**
- **مهما زيَّن الناسُ من تبديل الشرع وتغييره، وألبسوا ذلك لباسَ المنفعة والتقدُّم، فلن يعدُوَ ذلك أن يكونَ إساءةً وضلالًا.**
- **إذا مرَدَ الكافر في كفره، واستمرَّ عليه بعد وعظه وزجره، فقد سدَّ على نفسه طريقَ هداية اللّه له.**

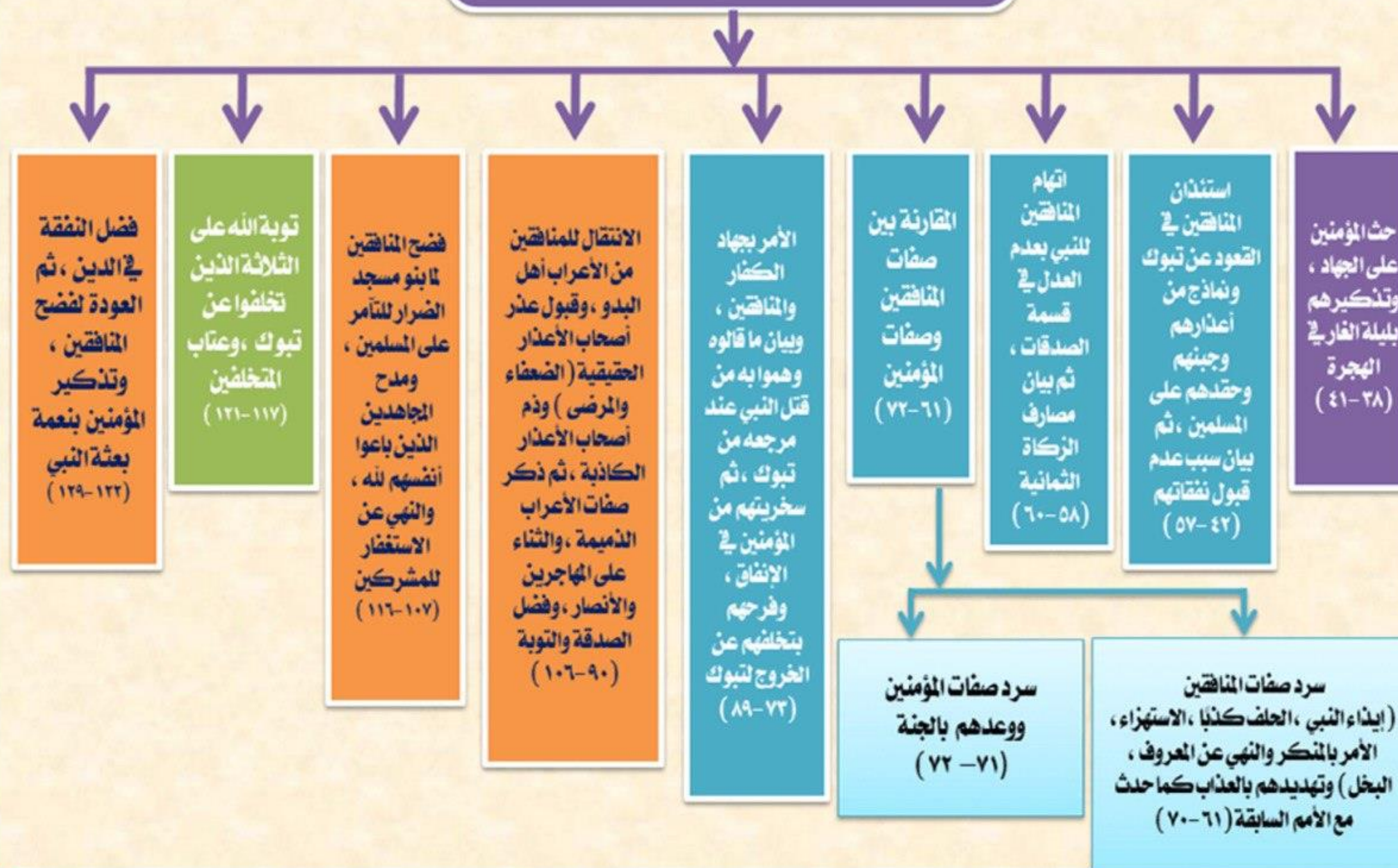
المقطع الرابع:

غزوة تبوك (38- 127)

مقاطع السورة

45-38

المتثاقلون عن غزوة تبوك وفضح شأنهم



موقع الحفظ الميسر

المقطع الرابع:

غزوة تبوك (38- 127)

(النّسيء: تأخيرُ حرمةِ شهرٍ ووقتِه إلى شهرٍ آخَر).
٣٨←(٢)→٣٩
بدايةُ الحديثِ عن غزوةِ تبُوك ٩هـ بعتابِ الصحابةِ لمَّا تثاقلُوا عن الخروجِ مع النَّبي ﷺ لغزوِ الرومِ، ثُمَّ توعدَهم اللهُ على تركِ الجهادِ، =

لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
38	*أنَّ اللّه تعالى لَمَّا شرَحَ معايبَ هؤلاءِ الكُفَّارِ وفَضائِحَهم، عاد إلى التَّرغيبِ في مُقاتَلتِهم .-المحرر- وأيضًا لَمَّا أوعَزَ اللّهُ تعالى في أمرِ الجهادِ، وأزاح جميعَ عِلَلِهم، وبيَّنَ أنَّ حُسْنَه لا يختَصُّ به شَهرٌ دونَ شَهرٍ، وأنَّ بَعضَهم كان يُحِلُّ لهم ويُحَرِّمُ، فيتَّبِعونَه بما يؤدِّي إلى تحريمِ الشَّهرِ الحلالِ، وتحليلِ الشَّهرِ الحرامِ بالقتال فيه- عاتَبَهم اللّه سبحانَه على تخلُّفِهم عن رسولِ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم، الآمِرِلهم بالنَّفْرِفي غزوةِ تَبُوك عن أمْرِه سبحانَه. –المحرر-

تفسير السعدي:

اعلم أن كثيرا من هذه السورة الكريمة، نزلت في غزوة تبوك، إذ ندب النبي ﷺ المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حارًا، والزاد قليلا، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما أوجب أن يعاتبهم اللّه تعالى عليه ويستنهضهم،

فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة لأمر اللّه، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فـ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأرْضِ﴾ أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والسكون فيها. ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ أي: ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا وسعى لها ولم يبال بالآخرة، فكأنه ما آمن بها. ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة ﴿إِلا قَلِيلٌ﴾ أفليس قد جعل اللّه لكم عقولا تَزِنُون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟.

أفليست الدنيا - من أولها إلى آخرها - لا نسبة لها في الآخرة. فما مقدار عمر الإنسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار. فبأي رأي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فواللّه ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عدَّ من أولي الألباب،

وقفات ولطائف:.

(أرضيتم بالحياة الدنيا) لايضعف القلب ويوهن العزيمة ، إلا حُب الدنيا وشهواتها !! / عايض المطيري

*﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾اجعلها شعارك عندما يتعلق قلبك بالدنيا وينسى الآخرة! / عبدالله حمدان

* **النفير في القرآن نوعان للجهاد** ﴿انفروا في سبيل الله﴾ وللعلم ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا﴾فلا سيادة بلا جهاد ولا جهاد بلا علم" / حاكم المطيري

***فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة إلا قليل** (لن تندم على شي ! أعظم من ندمك على طاعة فرطت فيها من اجل دنيا.. / تأملات قرآنية

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **ما يُحجِم المؤمنُ عن النفرة للجهاد في سبيل اللّه دون عُذر معتبَر إلا وفي إيمانه وَهْن.**
- **الإيمان خيرُ شاحذٍ لهمَّة المرء، إذا لم تمنعه مطامعُ الدنيا عن صالح الأعمال.**
- **بمقدار رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقُله عن طاعة اللّه وطلب الآخرة، والترقّي إلى معالي الأمور، وسنام الأعمال الصالحة.**
- **متاع الدنيا قليلٌ مهما كثُر، صغير مهما كبُر، فكيف لعاقلٍ أن يؤثِرَ القليلَ على الكثير، والصغيرَ على الكبير؟**

الجيش الإسلامي يتوجه إلى تبوك

خرج الجيش بالفعل إلى تبوك في رجب سنة 9 من الهجرة، وترك رسول الله على إمارة المدينة محمد بن مسلمة، وعلى أهله عليّ بن أبي طالب، وقطع الجيش المناضل المسافة البعيدة في صبر جميل، لقد كانوا يقسمون الثمرة الواحدة بين الرجلين لقلة الزاد، وكان يتعاقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، وكانوا يدخرون الماء لندرته، حتى كانوا ينحرون الإبل ليشربوا الماء الذي تدخره في باطنها! ابتلاء كبير، ويُبتلى المرء على قدر دينه.

وكأن هذا الابتلاء ليس كافيًا، فيأتي ابتلاء جديد لاختبار الطاعة لأمر رسول الله، فإن القوم وهم في شدة الحاجة للماء، وصلوا إلى منطقة الحجر، وهي المنطقة التي كانت بها ديار ثمود قوم صالح ، والتي أهلكها الله بالصاعقة لما ظلموا وكفروا بربهم، وعند هذه القرية كانت آبار للماء، ولما رأى المسلمون آبار الماء أسرعوا إليها قبل استئذان الرسول، وملئوا أوعيتهم بالماء، وعجنوا عجينهم بهذا الماء ليصنعوا خبزًا يشبعهم بعد طول جوع.

ولكن رسول الله عندما علم بذلك أمرهم أمرًا شاقًّا جدًّا على نفوسهم، لقد قال لهم: "لاَ تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلاَ تَتَوَضَّئُوا مِنْهُ لِلصَّلاَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الإِبِلَ، وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا".

إن هذا الماء غير مبارك، وهو ماء الذين ظلموا، والأمر مباشر وصريح بعدم الشرب منه، وليس على المسلمين إلا الطاعة، وقد يقول قائل، أو يجادل مجادل: إن هذا الماء ليس له علاقة بشاربه، فيشرب منه البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ونحن في حاجة للماء، والرسول كان يشرب من ماء مكة، وغيرها دون أن يسأل أهو ماء كفار أم مسلمين؟

كل هذه حجج قد تقال، وشبهات قد تثار، وليست كل الأوامر يتضح لنا فيها الحكمة، بل إن بعض الأوامر قد يُخفي الله حكمتها عنا ليختبر مدى طاعتنا لأوامره دون تردد أو فتور.. {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا مُبِينًا} [الأحزاب: 36].

ونجح المسلمون الصادقون في الاختبار، ولم يشربوا من ماء ثمود، بل أمرهم رسول الله ألا يدخلوا ديارها أصلاً، وإن حدث ودخلوها لأي سبب فليدخلوها باكين تأثرًا بما حدث لهم عندما خالفوا أمر الله.

أما هو فقد قَنّع رأسه بالثوب، وأسرع بالمسير، وقال لهم فيما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر ﷺ: "لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ الْمُعَذَّبِينَ، إِلاَ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ".

ويندرج هذا على كل آثار باقية لقوم أُهلكوا قبل ذلك لكفرهم، فلا يدخلها المسلم إلا للاعتبار، ولا يدخلها في فرح وسرور، بل في بكاء، وتأثر، وتذكر، وتدبر.

ثم حدثت أحداث كثيرة في الطريق ليس المجال لتفصيلها، منها بعض المعجزات لرسول الله مثل تكثير الطعام، ومثل الاستسقاء، ونزول المطر مباشرة، ومثل إخباره عن مكان شرود ناقته مع بُعد مكانها عنه، ومثل خروج الماء من وادي المُشقّق مع عدم وجوده في البداية، ومثل إخباره عن ريح قبل أن تهب، ومنها إبطاء أبي ذر لضعف بعيره، ثم إكماله الطريق إلى تبوك ماشيًا على أقدامه.

ومنها مواقف متعددة خبيثة من المنافقين، كالاستهزاء بالرسول و آيات الله، ونزول آيات قرآنية تكشف مكرهم وتدبيرهم.

ومنها نوم الصحابة، ومعهم الرسول عن صلاة الصبح في يوم من الأيام، ثم صلاة الصبح قضاء.

ومنها موت الصحابي الجليل ذي الْبِجَادَيْنِ.

نصر بلا قتال !

وفي النهاية وصل رسول الله ومعه الجيش العظيم إلى أرض تبوك، فماذا وجد؟ لقد وجد عجبًا، لقد تحقق نصر هائل للجيش الإسلامي وللأمة الإسلامية، ولكنه -ويا للعجب- نصر بلا قتال.

لقد فرت الجيوش الرومانية العملاقة التي تحكم وتسيطر على نصف مساحة المعمورة تقريبًا، عندما علمت بقدوم رسول الله.

كيف فرت جيوش الدولة الأولى في العالم من جيش المسلمين، مع وفرة جنودهم، وقوة عتادهم، وعمق تاريخهم ومهارة تدريبهم؟!

إن المعادلة صعبة حقيقةً، ولا تفهم إلا في ضوء الحقيقة القرآنية العظيمة {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا} [آل عمران: 151].

والرعب جندي معروف من جنود الرحمن، ورأيناه كثيرًا في غزوات ومواقع رسول الله بدءًا ببدر، ومرورًا بكل الغزوات، وانتهاءً بآخر غزواته تبوك.

لقد علمت الرومان بقدوم ثلاثين ألف مسلم فيهم رسول الله، فجاءتها ذكريات مؤلمة لموقعة مُؤتة التي لم يمر عليها عامان بعدُ، حيث ارتبكت الجيوش الرومانية أمام ثلاثة آلاف مسلم فقط، وليس ثلاثين ألفًا، ولم يكن في جيش مُؤتة رسول الله، بينما في تبوك الرسول يتوسط جيشه.

لقد حسب الرومان حساباتهم فوجدوا الفرار من هذا الجيش غنيمة، حتى وإن سقطت هيبة الدولة العملاقة، وظهرت بصورة مخزية أمام الدولة الإسلامية الناشئة.

وليس هذا فقط بل فرت أيضًا قبائل العرب المُتَنَصّرة حليفة الرومان من هذه الأماكن، مع أن هذا المكان (تبوك) يدخل في نطاق أرضهم ووطنهم، ولكنهم لم يفكروا أصلاً في مبدأ المقاومة، بل وصل بهم الرعب إلى ترك كل شيء والفرار.

وإذا كان الرومان القادة قد فروا، فما بالكم بأذنابهم؟

لم يكتفِ الرسول بهذا النجاح الباهر، بل أصر على البقاء في تبوك بضعة عشر يومًا، وفي رواية عشرين يومًا؛ ليثبت للجميع أنه ليس خائفًا من الرومان وأعوانهم، مع أنه كان من عادة الجيوش في ذلك الزمن أن يمكثوا في أرض المعركة ثلاثة أيام فقط لإثبات جرأتهم على عدوهم، ولكن رسول الله ضاعف المدة إلى عشرين يومًا كاملة لضبط الأمن في كل المنطقة.

وتوّج رسول الله رحلته بإرسال سرية من المسلمين قوامها أربعمائة وعشرون فارسًا بقيادة خالد بن الوليد إلى دُومَةِ الجَنْدل، والتي تبعد حوالي 335 كيلو مترًا عن تبوك، وذلك لأسر أُكَيْدِر بن عبد الملك الكندي، وكان ملكًا نصرانيًّا ساعد الرومان في حربهم ضد المسلمين.

وقد أخبر رسول الله خالد بن الوليد أنه سيجد أُكَيْدِر يصطاد البقر خارج حصنه، فليأتِ به، وسبحان الله! كما أخبر الرسول الكريم وجد خالد بن الوليد أُكَيْدِر خارج الحصن يصطاد فأسره، و أتى به إلى رسول الله، ثم صالحه رسول الله بعد ذلك على الجزية، وحقن له دمه.

ولم يقف نجاح هذه الحملة العسكرية عند هذا الحد، بل أتى ملوك وأمراء مدن الشام المتاخمة للجزيرة العربية يصالحون رسول الله على الجزية، ومن هؤلاء صاحب أَيْلَة يُحَنَّة بن رؤبة، وكذلك أتاه أهل جَرْبَاء، وأهل أَذْرُح، وأهل مَقْنَا.

لقد تم هذا النصر المبين دون أن يُرْفع سيف، عدا المناوشات البسيطة التي تمت عند أسر أُكَيْدِر بن عبد الملك.

لقد أظهر لنا ربنا طرقًا عديدة لتحقيق النصر للمسلمين، فتارة يجري القتال العنيف الشرس بين المسلمين وأعدائهم كما في بدر، وتارة يصبر المسلمون على حصار عدوهم لهم كما في الأحزاب، حتى ينصرفوا دون نتيجة، وتارة يحاصر المسلمون أعداءهم فينزلون على رأي المسلمين دون قتال، كما في غزوات الرسول مع اليهود في بني قينقاع، وبني نضير، وبني قريظة، وتارة ينزلون على حكم المسلمين بعد قتال كما في خيبر، وتارة لا يفتح حصن يحاصره المسلمون، ولكن يأتي بهم الله بإرادتهم كما في أهل الطائف، وتارة لا يكون هناك قتال بالمرة كما هو الحال هنا في تبوك.

وخلاصة الأمر كما ذكره ربنا في كتابه الكريم: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} [التوبة: 52].

ليس المهم كيف يتم النصر؟ ولكن المهم أن يوجد الجيش الذي يستحق النصر، ثم الله ينصر من يشاء، كيفما يشاء، وفي الوقت الذي يشاء.

وقد فكر رسول الله في استكمال المسير شمالاً، ومطاردة الرومان في بلاد الشام، ولكنه قبل أن يتحرك استشار المسلمين، فأشار عليه عمر بن الخطاب بالرجوع إلى المدينة، وقال له: يا رسول الله، إن للروم جموعًا كثيرة، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت منهم، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى، أو يحدث الله أمرًا.

فعمر بن الخطاب رأى -وكان رأيه صائبًا- أن دخول الشام مخاطرة كبيرة، وخاصة أن أراضي الشام ليست صحراوية، وقتال المسلمين فيها سيكون جديدًا عليهم، بينما سيكون قتال الرومان أكثر ضراوة ومهارة، كما أن أعداد الرومان في الشام لا تقل عن مائتين وخمسين ألف جندي، وهذه أعداد هائلة، غير القبائل المساعدة من العرب.

فرجوع الرسول وهو في نصر لا ينكره أحد، أفضلُ من مخاطرة غير محسوبة.

د. راغب السرجاني

(النَّسِيء: تأخيرُ حرمةِ شهرٍ ووقتِه إلى شهرٍ آخرَ).

٣٨←(٢)←٣٩

بدايةُ الحديثِ عن **غزوةِ تَبُوك** ٩هـ بعتابِ الصحابةِ لمَّا تثاقلُوا عن الخروجِ مع النَّبي ﷺ لغزوِ الرومِ، ثُمَّ توعدَهم اللهُ على تركِ الجهادِ، =

لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ
إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
39	**أنَّ اللّهَ تعالى لَمَّا رغَّبَهم في الآيةِ الأُولى في الجِهادِ بناءً على التَّرغيبِ في ثوابِ الآخرةِ؛ رغَّبَهم في هذه الآيةِ في الجهادِ بناءً على أنواعٍ أُخَرَ مِن الأمورِ المُقَوِّيةِ للدَّواعي**، وهي ثلاثةُ أنواعٍ: قولُه تعالى: يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الثاني: قولُه: وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ. الثالث: قولُه: وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا .-المحرر- و أيضًا فهذا وعيدٌ وتَهديدٌ عَقَّبَ به المَلامَ السَّابِقَ؛ لأنَّ اللَّومَ وقَعَ على تثاقُلٍ حصَلَ، ولَمَّا كان التَّثاقُلُ مُفْضِيًا إلى التخَلُّفِ عن القتالِ، صَرَّح بالوعيدِ والتَّهديدِ إن يعودُوا لمِثلِ ذلك التَّثاقُلِ .-المحرر-

تفسير السعدي:

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة، **فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة، فإن المتخلف، قد عصى الله تعالى وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فَتَّ في أعضاد من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده الله بالوعيد الشديد.** فقال: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ فإنه تعالى متكفل بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه، وراءكم ظهريا.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء أراده، ولا يغالبه أحد.

وقفات ولطائف:

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة، فإن المتخلف، قد عصى الله تعالى وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فَتَّ في أعضاد من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده الله بالوعيد الشديد، فقال: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ثم لا يكونوا أمثالكم

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ فإنه تعالى متكفل بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه، وراءكم ظهريا.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **لا يعجزه شيء أراده، ولا يغالبه أحد**. -السعدي-

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أَيْ: لِنُصْرَةِ نَبِيِّهِ وَ إِقَامَةِ دِينِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٣٨] ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أَيْ: وَلَا تَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا بِتَوَلِّيكُمْ عَنِ الْجِهَادِ، ونُكُولكم وَتَثَاقُلِكُمْ عَنْهُ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَيْ: **قَادِرٌ عَلَى الِانْتِصَارِ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِدُونِكُمْ**.-ابن كثير-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***ما من أمَّةٍ تركت الجهادَ إلا ضرب اللّهُ عليها الذلَّ، فدَفعت مُرغمةً صاغرةً لأعدائها أضعافَ ما كان يتطلَّبه منها كفاحُ الأعداء.**

***قتل المسلمين وتشريدُهم، وأسرهم وإذلالُهم، والسيطرةُ على ثرواتهم وخيراتهم وقراراتهم، كلُّ ذلك من العذاب الناتج عن ترك الاستجابة لدعوة اللّه.**

***إن هذا الدين لمَن ذبَّ عنه ودافع عن حِياضه، فمَن لم ينفِر لأجله استبدل اللّه به غيرَه.**

***المستجيب لما دعا اللّه إليه إنما ينفع نفسَه، والمعرضُ عن ذلك يَجلِب الضررَ عليها، ولن يضرَّ اللّهَ شيئًا، فإن اللّه قادرٌ على أن يذهبَ به ويأتيَ بسواه.**

قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

١٩٣

الرومِ، لم توعدهم الله على ترك الجهادِ، =

٤٠←(١)→٤٠

= وبَيَّنَ لهم هنا أَنَّهم إن لم يَنفِرُوا معَهُ ﷺ ولم يشتَغِلُوا بنُصرَتِه فإنَّ اللهَ ينصُرُه كما نصرَه في الهجرةِ، =

٣٧- ﴿ٱلنَّسِىٓءُ﴾: التَّأخِيرُ لِحُرمَةِ شَهرٍ إلَى شَهرٍ آخَرَ، ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾: لِيُوَافِقُوا.

(٣٩) ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ اعلمْ أنَّك لو دُعِيتَ إلى عملِ خيرٍ فاعتذرتَ عنه، فسوف يأتي غيرُك ويأخذُ شرفَ هذا العملِ، فردِّدْ دائمًا: اللهمَّ استعملْنا ولا تستبدلْنا.

(٤٠) ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ الصَّاحبُ بحقٍّ هو الذي يُخفِّفُ عنكَ الأحزانَ. (٤٠) ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ هذه الآيةُ وضعتْ منهجَ التَّخفيفِ على المحزونين: لا تحدِّثْهم عن تفاصيلِ مشكلاتِهم ولكن حدِّثْهم عن ربٍّ يعرفُها. ٣٩: هود [٥٧].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
40	*أنَّ هذا ذِكرُ طَريقٍ آخَرَ في ترغيبِهم في الجهادِ؛ وذلك لأنَّه تعالى ذكَرَ في الآيةِ الأولى أنَّهم إن لم يَنفِروا باستنفارِه، ولم يشتَغِلوا بنُصرتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فإنَّ اللهَ ينصرُه بدليلِ أنَّ اللهَ نَصرَه وقوَّاه حالَ ما لم يكُنْ معه إلَّا رَجُلٌ واحِدٌ، فهاهنا أَوْلى -المحرر- وأيضًا لَمَّا وصفَ اللهُ تعالى نفسَه الأقدسَ بما هو له أهلٌ مِن شُمولِ القُدرةِ، وعَظيمِ البأسِ والقُوَّةِ؛ أتبعَ ذلك بدَليلٍ يتضمَّنُ أنَّ المُستنفِرَ لهم- وهو نبيُّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- غيرُ مُحتاجٍ إليهم، ولا مُتوقِّفٍ نَصرُه عليهم، كما لم يَحتَجْ إليهم- بحِياطةِ القادِرِ له- فيما مضى من الهِجرةِ التي ذَكَرها، وأنَّ نَفعَ ذلك إنما هو لهم، باستجلابِ ما وُعِدوه، واستِدْفاعِ ما أُوعِدُوه في الدَّارَينِ. -المحرر-

تفسير السعدي:

أي: إلا تنصروا رسوله محمدًا ﷺ فالله غني عنكم، لا تضرونه شيئا، فقد نصره في أقل ما يكون وأذلة ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرج.

﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي: هو و أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أي: لما هربا من مكة، لجآ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب. فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال.

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ النبي ﷺ ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر لما حزن واشتد قلقه، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بعونه ونصره وتأييده.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾

﴿وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرسا له، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، في ظنهم على قتل الرسول ﷺ ، وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئا منه.

ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.

والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع.

وقوله ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ أي كلماته القدرية وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة الإلهية.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي ﷺ كافرًا، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة اللّه على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد اللّه الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

لا تخشَ على دينِ اللّه تعالى، فإن اللّه حافظُه وناصرُه، ولكن اخشَ على نفسك ألا تكونَ من أنصاره المشرَّفين بالدفاع عنه.

إن أوائلَ الطريق إلى النصر قد لا تؤذِن به، فهذه حالُ رسول اللّه ﷺ؛ من طلبِ النجاة في غارٍ موحش مع صاحبٍ وحيد، إلى فتح مكةَ بجيش عَتيد! من غار ثور انبثق درسٌ يعلِّم الناسَ تكاليفَ الدعوة الشاقَّة، فمع نصرة اللّه تعالى وملائكته لرسوله ﷺ يخرجه قومُه من أرضه، ويلجأ إلى غارٍ مهجور طلبًا للأمان.

هنيئًا لأبي بكر رضي اللّه عنه أن كان الثانيَ في الإسلام، وفي الصُّحبة إلى المدينة، وأن اللّه كان معه حين صاحبَ رسولَه ﷺ، وتلك منزلةٌ لم يرقَ إليها أحد. في قمَّة الخوف الذي يدور حولهما، والطلبِ الشديد بحثًا عنهما؛ تُشرقُ شمسُ الثقة من فم الصادق الأمين، فتبدِّد ظلُماتِ المخاوف.

عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم للمُسلِمينَ: ((إنِّي أُريتُ دارَ هجْرَتِكم، ذاتَ نَخلٍ بين لابَتَينِ- وهما الحَرَّتانِ- فهاجر مَن هاجَرَ قِبَلَ المدينةِ، ورجَعَ عامَّةُ مَن كان هاجَرَ بأرضِ الحَبَشةِ إلى المدينةِ، وتجهَّزَ أبو بكرٍ قِبَلَ المدينةِ، فقال له رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: على رِسْلِك فإنِّي أرجو أن يُؤذَنَ لي، فقال أبو بكرٍ: وهل ترجو ذلك بأبي أنتَ؟ قال: نعم، فحَبَس أبو بكرٍ نَفسَه على رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لِيصحَبَه، وعَلَف راحِلَتينِ- كانَتا عِندَه- وَرَقَ السَّمُرِ- وهو الخَبَطُ- أربعةَ أشهُرٍ. قالت عائشةُ: فبينما نحن يومًا جُلوسٌ في بيتِ أبي بكرٍ في نحرِ الظَّهيرةِ ، قال قائِلٌ لأبي بكرٍ: هذا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُتقنِّعًا، في ساعةٍ لم يكُن يأتينا فيها. فقال أبو بكرٍ: فِداءٌ له أبي وأمي، واللهِ ما جاء به في هذه السَّاعةِ إلَّا أمرٌ! قالت: فجاء رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فاستأذَنَ، فأَذِنَ له فدخَلَ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأبي بكرٍ: أَخرِجْ مَنْ عِندك. فقال أبو بكرٍ: إنَّما هم أهلُك، بأبي أنت يا رسولَ الله! قال: فإنِّي قد أُذِنَ لي في الخُروجِ. فقال أبو بكرٍ: الصَّحابةَ بأبي أنت يا رسولَ الله. قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: نعم. قال أبو بكرٍ: فخُذ- بأبي أنت يا رسولَ الله- إحدى راحِلَتيَّ هاتينِ، قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: بالثَّمَنِ. قالت عائشةُ: فجَهَّزْناهما أحَثَّ الجَهازِ ، وصنَعْنا لهما سُفرةً في جِرابٍ ، فقطَعَت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ قِطعةً مِن نِطاقِها ، فربَطَت به على فَمِ الجِرابِ؛ فبذلك سُمِّيَت ذاتَ النِّطاقَينِ، قالت: ثم لَحِقَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم و أبو بكرٍ بغارٍ في جبَلِ ثَورٍ، فكَمَنا فيه ثلاثَ ليالٍ، يَبيتُ عندهما عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ، وهو غلامٌ شابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ فيُدلِجُ مِن عِندِهما بسَحَرٍ، فيُصبِحُ مع قريشٍ بمكَّةَ كبائِتٍ، فلا يسمَعُ أمرًا يُكتادانِ به إلَّا وَعاه، حتى يأتِيَهما بخبرِ ذلك حينَ يَختلِطُ الظَّلامُ، ويرعى عليهما عامِرُ بن فُهَيرةَ- مولى أبي بكرٍ- مِنْحةً مِن غَنَمٍ ، فيُريحُها عليهما حين تذهَبُ ساعةٌ مِن العِشاءِ، فيَبيتانِ في رِسْلٍ- وهو لبَنُ منحَتِهما ورَضِيفِهما- حتى ينعِقَ بها عامِرُ بن فُهَيرةَ بغَلَسٍ يفعَلُ ذلك في كلِّ ليلةٍ مِن تلك الليالي الثَّلاثِ، واستأجَرَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم و أبو بكرٍ رَجُلًا من بني الدِّيلِ هاديًا خِرِّيتًا- والخِرِّيتُ الماهِرُ بالهِدايةِ- وهو على دينِ كُفَّارِ قُريشٍ، فأَمِناه فدَفَعا إليه راحِلَتَيهما، وواعَداه غارَ ثَورٍ بعد ثلاثِ لَيالٍ، براحِلَتَيهما صُبحَ ثلاثٍ، و انطلَقَ معهما عامِرُ بنُ فُهَيرةَ، والدَّليلُ، فأخَذَ بهم طريقَ السَّواحِلِ)) رواه البخاري

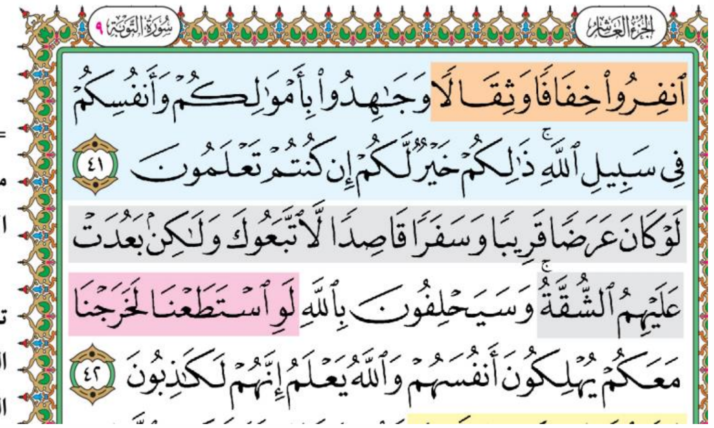
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ.

أي: إذ يقولُ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لِصاحِبِه أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: لا تحزَنْ- يا أبا بكرٍ- لأنَّ اللهَ مَعَنا بنَصْرِه وحِفْظِه، ولن يَصِلَ المشركونَ إلينا .

عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عنه حَدَّثَه، قال: ((نظَرْتُ إلى أقدامِ المُشرِكِينَ على رُؤوسِنا ونحن في الغارِ، فقلتُ: يا رسولَ الله، لو أنَّ أحَدَهم نظَرَ إلى قَدَمَيه أبصَرَنا تحت قَدَمَيه! فقال: يا أبا بكرٍ، ما ظَنُّك باثنينِ اللهُ ثالِثُهما؟)) .

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((لو كُنتُ مُتَّخِذًا مِن أمَّتي خليلًا، لاتَّخَذتُ أبا بكرٍ، ولكِنْ أخي وصاحِبي)) .

وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عليَّ في مالِه وصُحبَتِه أبو بكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخذًا خَليلًا، لاتَّخَذتُ أبا بكرٍ خَليلًا، ولكِنْ أخُوَّةُ الإسلامِ، لا تَبقَيَنَّ في المسجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خوخةُ أبي بكرٍ))



٤١←(١)→٤١
= ثمَّ الأمر بالنَّفير معَهُ ﷺ في جميع الأحوالِ.

٤٢←(٤)→٤٥
توبيخ المنافقين المتخلفين عن تبُوك الذينَ استأذنوه ﷺ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
41	لَمَّا وبَّخ اللهُ تعالى المُؤمِنينَ على التَّثاقُلِ عَنِ النَّفْرِ لَمَّا استنفرَهم الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وتوعَّدَ تعالى مَن لا ينفِرُ مع الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- **قفَّى عليه ببيانِ حُكمِ النَّفيرِ العامِّ**، وأتبَعَه بهذا الأمرِ الجَزمِ، الذي يُوجِبُ القِتالَ على كلِّ فَردٍ مِن الأفرادِ بما استطاع، ولا يُعذَر فيه أحَدٌ بالتخَلُّفِ عن الإقدامِ، وتَركِ طاعةِ الإمامِ.-المحرر-
42	**لَمَّا بالغَ اللهُ تعالى في ترغيبِهم في الجِهادِ في سبيلِ اللهِ**، وكان قد ذكَرَ قولَه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ؛ **عاد إلى تقريرِ كَونِهم مُتثاقِلينَ، وبيَّنَ أنَّ أقوامًا- مع كلِّ ما تقدَّمَ مِنَ الوعيدِ، والحَثِّ على الجهادِ- تخلَّفوا في غَزوةِ تَبوكَ**.-المحرر-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **41-مهما مرَّ بالأمَّة من أحوال، فلا عُذرَ لها أن تتثاقلَ عن الجهاد بالنفس والأموال.**
- **أعذارُ تركِ الجهاد في سبيل الله قليلة، فمَن عجَزَ عن الجهاد بنفسه فليجاهد بماله، غيرَ أن أكمل أوصاف الجهاد هو أن يجمعَ بينهما.**
- **لو أراد الصحابةُ المؤمنون المعاذيرَ للتخلُّف لوجدوها، فكم من عائقٍ اعترض طريقَهم! ولكنَّهم نفروا، ففتح الله لهم القلوبَ والأرضين.**
- **العلم النافعُ يحثُّ على العمل وإحسانِه بإخلاص النيَّة، وتقوية العزائم؛ لاستغلال الغنائم من الأوقات والأعمال.**
- **42-ما أكثرَ مَن يتثاقل ويفتُر لطول الطريق، فيتخلَّفُ عن الركب السعيد، ويلتفتُ إلى مطلبٍ رخيص!**
- **على مَن أذنب أن يقِرَّ ويطلبَ الصفح، ولا يعتذرَ بما يزيد فعلَه قبحًا.**
- **الخداع بادِّعاء قيام العُذر المانع عن الواجب خداعٌ يضرُّ النفس، والحَلِفُ الكاذب إهلاكٌ لها.**

تفسير السعدي:

يقول تعالى لعباده المؤمنين - مهيجا لهم على النفير في سبيله فقال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه - كما يجب الجهاد في النفس - يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

ثم قال: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: الجهاد في النفس والمال، خير لكم من التقاعد عن ذلك، لأن فيه رضا الله تعالى، والفوز بالدرجات العاليات عنده، والنصر لدين الله، والدخول في جملة جنده وحزبه.

لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي: منفعة دنيوية سهلة التناول ﴿و﴾ كان السفر ﴿سَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: قريبا سهلا. ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ لعدم المشقة الكثيرة. ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي: طالت عليهم المسافة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تثاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية. **بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل حال.**

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعذرا وأنهم لا يستطيعون ذلك.

﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في ﴿غزوة تبوك﴾ و أبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي ﷺ عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه الله على هذه المسارعة إلى عذرهم

وقفات ولطائف: قال عزَّوجلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِه وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [الصف: 10 - 13].

وعن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((جاهِدُوا في سبيلِ اللهِ؛ فإنَّ الجِهادَ في سبيلِ اللهِ بابٌ مِن أبوابِ الجنَّة، يُنَجِّي اللهُ به مِنَ الهَمِّ والغَمِّ)) .صححه الألباني

وعن سهلِ بنِ سَعدٍ السَّاعديِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((رِباطُ يَومٍ في سبيلِ الله خيرٌ مِن الدُّنيا وما عليها، وموضِعُ سَوطِ أحَدِكم من الجنَّةِ خَيرٌ مِن الدُّنيا وما عليها، والرَّوحةُ يَروحُها العَبدُ في سبيلِ اللهِ أو الغَدوةُ، خَيرٌ مِن الدُّنيا وما عليها)) . رواه البخاري ومسلم

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ما مِن أحَدٍ يَدخُلُ الجنَّةَ، يُحِبُّ أن يرجِعَ إلى الدُّنيا، وأنَّ له ما على الأرضِ مِن شَيءٍ، غيرُ الشَّهيدِ؛ فإنَّه يتمَنَّى أن يرجِعَ، فيُقتَلَ عَشرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرى من الكَرامةِ)) .رواه البخاري ومسلم

قَولُ اللهِ تعالى: وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ أخبَرَ عنهم أنَّهم سيَحلِفونَ، وهذا إخبارٌ عن غيبٍ يقَعُ في المستقبَلِ، والأمرُ لَمَّا وقع كما أخبَرَ، كان هذا إخبارًا عن الغَيبِ، فكان مُعجِزًا ، ودليلًا على نبوَّةِ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ فقد جاؤُوا فحَلَفوا كما أخبَرَ أنَّه سيكونُ منهم

قَولُ اللهِ تعالى: وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ فيه دليلٌ على أنَّ قَولَه: انْفِروا خِفَافًا وَثِقَالًا إنَّما يتناوَلُ مَن كان قادِرًا متمَكِّنًا؛ إذ لو لم تكُنِ الاستطاعةُ مُعتبَرةً في ذلك التَّكليفِ، لَمَا أمكَنَهم جعلُ عَدمِ الاستطاعةِ عُذرًا في التخَلُّفِ.

عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ
فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ

ربع الحزب ٢٠

الذينَ استأذنوه ﷺ في التخلّفِ مُظهِرين أنَّهم ذوو أعذارٍ ولم يكونُوا كذلك، وعتابُ النَّبي ﷺ لمَّا أَذِنَ لهم، ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ هذا الاستِئذانَ ليس من شأنِ المؤمنينَ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
43	*لَمَّا بكَّتَهم على وجهِ الإعراضِ؛ لأجلِ التخَلُّفِ والحَلِفِ عليه كاذِبًا: **أقبَلَ إليه صلَّى اللّه عليه وسلَّم بالعتابِ في لذيذِ الخِطابِ على الاسترسالِ في اللِّينِ لهم والائتلاف**، وأخْذِ العَفوِ وتَرْكِ الخِلافِ إلى هذا الحَدِّ، فقال مُؤذِنًا بأنَّهم ما تخلَّفوا إلَّا بإذنِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، لأعذارٍ ادَّعَوها كاذبينَ فيها، كما كَذَبوا في هذا الحَلِف.-البقاعي-
44	**ثم بين- سبحانه- الصفات التي يتميز بها المؤمنون الصادقون، عن غيرهم من ضعاف الإيمان**.-الوسيط-
45	**أنَّ اللّهَ تعالى بيَّنَ هنا أنَّ هذا الاستِئذانَ لا يَصدُرُ إلَّا عند عدَمِ الإيمانِ باللّه واليَومِ الآخِرِ**، ثمَّ لَمَّا كان عدَمُ الإيمانِ قد يكونُ بسبَبِ الشَّكِّ فيه، وقد يكونُ بسبَبِ الجَزمِ والقَطعِ بِعَدَمِه- بيَّن تعالى أنَّ عدَمَ إيمانِ هؤلاءِ إنَّما كان بسبَبِ الشَّكِّ والرَّيبِ.-الرازي- ***ثم بين سبحانه- الصفات التي يعرف بها المنافقون، بعد بيانه للصفات التي يعرف بها المؤمنون الصادقون.-الوسيط-** *ولَمّا أخْبَرَ بِالمُتَّقِينَ، عَرَّفَ بِغَيْرِهِمْ عَلى وجْهِ الحَصْرِ تَأْكِيدًا لِتَحْقِيقِ صِفَةِ العِلْمِ بِما أخْبَرَ بِهِ سُبْحانَهُ، فَصارَ الِاسْتِئْذانُ مَنفِيًّا عَنِ المُؤْمِنِينَ مَرَّتَيْنِ، فَثَبَتَ لِلْمُنافِقِينَ عَلى أبْلَغِ وجْهٍ .-البقاعي-

تفسير السعدي:

43-يقول تعالى لرسوله ﷺ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ أي: سامحك وغفر لك ما أجريت.
﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ في التخلف ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ بأن تمتحنهم، ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك.
44-ثم أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم و أنفسهم، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث،فضلا عن كونهم يستأذنون في تركه من غير عذر.
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ فيجازيهم على ما قاموا به من تقواه، ومن علمه بالمتقين، أنه أخبر، أن من علاماتهم، أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد.
45-﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: ليس لهم إيمان تام، ولا يقين صادق، فلذلك قلَّتْ رغبتهم في الخير، وجبنوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال. ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: لا يزالون في الشك والحيرة

وقفات ولطائف:.

عَنْ عَوْنٍ قَالَ: **هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَاتِبَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَاتَبَةِ** فَقَالَ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ .-رواه ابن أبي حاتم-
وَقَالَ قَتَادَةُ: عَاتَبَهُ كَمَا تَسْمَعُونَ، ثُمَّ أَنْزَلَ الَّتِي فِي سُورَةِ النُّورِ، فرخَّص لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النُّورِ: ٦٢] وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أُنَاسٍ قَالُوا: اسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ فَاقْعُدُوا، وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ فَاقْعُدُوا.
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أَيْ: فِي إِبْدَاءِ الْأَعْذَارِ، ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: هَلَّا تَرَكْتَهُمْ لَمَّا اسْتَأْذَنُوكَ، فَلَمْ تَأْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْقُعُودِ، لِتَعْلَمَ الصَّادِقَ مِنْهُمْ فِي إِظْهَارِ طَاعَتِكَ مِنَ الْكَاذِبِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا مُصِرِّينَ عَلَى الْقُعُودِ عَنِ الْغَزْوِ [وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ لَهُمْ فِيهِ.
وَلِهَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُعُودِ عَنِ الْغَزْوِ-أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
قولُ اللّه تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ استدَلَّ به من قال بجَوازِ الاجتِهادِ له صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لأنَّه لو أَذِنَ لهم عن وحيٍ، لم يُعاتَبْ، واستدَلَّ بها من قال: إنَّ اجتِهادَه قد يُخطِئُ، ولكِنْ يُنَبَّهُ عليه بسُرعةٍ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

43-تأدَّب في حديثك عن نبيِّك ﷺ، ألا ترى أن اللّه فاتحه ببشارة العفو، وتعهَّده بحسن الموعظة، ولطف المراجعة.
مَن أراد العدالةَ في المعاملة، ومعرفةَ الأمور على ما هي عليه فليتأنَّ، ولا يغترَّ بظواهر الأحوال.
44-مَن آمن باللّه واليوم الآخر حقَّ الإيمان، قاتل من أجل دينه، وهان عليه الموتُ في سبيله؛ لما يرجوه من النعيم، والنجاةِ من العذاب الأليم.
يتهرَّب من الجهاد مَن لا يؤمن باللّه واليوم الآخر؛ لأنهم يرَون بذلَ النفس والمال له مَغرمًا لا مَغنمًا، وتعبًا وألَمًا، وتعرُّضًا للقتل الذي ليس بعده حياةٌ عندهم.
45-انغماس المُرتاب في رَيبه، وخَواءُ صدره من الإيمان بربِّه، مانعٌ من هدايته، ومَن تحقَّق اليقينُ في قلبه لم يتوانَ عن أداء أوامر دينه.

66-46

فضح المنافقين



٤٦- ﴿انبِعَاثَهُمْ﴾: خُروجَهم للجِهادِ معَكَ، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: ثقَّلَ عليهِمُ الخُروجَ.

(٤٣) ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ تأمَّلْ: بدأ بالعفوِ عن الخطأِ قبلَ أن يعاتِبَه على ارتكابِه، فما أجملَ أن تستفتحَ العتابَ بأجملِ الكلماتِ، لتستميلَ قلبَ مَن تعاتِبُ. (٤٦) ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ من دلائلِ الإيمانِ الاستعدادُ للطّاعةِ قبلَ وقتِ الطّاعةِ.
(٤٦) ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ إذا أبعدتكَ الشواغلُ عن تأديةِ طاعةٍ فاحذرْ أن يكونَ اللهُ قد كرهَ رؤيتَك وأنت تؤدّيها فأبعدَك بالشّواغلِ.

46	ثم حكى- سبحانه- بعض المسالك الخبيثة التي كان يتبعها هؤلاء المنافقون لمحاربة الدعوة الإسلامية، وكيف أنه- سبحانه- أحبط مكرهم.-الوسيط- ***أي: لو خرج هؤلاء المنافقون معكم أيها المؤمنون إلى تبوك ما زادوكم شيئا من الأشياء إلا اضطرابا في الرأى وفسادا في العمل، وضعفا في القتال، لأن هذا هو شأن النفوس المريضة التي تكره لكم الخير، وتحب لكم الشر.**
47	لمَّا ذكَر اللهُ تعالى أنَّه كرِه خروجَهم، وثبَّطهم؛ أخبَر سبحانَه عن الحكمةِ التي تتعلَّقُ بالمؤمنين في تثبيطِ هؤلاءِ عنهم، وبيَّن لِمَ كرِه خروجَهم.-المحرر- ***ثم بين- سبحانه- المفاسد المترتبة على خروج المنافقين في جيش المؤمنين.-الوسيط-** *أي: واللهُ عزَّوجلَّ ذو علمٍ بأولئك المُنافِقينَ الظَّالِمينَ، وبِمَن يقبَلُ كَلامَهم ويُطيعُهم، وبكُلِّ من يَظلِمُ نَفسَه ويَظلِمُ غَيرَه، بفِعلِ ما ليس له فِعلُه، لا يخفى عليه سُبحانه شَيءٌ من ظواهرِهم وبواطِنِهم، وسيُجازيهم على أعمالِهم

تفسير السعدي:

يقول تعالى مبينا أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر. ﴿و﴾ أما هؤلاء المنافقون ف ﴿لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ معكم في الخروج للغزو ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ قدرا وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ من النساء والمعذورين. **ثم ذكر الحكمة في ذلك** فقال ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: نقصا.

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.

﴿وَفِيكُمْ﴾ أناس ضعفاء العقول ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فللّه أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفا من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم.

وقفات ولطائف: **ثم بين الله تعالى وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين.** فَقَالَ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا﴾ أَيْ: لِأَنَّهُمْ جُبَنَاءُ مَخْذُولُونَ،

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عِلْمِهِ فَقَالَ: [وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] فَأَخْبَرَ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا﴾ فَأَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ كَيْفَ يَكُونُ لَوْ خَرَجُوا وَمَعَ هَذَا مَا خَرَجُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٢٣]

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر): **46-ما كلُّ نفس جديرةٌ بالتوفيق إلى الكرامة، وإنما يوفِّق الله بحكمته مَن علم أهليّتَه، ويثبِّط مَن علم فساد طويّته، فلا تنالُ شرفَ رفع راية الكرامة والعزِّ أيدٍ غيرُ طاهرة.**

- ✓ **قضى الله بحكمته أن يضعَ التوفيقَ في محلِّه، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل هُداه وفضلَه.**
- ✓ **أخشى ما يخشاه المؤمن حين يُحالُ بينه وبين الطاعة أن يكونَ الله تعالى قد كرهَها منه، فليُبادر إلى التوبة والاستغفار، وليُقبِل بهمَّة على الطاعات والصالحات.**
- **47-ينبغي أن تكونَ صفوفُ المجاهدين نقيَّةً من الضعفاء والخائنين، فالقلوبُ الحائرة تبُثُّ في الصفوف الضعفَ والخَوَر، والنفوسُ الخائنة على الجيش عبءٌ وخطر.**
- **لا يزالُ المنافقون بين الصفوف، ولا يزال في المؤمنين سمَّاعون لهم؛ لجهلهم بحقيقة أمرهم، وعدم معرفتهم بغَور كلامهم، أو لاتِّباعهم شهَواتِهم. عرَّفنا الله سبحانه - وهو العالمُ بالمنافقين - صفاتِهم وسِماتِهم؛ لنكونَ منهم على حذر، ولئلَّا نستمعَ إليهم؛ فإن ذلك ضربٌ من الظلم.**

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد وضحت أن هناك ثلاث مفاسد كانت ستترتب على خروج هؤلاء المنافقين مع المؤمنين إلى تبوك.

أما المفسدة الأولى: فهي زيادة الاضطراب والفوضى في صفوف المجاهدين.

وأما المفسدة الثانية: فهي الإسراع بينهم بالوشايات والنمائم والإشاعات الكاذبة.

وأما المفسدة الثالثة: فهي الحرص على تفريق كلمتهم، وتشكيكهم في عقيدتهم.

وهذه المفاسد الثلاث ما وجدت في جيش إلا وأدت إلى انهزامه وفشله.

ومن هنا كان تثبيط الله- تعالى- لهؤلاء المنافقين، نعمة كبرى للمؤمنين.

ومن هنا- أيضا- كانت الكثرة العددية في الجيوش لا تؤتى ثمارها المرجوة منها، إلا إذا كانت متحدة في عقيدتها، وأهدافها، واتجاهاتها.. أما إذا كانت هذه الكثرة مشتملة على عدد كبير من ضعاف الإيمان، فإنها في هذه الحالة يكون ضررها أكبر من نفعها. –الوسيط-

﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(لو خرجوا) يعني: المنافقين، (فيكم) أي: معكم، (ما زادوكم إلا خبالاً) أي: فساداً وشراً، ومعنى الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمور. (ولأوضعوا): أسرعوا، (خلالكم) أي: وسطكم؛ بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة، ونقل الحديث من البعض إلى البعض. البغوي

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾

فأخبر أن في المؤمنين من يستجيب للمنافقين، ويقبل منهم، فإذا كان هذا في عهد النبي-ﷺ- كان استجابة بعض المؤمنين لبعض المنافقين فيما بعده أولى. ابن تيمية

قَولُه تعالى: وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ثبَّطَ سُبحانه أعداءَه عن مُتابعةِ رَسولِه، واللَّحاقِ به؛ غَيرةً، فغارسُبحانَه على نَبيِّه وأصحابِه أن يَخرُجَ بينهم المُنافِقونَ فيَسعَوْا بينهم بالفِتنةِ، فثبَّطَهم و أقعَدَهم عنهم

قَولُ الله تعالى: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُم إن قيل: عَلِمَ اللهُ أنَّ المُنافِقينَ لو خرَجُوا مع المؤمنينَ للجِهادِ، ما زادُوهم إلَّا خبالًا وفَسادًا، ولأَوضَعوا خِلالَهم، وأسْرَعوا في السَّعيِ بينهم بالنَّميمةِ، فكيف أمَرَهم بالخُروجِ مع المُؤمنينَ؟! فالجوابُ: أنَّه إنَّما أمَرَهم بالخُروجِ مع المُؤمِنينَ؛ لإلزامِهم الحجَّةَ، ولإظهارِ نِفاقِهم) .

عُدِّيَ السَّماعُ باللَّامِ في قَولِه تعالى: وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ؛ لأنه مُضَمَّنٌ معنى القَبولِ والطَّاعةِ، كما في قَولِ المصلِّي: (سمِعَ اللهُ لِمَن حمِدَه) أي: استجابَ لِمَن حمِدَه، وكذلك سَمَّاعُونَ لَهُمْ أي: مُطيعونَ لهم وهذا على أحدِ أوجُهِ التأويلِ للآيةِ.

تحدثت السورة عن قلوب المنافقين في تسعة مواضع
فإن القلوب موضع الإيمان والكفر في الإنسان وبيتهما الحصين.

قلوب مرتابة مترددة:

قال تعالى: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)، إن المنافقين فيهم صفة الشك والتردد، الذي يولد الاضطراب والقلق، فينتج عن ذلك الخوف والجبن، هذه الصفات المتتالية والمتوالية في قلوب المنافقين، تجعلهم في ريب يترددون، فيستأذنون للانصراف عن الجهاد.

قلوب منافقة مضطربة:

قال تعالى: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. **بسبب وعدهم الذي أخلفوه، والإنفاق الذي منعوه ببخلهم، وتوليهم وإعراضهم عن امتثال أوامر االلّه تعالى، كان اضطرابهم، يقول الرازي: (تلك العقوبة هي حدوث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والذم ... فنقض العهد، وخلف الوعد يورث النفاق**

قلوب حائرة متذبذبة:

قال تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ، **إن حذرهم يجمع بين الخوف من أن تنبئهم بما في قلوبهم، ورغبة في الاستهزاء، لذلك قال االلّه فيهم:** مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143) **النساء فتارة إلى أهل الكفر يميلون، وأخرى إلى أهل الإيمان، متذبذبين بين الفريقين، فأجسادهم تسكن مع المسلمين،وقلوبهم ترفض الإيمان وتكره المؤمنين، ومصالحهم مرتبطة بالكافرين، لذلك هم خائفون على مصالحهم، لذلك هم في خوف وتذبذب دائم.**

قلوب مهمومة مغمومة، بدوام حزنها وأسفها على نفسها:

قال تعالى: {لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)، **عند كل هزيمة يتعرضون لهم، بل عند كل انتكاسة يزيد همهم وغمهم، ويزداد حزنهم، إضافة إلى ريبهم وترددهم واضطرابهم، وخوفا على أنفسهم من القتل ونهب الأموال، وأن هذه الصفات في قلوبهم باقية أبدا ، وتنشق قلوبهم غماً وحسرة، وفي ذلك بشارة للمؤمنين بهزيمة المنافقين النفسية قبل العسكرية والميدانية.**

قلوب استمرأت الجهل:

قوله تعالى: رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)87، وقوله :(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93) **وذلك لأنهم لا يقرؤون السنن الكونية، ولا يعتبرون بغيرهم وبمن سبقهم، حتى بمن يعايشوهم، يقول الرازي: لأجل ذلك الطبع لا يعلمون ما في الجهاد من منافع**

قلوب مريضة:

قال تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125) ، يقول الرازي: (يدل على أن الروح لها مرض، فمرضها بل إن عِظَم مرضهم يكمن في (الكفر والأخلاق الذميمة، وصحتها الأخلاق الفاضلة)رجسهم؛ الذي جمعوا فيه كل الأخلاق المذمومة في التاريخ وعند جميع الناس.

قلوب مطبوع عليها بالكفر:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 127] **يقول الرازي: صرفهم عن الإيمان، بما أورثهم من الغم والكيد، والألطاف التي يختص بها من آمن واهتدى، بل صرفهم عن كل رشد وخير وهدى، فأضلهم وطبع عليها بكفرهم**

قرآنا عجبا

٤٨←(٤)←٥١

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ خطرَ خروجِهم للقتالِ، بَيَّنَ هنا أن لهم سوابقَ في الشرِّ، ثُمَّ ذكرَ بعضَ أعذارِهم الواهيةِ لَمَّا قالَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ: أخافُ إن رأيتُ نساءَ بني الأصفرِ ألا أصبرَ عنهنَّ فأُفتنَ.

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾
إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

48	*ثم ذكر الله تعالى- نبيه ﷺ بطرف من الماضي المظلم لهؤلاء المنافقين .-الوسيط- **يَقُولُ تَعَالَى مُحَرِّضًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ:** ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأمُورَ﴾ أَيْ: لَقَدْ أَعْمَلُوا فِكْرَهُمْ وَأَجَالُوا آرَاءَهُمْ فِي كَيْدِكَ وَكَيْدِ أَصْحَابِكَ وَخِذْلَانِ دِينِكَ وَإِخْمَالِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ رَمَتْهُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَحَارَبَتْهُ يَهُودُ الْمَدِينَةِ وَمُنَافِقُوهَا، فَلَمَّا نَصَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَأَصْحَابُهُ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّه. فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، ثُمَّ كُلَّمَا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ غَاظَهُمْ ذَلِكَ وَسَاءَهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ .-ابن كثير- ***لَمَّا بَيَّنَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ للنبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم وللمسلمينَ أنَّه ثَبَّطَ المُنافقينَ عن الخُروجِ للجِهادِ، وبيَّن أنَّهم لو خَرَجوا فيهم ما زادُوهم إلَّا خَبالًا- بَيَّنَ أنَّ هذا الذي ينطوي عليه المُنافقونَ مِن الشرِّ، كان موجودًا فيهم قبلَ ذلك؛** قبل أن يَنزِلَ القرآنُ في شأنِهم، وأن تَطَّلِعُوا عليهم.-المحرر-

تفسير السعدي:

ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في الشر فقال: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: حين هاجرتم إلى المدينة، بذلوا الجهد، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: أداروا الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك، ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ فبطل كيدهم واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذر الله عباده المؤمنين منهم، وأن لا يبالي المؤمنين، بتخلفهم عنهم.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

48-دَيدَنُ المنافقين أن يُعمِلوا فكرَهم في الكيد للدين وأهله؛ كرهًا للشرع، وبغضًا لأصحابه.

٤٨←(٤)←٥١

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ خطر خروجهم للقتالِ، بَيَّنَ هنا أن لهم سوابق في الشرِّ، ثُمَّ ذكر بعض أعذارهم الواهية لَمَّا قالَ الجَدُّ بنُ قيسٍ: أخافُ إن رأيتُ نساءَ بني الأصفرِ ألا أصبرَ عنهنَّ فأفتن.

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٤٨
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩
إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

49	**ثم واصلت السورة الكريمة حديثها عن هؤلاء المنافقين، فحكت جانبا من أعذارهم الكاذبة، ومن أقوالهم الخبيثة..**-الوسيط-
50	**أنَّ هذا نوعٌ آخرُ مِن كيدِ المُنافِقينَ، ومن خُبْثِ بواطِنِهم.**-الرازي-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

49-مَن أظهر الورعَ وتذرَّعَ به للتخلُّص من الواجب، أو لفعل المَنهيِّ عنه، فقد لجأ إلى حيلةٍ من حِيَل المنافقين.

يبحث المنافقون السابقون عن إذنٍ لتسويغ خطيئتهم، ويبحث المنافقون اللاحقون عن فتوى لتشريع جريمتهم، ولا تقديسَ لدى جميعهم للإذن أو للفتوى، ولكن ينتظرون الموافقةَ فحسب. *ما كانت الفتنةُ يوماً في الجهاد الحقِّ، ولكنَّها في التذرُّع بالواهي من الحُجَج لتركه والتثبيطِ عنه.*الورع الكاذبُ لا يرفعُ عن المنافق حقيقةَ الكفر، ولا يدفعُ عنه يومَ القيامة عذابَ جهنَّم.

- **50-مَن سرَّته أحزانُ المؤمنين، وساءته أفراحُهم، فليتَّهِم قلبَه.**
- **مهما أبدى المنافقون من رغبةٍ في التعايش والاندماج مع مَن حولَهم، فإنهم في ذلك كاذبون، وبعد وقتٍ يُفضَحون.**
- **مَن حسِب البلاءَ شرًّا في كلِّ حال، فأقعده ذلك عن فعل صالح الأعمال، ولم يسلِّم للّه تعالى أو يرضَ بقضائه، ففيه خَصلةٌ من خِصال المنافقين.**
- **لا تظُنَّ الانتماء إلى النسَب أو البلد ينفع أو يجمع في صراع الحقِّ مع الباطل؛ فإن قلوب المنافقين ومشاعرَهم مع غير المؤمنين، ولو كان المؤمنون من قومهم.**

تفسير السعدي: أي: ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: ﴿ائْذَنْ لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن، كما قال ذلك ﴿الجد بن قيس﴾ ومقصوده - قبحه الله - الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضا للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفا عن الشر.ال الله تعالى مبينا كذب هذا القول: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، [فإن] في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم الله بقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ليس لهم عنها مفرولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص.
يقول تعالى مبينا أن المنافقين هم الأعداء حقا، المبغضون للدين صرفًا: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصروإدالة على العدو ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ أي: تحزنهم وتغمهم.
﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ كإدالة العدو عليك ﴿يَقُولُوا﴾ متبجحين بسلامتهم من الحضورمعك.﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة.﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ فيفرحون بمصيبتك، وبعدم مشاركتهم إياك فيها.

وقفات ولطائف:عن جابرِبنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((سمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ لجَدِّ بنِ قَيسٍ: يا جَدُّ، هل لك في جِلادِ بني الأصفرِ؟ قال جدٌّ: أوَتأذَنُ لي يا رسولَ الله؛ فإنِّي رجُلٌ أحِبُّ النِّساءَ، وإنِّي أخشى إنْ أنا رأيتُ نِساءَ بَني الأصفَرِ أنْ أفتَتِنَ؟! فقال رَسولُ الله- وهو مُعرِضٌ عنه-: قد أذِنْتُ لك، فعند ذلك أنزلَ اللهُ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا)) .
وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((لَمَّا أراد النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يَخرُجَ إلى غزوةِ تَبوكَ، قال للجَدِّ بنِ قيسٍ: يا جَدُّ بنَ قَيسٍ، ما تقولُ في مُجاهَدةِ بني الأصفَرِ؟ قال: يا رسولَ الله، إنِّي امرُؤٌ صاحِبُ نِساءٍ، ومتى أرى نِساءَ بني الأصفَرِ أفتَتِنْ؛ فائذَنْ لي في الجُلوسِ، ولا تفتِنِّي! فأنزَلَ اللهُ عَزَّوجَلَّ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا)) .
أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ.
أي: ألَا إنَّ المُنافِقينَ الذين اعتَذَروا عن الجِهادِ بسبَبِ خَوفِهم مِن الفتنةِ بنِساءِ الرُّومِ، قد وقَعُوا في الفِتنةِ العَظيمةِ ببَقائِهم في الكُفرِ، وإثْمِهم بالتخَلُّفِ عن الجِهادِ، ومَعصيةِ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ .

قولُه تعالى: وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي إلى قوله: قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا استُدِلَّ به على جوازِ قَتلِ الزِّنديقِ والمُنافِقِ مِن غيرِ استتابةٍ، وجهُ ذلك أنَّ معنى قَولِه: أَوْ بِأَيْدِينَا- أي: بالقَتلِ- إن أظهَرْتُم ما في قُلوبِكم قتَلْناكم؛ وذلك لأنَّ العَذابَ على ما يُبطِنونَه مِن النِّفاقِ بأيدينا لا يكونُ إلَّا القَتلَ لِكُفرِهم، ولو كان المنافِقُ يَجِبُ قَبولُ ما يُظهِرُه مِن التوبةِ بعدما ظهَرَ نفاقُه وزَندقتُه، لم يمكِنْ أن نترَبَّصَ بهم أن يُصيبَهم اللهُ تعالى بعذابٍ مِن عِندِه أو بأيدينا؛ لأنَّا كُلَّما أرَدْنا أن نعذِّبَهم على ما أظهَروه أظهَروا التَّوبةَ
﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾
(إن تصبك حسنة): نصرة وغنيمة، (تسؤهم): تحزنهم؛ يعني: المنافقين، (وإن تصبك مصيبة): قتل أوهزيمة، (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل): حذرنا.... (ويتولوا): يدبروا، (وهم فرحون): مسرورون بما نالك من المصيبة. البغوي

وَهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ

نساءَ بني الأصفرِ ألا أصبرَ عنهنَّ فأُفتنَ.

٥٢←(٣)→٥٤

لمَّا ذكَرَ فرَحَ المُنافِقينَ بمصائِبِ المُؤمِنِينَ بَيَّنَ هنا أنَّ المؤمنينَ ينتظرُونَ:

51 **لَمَّا كان قَولُهم: قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ متضَمِّنًا لِتوهُّمِ القدرةِ على الاحتراسِ مِن القَدَرِ**؛ ومبينًا أنَّهم يَفرَحونَ بمُصيبةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمسلمينَ، وبِعَدمِ مُشارَكتِهم لهم فيها، فقال تعالى رادًّا عليهم في ذلك ، **بعَدمِ اكتراثِ المُسلمينَ بالمُصيبةِ، وانتفاءِ حُزْنِهم عليها؛ لأنَّهم يعلمونَ أنَّ ما أصابَهم ما كان إلَّا بتقديرِ اللّه لِمَصلحةِ المُسلِمين في ذلك، فهو نَفعٌ مَحضٌ** .كما قال تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ [الحديد: 22-23].وقال سُبحانه: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّه [التغابن: 11].

وعن صُهَيبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((عَجَبًا لأمرِ المُؤمِنِ، إنَّ أمْرَه كُلَّه خَيرٌ، وليس ذاك لأحَدٍ إلَّا للمُؤمِنِ؛ إن أصابَتْه سرَّاءُ شكَرَ، فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضرَّاءُ صَبَرَ، فكان خَيرًا له)) .

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: كتَبَ اللهُ مَقاديرَ الخَلائِقِ قَبلَ أن يَخلُقَ السَّمَواتِ والأرضَ بِخَمسينَ ألفَ سنةٍ))

تفسير السعدي:

قال تعالى رادا عليهم في ذلك ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي: ما قدره وأجراه في اللوح المحفوظ.

﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي: متولي أمورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء.

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل.

وقفات ولطائف:.

إرشاد للرسول صلى اللّه عليه وسلم إلى الجواب الذي يكبتهم ويزيل فرحتهم.

أي: «قل» يا محمد- لهؤلاء المنافقين الذين يسرهم ما يصيبك من شر، ويحزنهم ما يصيبك من خير، والذين خلت قلوبهم من الإيمان بقضاء اللّه وقدره، قل لهم على سبيل التقريع والتبكيت. لن يصيبنا إلا ما كتبه اللّه لنا وقدره علينا «هو مولانا» الذي يتولانا في كل أمورنا، ونلجأ إليه في كل أحوالنا. وعليه وحده- سبحانه نكل أمورنا وليس على أحد سواه.

قَولُ اللهِ تعالى: وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يفيدُ الحَصرَ، وهذا كالتَّنبيه على أنَّ حالَ المُنافِقينَ بالضِّدِّ من ذلك، وأنَّهم لا يتوكَّلونَ إلَّا على الأسبابِ الدُّنيويَّةِ، واللَّذَّاتِ العاجلةِ الفانيةِ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

-51لو تأمَّل المؤمن في الآية لهانت عليه مصيبتُه، فإنه سبحانه قال (لنا) ولم يقل: (علينا).

- **ما يُصيب اللّهُ جلَّ شأنُه مؤمنًا بمصيبةٍ إلا كانت له لا عليه، فهي من اللّه نعمةٌ تستحقُّ الشكر، ولو تزيَّت بلَبوس نقمة.**
- **كيف يسخَط المؤمنُ من قضاءٍ قضاه اللّه له، وهو مولاه الذي يتولَّاه برعايته، ويمدُّ إليه فضلَ عنايته.**
- **المنافق لا يتوكَّل إلا على الأسباب الدنيويةِ واللذَّاتِ الفانية، أمَّا المؤمنُ فيسلِّم نفسَه للّه وحدَه، ولا يعترضُ عليه.**

وَهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ

نساءَ بني الأصفرِ ألا أصبرَ عنهنَّ فأُفتنَ.

٥٢←(٣)→٥٤

لمَّا ذكَرَ فرَحَ المُنافِقينَ بمصائِبِ المُؤمنِينَ بيَّنَ هنا أنَّ المؤمنِينَ ينتظِرُونَ:

52	**لما أجابَ تعالى عن فَرَحِ المُنافِقينَ بمصائِبِ المُؤمنِينَ؛ أجاب بجوابٍ ثانٍ**، وذلك لأنَّ المُسلِمَ إذا ذهَبَ إلى الغَزوِ، فإن صار مَغلوبًا مقتولًا، فازَ بالاسمِ الحَسَنِ في الدُّنيا، والثَّوابِ العظيمِ الذي أعَدَّه اللهُ للشُّهداءِ في الآخرةِ، وإن صار غالبًا فازَ في الدُّنيا بالمالِ الحلالِ والاسمِ الجَميلِ، وهي الرُّجوليَّةُ والشَّوكة والقُوَّة، وفي الآخرة: بالثَّوابِ العَظيمِ. وأمَّا المنافِقُ إذا قعد في بَيتِه، قعَد مذمومًا، مَنسوبًا إلى الجُبنِ والفَشَلِ، وضَعفِ القَلبِ، والقَناعةِ بالأمورِ الخَسيسةِ من الدُّنيا على وجهٍ يُشارِكُه فيها النِّسوانُ والصِّبيانُ، والعاجِزونَ مِنَ النِّساء، ثم يكونونَ أبدًا خائِفينَ على أنفُسِهم وأولادِهم وأموالِهم، وفي الآخِرةِ إن ماتوا فقد انتقَلوا إلى العذابِ الدَّائمِ في القِيامةِ، وإن أَذِنَ اللهُ في قَتْلِهم وَقَعوا في القَتلِ والأَسْرِ والنَّهبِ، و انتقَلوا من الدُّنيا إلى عذابِ النَّارِ . **وأيضًا لَمَّا تضمَّنَ ما سبقَ أنَّ سرَّاءَ المؤمنينَ وضرَّاءَهم لهم خَيرٌ؛ من حيثُ إنَّ الرِّضا بمُرِّ القَضاءِ، مُوجِبٌ لإقبالِ القاضي على المقضِيِّ عليه بالرَّأفةِ والرَّحمةِ- صرَّحَ بذلك** في قولِه تعالى: قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ أي: وهي أن نُصيبَ أعداءَنا، فنظفَرَ ونغنَمَ ونُؤجَرَ، أو يُصيبُونا بقتلٍ أو غيرِه، فنؤجَرَ، وكِلَا الأمرينِ حَسَنٌ .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

ما أجملَ حياةَ أولئك الذين قد تهيَّؤوا لقدَر الله بما يحبُّ! فإن قدَّر عليهم الفرحَ شكروا، وإن قدَّر عليهم الحزنَ صبروا.

***إن كتبَ اللهُ للمجاهد حياةً فهي الحياة الطيِّبةُ الحميدة، وإن كتب له الشهادةَ فهي الميتةُ الكريمة السعيدة.**

***لا شكَّ أن سُنَّة الله في الكافرين ماضيةٌ في أخذهم بالعذاب، لكن لا يعلم غيرُه متى وكيف.**

***المؤمن ينتظر باطمئنانٍ ويقين ما سيكرمُه الله به من صنوف العون والإكرام، وما سيصيبُ به أعداءه من ألوان النَّكال والانتقام.**

تفسير السعدي:

أي: قل للمنافقين الذين يتربصون بكم الدوائر: أي شيء تربصون بنا؟ فإنكم لا تربصون بنا إلا أمرا فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسنيين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب الأخروي والدنيوي. وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنازل عند الله.

وأما تربصنا بكم - يا معشر المنافقين - فنحن نتربص بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا، بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ بنا الخير ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ بكم الشر.

وقفات ولطائف:.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ.

أي: قل- يا مُحمَّدُ- للمُنافِقينَ الذين يَفرَحونَ بما يُصيبُكم مِن مكروهٍ: ما تنتَظِرونَ بنا إلَّا أن تُصيبَنا إحدى الخَلَّتينِ اللَّتينِ هما أحسَنُ مِن غيرِهما: النَّصرُ أو الشَّهادةُ .

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((تضمَّنَ اللهُ لِمَن خرَجَ في سبيلِه، لا يُخرِجُه إلَّا جِهادًا في سبيلي، و إيمانًا بي، وتصديقًا برُسُلي، فهو عليَّ ضامِنٌ أن أُدخِلَه الجنَّةَ، أو أُرجِعَه إلى مَسكَنِه الذي خرَجَ منه، نائلًا ما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ، والذي نفسُ مُحمَّدٍ بِيَدِه، ما من كَلْمٍ يُكلَمُ في سبيلِ اللهِ، إلَّا جاء يومَ القيامةِ كَهَيئَتِه حين كُلِمَ؛ لَونُه لَونُ دَمٍ، وريحُه مِسكٌ، والذي نفسُ مُحمَّدٍ بِيَدِه، لولا أن يَشُقَّ على المُسلِمينَ ما قعَدْتُ خلافَ سَرِيَّةٍ تغزُو في سبيلِ الله أبدًا، ولكِن لا أجِدُ سَعةً فأحمِلَهم، ولا يَجِدونَ سَعةً، ويشُقُّ عليهم أن يتخَلَّفوا عني، والذي نفسُ مُحمَّدٍ بِيَدِه، لَوَدِدْتُ أنِّي أغزو في سَبيلِ اللهِ فأُقتَلُ، ثم أغزو فأُقتَلُ، ثمَّ أغزو فأُقتَلُ)) .

فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ.

أي: وإذا كان الأمرُ كذلك إذن فانتَظِروا، ونحن معَكم مُنتَظِرونَ ما اللهُ فاعِلٌ بنا وبكم؛ فكلٌّ منا سيَصيرُ إلى ما يتربَّصُ به الآخَرُ إليه .

كما قال تعالى: فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ [يونس: 102].

52-النِّفاقُ جالِبٌ لجميعِ الآفاتِ في الدِّينِ والدُّنيا، ومُبْطِلٌ لجَميعِ الخَيراتِ في الدِّينِ والدُّنيا؛ فإنَّ اللهَ تَعالى لَمَّا بيَّن قَبائِحَ أفعالِهم، وفَضائِحَ أعمالِهم؛ بيَّن ما لهم في الآخِرةِ مِنَ العذابِ الشَّديدِ، وما لهم في الدُّنيا مِنْ وُجوهِ المِحْنةِ والبَلِيَّةِ، ثُمَّ بيَّن بَعْدَ ذلك أنَّ ما يَفعلونَه مِنْ أعمالِ البِرِّ لا يَنْتفِعونَ بِهِ يومَ القِيامةِ البتَّةَ، ثم بَيَّن أنَّ ما يَظنُّون أنَّهُ مِنْ مَنافعِ الدُّنيا فهو في الحَقيقةِ سببٌ لعَذابِهم وبَلائِهم، وتَشديدِ المِحْنةِ عليهم، وجاء بيان ذلك مُرتَّبًا على أَحسَنِ الوُجوهِ، ولا يُمكِنُ ترتيبُ الكلامِ على وَجْهٍ أَحْسَنَ مِن هذا:

لقد علمت الرومان بقدوم ثلاثين ألف مسلم فيهم رسول الله، فجاءتها ذكريات مؤلمة لموقعة مُؤتة التي لم يمر عليها عامان بعدُ، حيث ارتبكت الجيوش الرومانية أمام ثلاثة آلاف مسلم فقط، وليس ثلاثين ألفًا، ولم يكن في جيش مُؤتة رسول الله، بينما في تبوك الرسول يتوسط جيشه.

لقد حسب الرومان حساباتهم فوجدوا الفرار من هذا الجيش غنيمة، حتى وإن سقطت هيبة الدولة العملاقة، وظهرت بصورة مخزية أمام الدولة الإسلامية الناشئة.

وليس هذا فقط بل فرت أيضًا قبائل العرب المُتَنَصّرة حليفة الرومان من هذه الأماكن، مع أن هذا المكان (تبوك) يدخل في نطاق أرضهم ووطنهم، ولكنهم لم يفكروا أصلاً في مبدأ المقاومة، بل وصل بهم الرعب إلى ترك كل شيء والفرار.

وإذا كان الرومان القادة قد فروا، فما بالكم بأذنابهم؟

لم يكتفِ الرسول بهذا النجاح الباهر، بل أصر على البقاء في تبوك بضعة عشر يومًا، وفي رواية عشرين يومًا؛ ليثبت للجميع أنه ليس خائفًا من الرومان وأعوانهم، مع أنه كان من عادة الجيوش في ذلك الزمن أن يمكثوا في أرض المعركة ثلاثة أيام فقط لإثبات جرأتهم على عدوهم، ولكن رسول الله ضاعف المدة إلى عشرين يومًا كاملة لضبط الأمن في كل المنطقة.

وتوّج رسول الله رحلته بإرسال سرية من المسلمين قوامها أربعمائة وعشرون فارسًا بقيادة خالد بن الوليد إلى دُومَةِ الجَنْدل، والتي تبعد حوالي 335 كيلو مترًا عن تبوك، وذلك لأسر أُكَيْدِر بن عبد الملك الكندي، وكان ملكًا نصرانيًّا ساعد الرومان في حربهم ضد المسلمين.

وقد أخبر رسول الله خالد بن الوليد أنه سيجد أُكَيْدِر يصطاد البقر خارج حصنه، فليأتِ به، وسبحان الله! كما أخبر الرسول الكريم وجد خالد بن الوليد أُكَيْدِر خارج الحصن يصطاد فأسره، و أتى به إلى رسول الله، ثم صالحه رسول الله بعد ذلك على الجزية، وحقن له دمه.

ولم يقف نجاح هذه الحملة العسكرية عند هذا الحد، بل أتى ملوك وأمراء مدن الشام المتاخمة للجزيرة العربية يصالحون رسول الله على الجزية، ومن هؤلاء صاحب أَيْلَة يُحَنَّة بن رؤبة، وكذلك أتاه أهل جَرْبَاء، وأهل أَذْرُح، وأهل مَقْنَا.

لقد تم هذا النصر المبين دون أن يُرْفع سيف، عدا المناوشات البسيطة التي تمت عند أسر أُكَيْدِر بن عبد الملك.

لقد أظهر لنا ربنا طرقًا عديدة لتحقيق النصر للمسلمين، فتارة يجري القتال العنيف الشرس بين المسلمين وأعدائهم كما في بدر، وتارة يصبر المسلمون على حصار عدوهم لهم كما في الأحزاب، حتى ينصرفوا دون نتيجة، وتارة يحاصر المسلمون أعداءهم فينزلون على رأي المسلمين دون قتال، كما في غزوات الرسول مع اليهود في بني قينقاع، وبني نضير، وبني قريظة، وتارة ينزلون على حكم المسلمين بعد قتال كما في خيبر، وتارة لا يفتح حصن يحاصره المسلمون، ولكن يأتي بهم الله بإرادتهم كما في أهل الطائف، وتارة لا يكون هناك قتال بالمرة كما هو الحال هنا في تبوك.

وخلاصة الأمر كما ذكره ربنا في كتابه الكريم: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} [التوبة: 52].

ليس المهم كيف يتم النصر؟ ولكن المهم أن يوجد الجيش الذي يستحق النصر، ثم الله ينصر من يشاء، كيفما يشاء، وفي الوقت الذي يشاء.

وقد فكر رسول الله في استكمال المسير شمالاً، ومطاردة الرومان في بلاد الشام، ولكنه قبل أن يتحرك استشار المسلمين، فأشار عليه عمر بن الخطاب بالرجوع إلى المدينة، وقال له: يا رسول الله، إن للروم جموعًا كثيرة، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت منهم، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى، أو يحدث الله أمرًا.

فعمر بن الخطاب رأى -وكان رأيه صائبًا- أن دخول الشام مخاطرة كبيرة، وخاصة أن أراضي الشام ليست صحراوية، وقتال المسلمين فيها سيكون جديدًا عليهم، بينما سيكون قتال الرومان أكثر ضراوة ومهارة، كما أن أعداد الرومان في الشام لا تقل عن مائتين وخمسين ألف جندي، وهذه أعداد هائلة، غير القبائل المساعدة من العرب.

فرجوع الرسول وهو في نصر لا ينكره أحد، أفضلُ من مخاطرة غير محسوبة.

د. راغب السرجاني

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

(٥١) ... ١٩٥

٥٢←(٣)←٥٤

لمَّا ذكَر فرَح المُنافِقينَ بمصائِبِ المُؤمنِينَ بيَّنَ هنا أنَّ المؤمنينَ ينتظِرُونَ: نصرًا أو شهادةً، والمنافقينَ ينتظِرُونَ: عذابًا من اللهِ، أو بأيدي المؤمنينَ، وأنَّه لن تُقْبَلَ نفقاتُهم، =

٤٨- ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: دبَّروا الحِيَلَ، ٥٢- ﴿تَرَبَّصُونَ﴾: تنتظِرون، ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: الشَّهادةَ أوِ النَّصرَ.

(٥١) ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ قال (لنا) ولم يقل: (علينا)، لأن المصيبةَ خيرٌ لكَ، ليست عليكَ، قل: الحمدُ للهِ.

(٥٤) ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ ذمَّهم الله على مجيئهم إلى الصلاة وهم كُسالَى، فكيف بمن يركعها في بيته؟!

(٥٤) ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ... كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ التثاقلُ والتكاسلُ عن الطاعةِ صِفةٌ من صِفاتِ المنافقين.

53	*استكمال الحديث عن المنافقين. *بعد أن حكت الآيات الكريمة طرفا من رذائل المنافقين ومن مسالكهم الخبيثة لكيد الدعوة الإسلامية، وردت عليهم بما يكبتهم، ويفضحهم على رءوس الأشهاد. بين- سبحانه- أن هؤلاء المنافقين نفقاتهم غير مقبولة، لأن قلوبهم خالية من الإيمان. ولأن عباداتهم ليست خالصة لوجه الله، وأن ما ينفقونه سيكون عليهم حسرة . ***لَمَّا بيَّنَ اللَّهُ تعالى في الآيةِ الأُولَى أنَّ عاقِبةَ هؤلاءِ المُنافِقِينَ، هي العذابُ في الدُّنيا وفي الآخرةِ؛ بيَّنَ أنَّهم، وإن أتَوْا بِشَيءٍ مِن أعمالِ البِرِّ، فإنَّهم لا ينتَفِعونَ به في الآخرةِ، والمقصودُ بيانُ أنَّ أسبابَ العَذابِ في الدُّنيا والآخرةِ مُجتَمِعةٌ في حقِّهم، وأنَّ أسبابَ الرَّاحةِ والخَيرِ زائلةٌ عنهم في الدُّنيا وفي الآخرةِ**.-الرازي-
54	ثم بين- سبحانه- على سبيل التفصيل لمظاهر فسقهم- أن هناك **ثلاثة أسباب أدت إلى عدم قبول نفقاتهم. -الوسيط-** *أنَّها عَطفٌ على جملةِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ: فهي **بيانٌ للتَّعليل لِعَدمِ قَبول نَفَقاتِهم، بزيادةِ ذِكرِ سَببينِ آخَرينِ مانِعَينِ مِن قَبولِ أعمالِهم**، هما مِن آثارِ الكُفرِ والفُسوقِ. وهما: أنَّهم لا يأتونَ الصَّلاةَ إلَّا وهم كُسالى، وأنَّهم لا يُنفِقونَ إلَّا وهم كارِهونَ.-ابن عاشور-

تفسير السعدي:

يقول تعالى مبينا بطلان نفقات المنافقين، وذاكرا السبب في ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا﴾ من أنفسكم ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ على ذلك، بغير اختياركم. ﴿لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ شيء من أعمالكم ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله.

ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ من غير انشراح صدروثبات نفس، **ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين.**

وقفات ولطائف: **النِّفاقُ جالِبٌ لجميعِ الآفاتِ في الدِّينِ والدُّنيا، ومُبطِلٌ لجميعِ الخيراتِ في الدِّينِ والدُّنيا؛** فإنَّ اللهَ تَعالى لَمَّا بيَّن قَبائحَ أفعالِهم، وفضائحَ أعمالِهم؛ بيَّن ما لهم في الآخِرةِ مِنَ العذابِ الشَّديدِ، وما لهم في الدُّنيا مِنْ وُجوهِ المِحْنةِ والبَليَّةِ، ثُمَّ بيَّن بَعْدَ ذلك أنَّ ما يَفْعلونَه مِن أعمالِ البِرِّ لا يَنْتفِعونَ بِهِ يومَ القِيامةِ البتَّةَ، ثم بَيَّن أنَّ ما يَظنُّونَ أنَّه مِنْ مَنافعِ الدُّنيا فهو في الحَقيقةِ سببٌ لعَذابِهم وبَلائِهم، وتَشديدِ المِحْنةِ عليهم، وجاء بيان ذلك مُرتَّبًا على أحْسَنِ الوُجوهِ، ولا يُمكِنُ ترتيبُ الكلامِ على وَجْهٍ أحْسَنَ مِن هذا.

(قل هَل تَرَبَّصُونَ بِنا إلا إحدَى الْحُسْيَيْنِ) أي: هل تنتظرون بنا إلا إحدى أمرين: إما الظفروالنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحد من الخصلتين حسن. (بِعَذابٍ مِن عِندِهِ): المصائب وما ينزل من السماء، أوعذاب الآخرة. (أوبأيدينا) يعني: القتل. (فَتَرَبَّصُوا): تهديد. ابن جزي

قَولُ اللهِ تعالى: قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ سمَّى الإلزامَ إكراهًا؛ لأنهم مُنافِقونَ، فكان إلزامُ اللهِ ورسولِه إيَّاهم الإنفاقَ شاقًّا عليهم كالإكراهِ

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾

أفعال الكافر إذا كانت برأ؛ كصلة القرابة، وجبر الكسير، وإغاثة الملهوف؛ لا يثاب عليها، ولا ينتفع بها في الآخرة، بيد أنه يطعم بها في الدنيا. القرطبي

﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنهم يعدونها مغرماً، ومنعها مغنماً، وإذا كان المرء كذلك؛ فهي غير متقبلة، ولا مثاب عليها. القرطبي

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

53-الفسق الأكبر وهو الكفر مانعٌ من قَبول العمل، لا ينتفعُ معه صاحبُه بصدقة، ولا يُحمَد على عمل برٍّ.

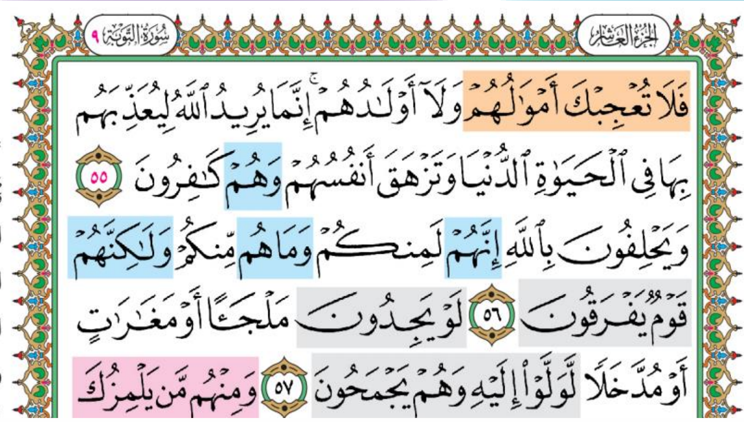
54-الإيمان باللّه ورسوله معراجُ قَبول الأعمال، فلا صُعودَ لها إلى اللّه تعالى إلا عليه.

54-خسرَ أولئك الطائعون من دون غرضِ العبوديَّة للّه تعالى والانقيادِ له، فلو آمنوا وجعلوها للّه وحدَه لربحوا خيرَ الدنيا والآخرة.

54-كيف يُنفِق عن إخلاصٍ ورغبةٍ مَن يتهاون بالصلاة التي هي أعظمُ عبادة؟!

الصلاة والصدقة عبادتان عظيمتان، ينبغي للعبد ألا يأتيَ إليهما إلا مُحبًّا لهما، نشيطًا للإقبال عليهما، يرجو ذُخرَهما، وثوابَهما من اللّه وحدَه.

قال محمَّد بنُ الفضل: (مَن لم يَعرفِ الآمرَ قام إلى الأمر على حدِّ الكسل، ومَن عرف الآمرَ قام إلى الأمر على حدِّ الاستغنام والاسترواح).



٥٥←(٥)→٥٩

= ثم نهى الله نبيه ﷺ (والمرادُ تعليم الأمّة) عن الإعجابِ بما عند المنافقين من أموال وأولادٍ، ثُمَّ بيَّن

55 ثم نهى الله- تعالى- المؤمنين في شخص نبيهم ﷺ عن التطلع إلى ما في أيدى هؤلاء المنافقين فقال. فَلا تُعْجِبْكَ أَموالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ ...-الوسيط-

*ولَمّا انْتَفى عَنْ أمْوالِهِمُ النَّفْعُ الأُخْرَوِيُّ الَّذِي هو النَّفْعُ، تَسَبَّبَ عَنْ ذَلِكَ الزُّهْدُ فِيها المُوجِبُ لِعَدَمِ الِالتِفاتِ إلَيْها وعَدَمِ اعْتِقادِ أنَّ فِيها بَرَكَةً ودَلالَةً عَلى خَيْرٍ، فَقالَ - مُبَيِّنًا ما فِيها مِنَ الفَسادِ الَّذِي يُظَنُّ أنَّهُ صَلاحٌ. –البقاعي-

***لَمّا قَطَعَ اللَّهُ تعالى في الآيَةِ الأولى رجاءَ المُنافِقِينَ عن جميعِ منافِعِ الآخِرةِ؛ بيَّن هنا أنَّ الأشياءَ التي يظنُّونَها من بابِ المنافِعِ في الدُّنيا، فإنَّه تعالى جعَلَها أسبابَ تَعذيبِهم في الدُّنيا**، وأسبابَ اجتماعِ المِحَنِ والآفاتِ عليهم في الآخِرةِ.

56 ***حال أخرى للمنافقين.**

وبعد أن بينت السورة الكريمة أن هؤلاء المنافقين قد خسروا الدنيا والآخرة، أتبعت ذلك بالحديث عن رذائلهم وقبائحهم التي على رأسها الجبن والكذب.-الوسيط-

*لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى كَونَ المُنافِقينَ مُستَجمِعينَ لكُلِّ مضارّ الدُّنيا والآخِرةِ، خالِينَ عن جميعِ منافِعِ الآخِرةِ والدُّنيا- عاد إلى ذِكرِ فضائِحِهم وقبائِحِهم، ومنها إقدامُهم على الأيمانِ الكاذِبةِ

57 **فَكَأنَّهُ قِيلَ: فَما لَهم يُقِيمُونَ بَيْنَنا والمُبْغِضُ لا يُعاشِرُ مَن يُبْغِضُهُ؟ فَقِيلَ: لِأنَّهم لا يَجِدُونَ ما يَحْمِيهِمْ مِنكم**. - البقاعي-

*لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى فَرَقَ المُنافِقينَ مِن المؤمنينَ، أخبَرَبما هم عليه معهم، ممَّا يُوجِبُه الفَرَقُ، وهو: أنَّهم لو أمكَنَهم الهروبُ منهم لَهَربوا، ولكِنَّ صُحبَتَهم لهم، صُحبةُ اضطرارٍ لا اختيارٍ

*والمعنى: أن هؤلاء المنافقين لو يجدون حصنا يلتجئون إليه أو مغارات يستخفون فيها. أو سردابا في الأرض ينجحرون فيه، لأقبلوا نحوه مسرعين أشد الإسراع دون أن يردهم شيء، كالفرس الجموح الذي عجز صاحبه عن منعه من النفور والعدو. فالآية الكريمة تصوير معجز لما كان عليه أولئك المنافقون من خوف شديد من المؤمنين،

تفسير السعدي: يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتها عليهم أن قدموها على مراضي ربهم، وعصوا الله لأجلها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعب البدن.

فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي - لما ألهتهم عن الله وذكره - صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا.

ومن وبالها العظيم الخطر، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فأي عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ﴾ قصدهم في حلفهم هذا أنهم ﴿قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي: يخافون الدوائر، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم. فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرأوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب.

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن، وحلوا بحلية الكذب.

ثم ذكر شدة جبنهم فقال: ﴿لَوْيَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ يلجأون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، ﴿أَوْمَغَارَاتٍ﴾ يدخلونها فيستقرون فيها ﴿أَوْمُدَّخَلًا﴾ أي: محلا يدخلونه فيتحصنون فيه ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة، يقتدرون بها على الثبات.

وقفات ولطائف:

قولُ اللهِ تعالى: لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ أي: كالفَرَسِ الجَموحِ، لا يردُّهم شَيءٌ، وهذا الوصفُ من أبلغِ مُبالغةِ القرآنِ في تصويرِ الحقائِقِ التي لا تتجَلَّى للفَهمِ والعِبرةِ بدونِها، فتُصَوِّرُ شُخوصَهم وهم يَعْدُونَ بغيرِ نظامٍ، يَلهثونَ كما تلهَثُ الكِلابُ، يتسابَقونَ إلى تلك الملاجِئِ مِن مغاراتٍ ومُدَّخَلاتٍ، فيتسَلَّقونَ إليها، أو يندَسُّون فيها، فكذلك كان تصَوُّرُهم عندما سَمِعوا الآيةَ في وَصْفِهم

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

55-المؤمن لا يقتصر نظرُه على متاع الحياة الدنيا؛ فإنها ذاهبةٌ زائلة، وإنما يتَّخذها عونًا على الفلاح في آخرته.

***لا تجدُ أشدَّ تعبًا ممَّن جعل الدنيا أكبرَ همِّه، وهو حريصٌ بجُهده على تحصيلها، والاستزادة من شهَواتها.**

***النفاق جالبٌ لجميع الآفات، مُبطِلٌ لجميع الخيرات، في الدين والدنيا.**

57-المنافق لا تُهمُّه البلادُ التي يعيش فيها أحكِمَت بالإسلام أم بغيره، إنما بلده الذي يحرص عليه هو المكان الذي تتَّسع فيه ملذَّاته، وتتنفَّس فيه أهواؤه.

قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ
أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ٥٧ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ
فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا
هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ

نصف الحزب ٢٠

الإعجابِ بما عند المنافقين من أموالٍ وأولادٍ، ثُمَّ بَيَّنَ إقدامَهم على الأيمانِ الكاذبةِ، وكيف عابوا على النَّبي ﷺ في قسمةِ الصَّدقاتِ، فقالُوا: يُؤثرُ بها من يشاءُ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
58	***أنها شَرحٌ لِنوعٍ آخَرَ مِن قبائِحِ المُنافِقينَ وفَضائِحِهم**، وهو طَعْنُهم في الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ بسبَبِ أخْذِ الصَّدَقاتِ مِن الأغنياءِ، ويقولونَ: إنَّه يُؤثِرُها مَن يَشاءُ مِن أقارِبِه وأهلِ مَودَّتِه، ويَنسُبونَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى أنَّه لا يُراعي العَدلَ . وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ. أي: ومِن المُنافِقينَ مَن يَعيبُك ويتَّهِمُك وينتقِدُكَ- يا محمَّد- طاعِنًا على قِسمَتِك، وتَوزيعِك أموالَ الزَّكاةِ على مُستحِقِّيها **

تفسير السعدي:

أي: ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها. ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ **وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه، تابعا لهوى نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعا لمرضاة ربه، كما قال النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**

وقفات ولطائف:.

قَولُ اللهِ تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ قال أهل المعاني: إنَّ هذه الآيةَ تدلُّ على رَكاكةِ أخلاقِ المُنافقينَ ودناءةِ طِباعِهم؛ وذلك لأنَّه لشدَّةِ شَرَهِهم إلى أخْذِ الصَّدَقاتِ عابُوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ونَسَبوه إلى الجَورِ في القِسمةِ، مع أنَّه كان أبعَدَ خَلقِ اللهِ تعالى عن المَيلِ إلى الدُّنيا)

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾

فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة، أو بصورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه: إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط؛ فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده. ابن تيمية

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾

يعيبك في أمرها وتفريقها، ويطعن عليك فيها...يعني: أن المنافقين كانوا يقولون: إن محمداً لا يعطي إلا من أحب. البغوي

في قَولِه تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ بيانُ أنَّ اللهَ وحدَه هو الكافي؛ حيث جعل اللهُ تعالى الإيتاءَ للهِ ولِرَسولِه؛ وأمَّا الحَسْبُ فله وَحْدَه، فلم يقُلْ: (وقالوا حسبُنا اللهُ ورسولُه) بل جعلَه خالصَ حقِّه، كما قال تعالى: إنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ولم يقُلْ: (إلى اللهِ راغبونَ وإلى رَسولِه)، بل جعَلَ الرَّغبةَ إليه وحدَه .

جعَلَ اللهُ تعالى في الآيةِ الكريمةِ: وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الإيتاءَ أيضًا للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لأنَّ الرَّسولَ هو الواسِطةُ بيننا وبينَ اللهِ في تبليغِ أمْرِه ونَهْيِه، وتحليلِه وتَحريمِه، ووعدِه ووعيدِه؛ فالحلالُ ما حلَّله اللهُ ورسولُه، والحرامُ ما حرَّمه اللهُ ورسولُه، والدِّينُ ما شرعَه اللهُ ورسولُه كان سُفيانُ بنُ عُيَينةَ يَقولُ في قَولِه عزَّوجلَّ: وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ [الأنفال: 41]: (نسَبَ المغنَمَ إلى نفسِه تعالى؛ لأنَّه أشرَفُ الكَسْبِ، ولم يَقُلْ ذلك في الصَّدَقةِ، فقال: إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراءِ، ولم يَقُل: لِلَّه وللفقراءِ؛ لأنَّها أوساخُ النَّاسِ، واكتسابُها مكروهٌ إلَّا للمُضطرِّ إليها).

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

المنافقون لا يحبُّون سدَّ فاقة المحتاجين، ولا الأجرَ للمُنفقين؛ فلذلك لا يعظِّمون شأنَ الزكاة، بل يطعُنون في قِسمتها، فإن أصابوا منها سكتوا عن إعلان طعنهم.

مَن تعلَّق بغير الله؛ فكان رضاه بحصول مَطلَبه، وسخَطُه بضياعه وفقده، فإنما يعبُد بذلك هواه.

قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ
أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

الإعجابِ بما عند المنافقين من أموالٍ وأولادٍ، ثُمَّ بَيَّنَ إقدامَهم على الأيمانِ الكاذبةِ، وكيف عابوا على النَّبي ﷺ في قسمةِ الصَّدقاتِ، فقالُوا: يُؤثرُ بها من يشاءُ.

نصف الحزب ٢٠

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
59	لَمَّا أخبَرَ اللهُ تعالى عن **حالِ المُنافِقينَ السَّيِّئِ الدَّنيءِ**، الذي لا يُجديهم في الدُّنيا، ويُهلِكُهم في الأُخرى- **نَبَّهَهم على ما هو الأصلَحُ لهم؛ مِن الحالِ الشَّريفِ السَّنِيِّ**-المحرر- ***ثم وضح- سبحانه-: المنهج الذي يليق بأصحاب العقيدة السليمة** فقال: وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ... -الوسيط-

تفسير السعدي:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: أعطاهم من قليل وكثير. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أي: متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا، لسلموا من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية. **ثم بين تعالى كيفية قسمة الصدقات الواجبة**

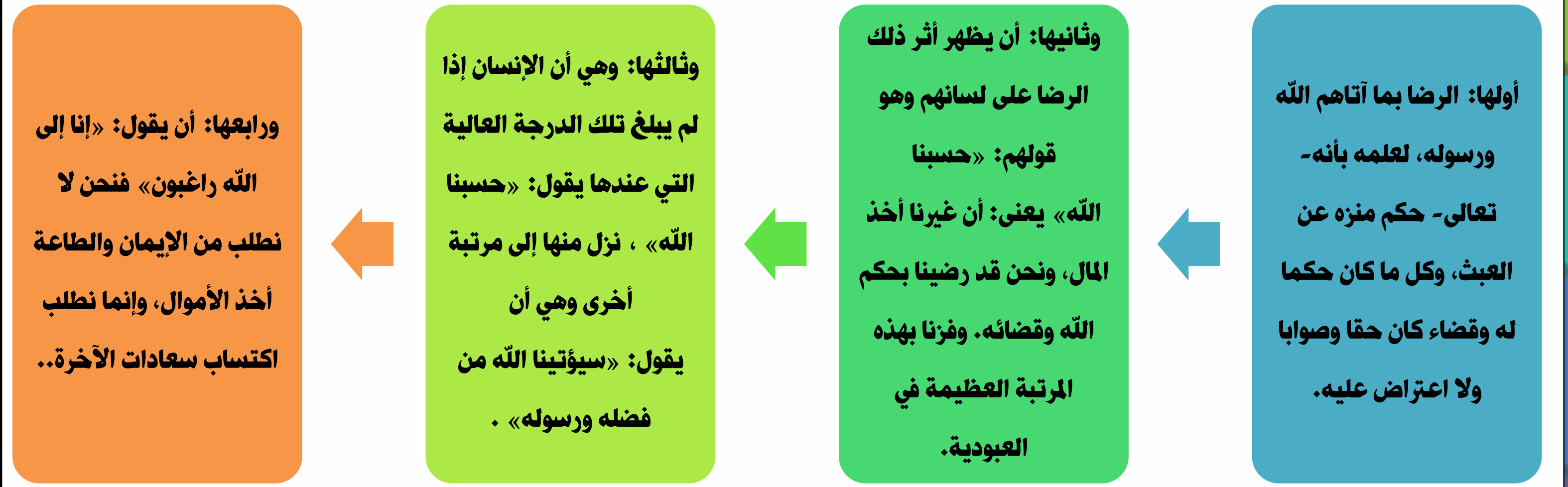
وقفات ولطائف: إنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ.

أي: وقالوا: إنَّا نرغَبُ إلى اللهِ تعالى وَحدَه، ونتضرَّعُ إليه دونَ مَن سِواه، أن يُغنِيَنا مِن فَضْلِه، ويرزُقَنا في الدُّنيا والآخرة، لو أنَّهم فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم في دينِهم ودُنياهم .

عن أبي و ائلٍ، عن عليّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ الله عنه، أنَّ مُكاتَبًا جاءه، فقال: ((إنِّي قد عَجَزتُ عن مُكاتَبَتي فأعِنِّي، قال: ألَا أُعَلِّمُك كَلِماتٍ عَلَّمَنيهنَّ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، لو كان عليك مِثلُ جَبلِ صِيرٍ دَينًا، أدَّاه اللهُ عنك؟! قل: اللهُمَّ اكفِني بحلالِك عن حَرامِك، وأغنِني بفَضلِك عمَّن سِواك)) حسنه الألباني

قال الإمام الرازي ما ملخصه: والآية تدل على أن من طلب الدنيا- بطمع وشراهة- آل أمره في الدين إلى النفاق، وأما من طلب الدنيا بتوسط وبغرض التوسل إلى مصالح الدين، فهذا هو الطريق الحق، والأصل في هذا الباب أن يكون راضيا بقضاء الله.

ألا ترى أنه- سبحانه- ذكر هنا في هذه الآية مراتب أربعة:



العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***من أدبِ النفس واللسان والإيمان: الاكتفاءُ بالله، والرضا بِقسمة الله ورسوله، رضا التسليمِ والاقتناع، لا رضا القهر والغلَب.**

***الحَسْبُ والكفاية لله وحدَه، فإنه لا كافيَ إلا اللهُ تعالى، ولا حافظ إلا هو سبحانه.**

وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

يُؤْثِرُ بها من يشَاءُ.

٦٠ ← (٢) ← ٦١

لَمَّا عَابُوا على النَّبي ﷺ في قسمةِ الصدقاتِ بَيَّنَ اللهُ هنا أنَّه هو الَّذي قَسَمَها بنَفْسِه، وحَدَّدَ لها ثمانيةَ أصنافٍ فقط، ثُمَّ بَيَّنَ إيذاءَ المنافقينَ له ﷺ.

نصف الحزب ٢٠

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ

٥٦- ☑ ﴿يَفْرَقُونَ﴾: أي يخافون؛ من الفَرَق وليس من الفُرقةِ، ٥٨- ﴿يَلْمِزُكَ﴾: يَعِيبُكَ، ٦٠- ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: السُّعَاةِ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الزَّكَاةَ، ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: مَنْ يُرْجَى إِسْلَامُهُمْ، أَوْ دَفْعُ شَرِّهِمْ، ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: عِتقِ الأرقَّاءِ، ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: المَدِينِينَ، وَمَنْ غَرِمُوا لإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ.

(٥٥) ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ... لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ زينةُ الدُّنيا قد تكونُ استدراجًا، فلا تغترّ بالمظاهِر.

(٥٨) ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟﴾ المنافقُ يمدحُ من أعطاه ولو كان على باطلٍ، ويذمّ من منعَه ولو كان على حقٍّ.

٥٥: التوبة [٨٥].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
60	لَمَّا ذكَر اللَّهُ تَعالَى **اعْتِراضَ المنافِقينَ الجهلَةِ على النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، ولَمْزَهم إيَّاه في قَسْمِ الصَّدقاتِ، بيَّنَ تعالَى أنَّه هو الَّذي قَسَمها وبيَّنَ حُكْمَها، وتَوَلَّى أمرَها بنَفْسِه**، ولم يَكِلْ قَسْمَها إلى أحدٍ غيرِه، فجَزَّأَها لهؤلاءِ المذكورينَ.-المحرر-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***الزكاة فريضة تعبُّدية في هيئة خدمة اجتماعيَّة، بها يرتبط العبدُ بخالقه، وبها تمتدُّ جسورُ الصلة بينه وبين أفراد جنسه.**

***شريعة اللّٰه منظِّمةٌ لشؤون الدنيا والدين، فهي تُعينُ المحتاجين، وتساعد على إنجاح مشاريع المُصلحين، وترفع بالمال راياتِ الجهاد بين العالَمين.**

***لو عمل الناسُ بنظام الإسلام التكافليِّ لما أكل بعضُهم أموالَ بعض من خلال القوانين الوضعيَّة، كما هي شرائعُ الأرض الظالمة.**

***الزكاة تشريعُ حكيمٍ عليم؛ فإنها إذا أُخذت كما ينبغي وصُرفت كما ينبغي، صارت مصلحةً عظمى للفرد والجماعة.**

تفسير السعدي:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد. أي: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن اللّٰه بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئًا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، والمؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالا، لدخوله في قوله: [وفي الرقاب]

السادس: الغارمون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوَفِّي به دينه.

والسابع: الغازي في سبيل اللّٰه، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل اللّٰه.

وقالوا أيضًا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، [وفيه نظر] .

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ واعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب اللّٰه هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية.

وقفات ولطائف:.

الزكاة لها مكانُها في شريعةِ اللّه، ومكانُها في النِّظامِ الإسلاميِّ؛ فهي ليست تطوُّعًا ولا تفضُّلًا ممَّن فُرِضَت عليهم- فهي فريضةٌ مُحتَّمةٌ- ولا مِنحةً ولا جُزافًا من القاسِمِ المُوَزِّع، فهي فريضةٌ معلومةٌ، إنَّها إحدى فرائضِ الإسلامِ، تَجمَعُها الدَّولةُ المُسلِمةُ بنظامٍ مُعَيَّنٍ؛ لتُؤدِّيَ بها خدمةً اجتماعيَّةً محدَّدةً، وهي ليست إحسانًا من المُعطِي، وليسَت شِحاذةً مِن الآخِذِ؛ يُبيِّنُ ذلك قولُ الله تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

جَرَت العادةُ باستقراءِ القُرآنِ أنَّه إذا كان الإيمانُ باللّه عدَّاه بالباءِ، كأن يَقولَ: آمَنُوا بِاللَّهِ [النساء: 152]، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران: 114]؛ لأنَّه من باب الإقرار به تعالى، وإذا كان الإيمانُ معناه تصديقُ مَخلوقٍ، فإنَّه يُعَدِّيه باللامِ دائمًا؛ ولذا قال تعالى هنا: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ معناه: ويُصَدِّقُ المُؤمنينَ. ولا يكادُ هذا التَّصديقُ المتعَلِّقُ بالآدميِّينَ يُوجَدُ في القرآنِ إلَّا مَجرورًا باللَّامِ، كقوله تعالى: فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ [العنكبوت: 26]، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا [يوسف:17].

قد يُشكِلُ على بعضِهم قولُ اللّه تعالى هنا: وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا فقيَّد كونَه رحمةً للذين آمنوا، وفي سورةِ الأنبياءِ قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء: 107] فلم يقيِّد كونَه رحمةً بالإيمان، بل قال لجميعِ العالَمينَ، والجوابُ عن ذلك: أنَّ اللهَ جلَّ وعلا أرسَلَه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه؛ رحمةً لجميعِ الخلائقِ، إلَّا أنَّ بَعضَهم قَبِلَ مِن الله التفضُّلَ بتلك الرَّحمةِ فحازها، فخصَّ في قَولِه: وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وبعضُهم لم يقبلْها ولم يَحُزْها، ولا ينافي ذلك أنَّ الله أعطاه تلك الرَّحمةَ، إلَّا أنَّه لم يقبلْها ولم يَحُزْها

قَولُ اللّه تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ لعلَّ السَّبَبَ في وقوعِ هذه الآيةِ في تضاعيفِ ذِكرِ المُنافِقينَ ومَكايِدِهم؛ أنَّه دلَّ بِكَونِ هذه الأوصافِ مَصارِفَ الصَّدَقاتِ خاصَّةً دونَ غَيرِهم، على أنَّهم لَيسُوا منهم؛ حَسمًا لأطماعِهم، وأنَّهم بُعَداءُ عنها وعن مصارِفِها، فما لهم ولها، وما سَلَّطَهم على الكلامِ لها ولِمَن قاسَمَها ؟!

قال اللّه تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ التَّرتيبُ في هذه الأصنافِ؛ لبيانِ الأحَقِّ فالأحَقِّ للصَّدَقاتِ، على القاعدةِ الغالبةِ عند فُصَحاءِ العَرَبِ في تقديمِ الأهَمِّ فالأهَمِّ، على ما دُونَه في الموضوعِ، وإن كانَت الواوُ لا تفيدُ التَّرتيبَ في معطوفاتِها؛ فالفُقَراءُ والمساكينُ أحَقُّ مِن غَيرِهم بهذه الصَّدَقاتِ؛ لأنَّهم المقصودونَ بها أوَّلًا وبالذَّاتِ، بدليلِ: ((تُؤخَذُ من أغنيائِهم فتُرَدُّ في فُقَرائِهم)) () ، ويليهم العاملونَ عليها؛ لأنَّهم هم الذين يقومونَ بِجَمعِها وحِفظِها، ويَليهم المؤلَّفةُ قُلوبُهم عند الحاجةِ إليهم، وهم يُعطَونَ مِن الغنائِمِ أيضًا، فالحاجةُ إليهم عارِضةٌ، لا كالعاملينَ على الصَّدَقاتِ، ويليهم مصلحةُ فَكِّ الرِّقابِ والعِتقِ، وهي مِن المصالِحِ الاجتماعيَّةِ الكماليَّةِ لا الضَّروريَّةِ؛ فإنَّ تأخيرَها لا يُرهِقُ مُعْوِزًا كالفَقيرِ، ولا يُضَيِّعُ مصلحةً تشتَدُّ الحاجةُ إليها، كتأليفِ القُلوبِ، ويليها مُساعَدةُ الغارِمِ على الخُروجِ مِن غُرمِه؛ فهو دونَ مُساعَدةِ الرَّقيقِ على الخُروجِ مِن رِقِّه، ويليهم المصلحةُ العامَّةُ المعَبَّرُ عنها بسبيلِ اللهِ () ، فهي من قبيلِ العامِّ الذي يُرادُ به ما وراءَ ذلك الخاصِّ ممَّا قبلَها، الذي تكثُرُ الحاجةُ إليه، وأمَّا ابنُ السَّبيلِ فهو دونَ جميعِ ما قبلَه؛ لِنُدرةِ وُجودِه

قَولُ اللّه تعالى: وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ استدَلَّ بعمومِه مَن قال: يُعطَونَ مع الغِنى، ومَن قال: يُصرَفُ منه في كلِّ ما يتعلَّقُ بالجهادِ؛ مِن مُصالحةِ عَدُوٍّ، وبناءِ حِصنٍ، وحَفرِ خَندقٍ، و اتِّخاذِ سلاحٍ وعُدَدٍ، وإعطاءِ جواسِيسَ لنا، ولو كانوا نَصارى

قَولُ اللّه تعالى: وَابْنِ السَّبِيلِ استدَلَّ بعُمومِه من قال: يُعطى، وإن كان له مالٌ ببَلَدِه.

وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ — ١٩٦

نصف الحزب ٤٠

يُؤثِرُ بها من يشَاءُ.

٦٠ ←(٢)→ ٦١

لَمَّا عَابُوا على النَّبي ﷺ في قسمةِ الصدقاتِ بَيَّنَ اللهُ هنا أنَّه هو الَّذي قَسَمَها بنَفْسِه، وحَدَّدَ لها ثمانيةَ أصنافٍ فقط، ثُمَّ بَيَّنَ إيذاءَ المنافقينَ له ﷺ.

٥٦- ☑ ﴿يَفْرَقُونَ﴾: أي يخافون؛ من الفَرَق وليس من الفُرقة، ٥٨- ﴿يَلْمِزُكَ﴾: يَعيبُك، ٦٠- ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: السُّعَاةِ الَّذينَ يَجْمَعُونَ الزَّكَاةَ، ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: مَنْ يُرْجَى إِسْلَامُهُمْ، أَوْ دَفْعُ شَرِّهِمْ، ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: عِتقِ الأرِقَّاءِ، ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: المَدِينينَ، وَمَنْ غَرِمُوا لإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ.

(٥٥) ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ... لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ زينةُ الدُّنيا قد تكونُ استدراجًا، فلا تغترّ بالمظَاهِر.

(٥٨) ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟﴾ المنافقُ يمدحُ من أعطاه ولو كان على باطلٍ، ويذمّ من منعَه ولو كان على حقٍّ.

٥٥: التوبة [٨٥].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
61	**أنَّ هذا نوعٌ آخَرُ مِن جَهالاتِ المُنافِقين**، وهو أنَّهم كانوا يقولونَ في رسولِ اللهِ: إنَّه أُذُنٌ، على وجهِ الطَّعنِ والذَّمّ.-الرازي-

تفسير السعدي:

أي: ومن هؤلاء المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم - قبحهم الله - فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل.

فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

وقفات ولطائف:

أذى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُحادَّةٌ لله ولِرَسولِه؛ لأنَّه قال هذه الآيةَ عَقِبَ قَولِه تعالى: وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ثم قال: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فلو لم يكونوا بهذا الأذى مُحادِّين، لم يَحسُنْ أن يُوعَدوا بأنَّ للمُحادِّ نارَ جَهنَّمَ

[وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ]

(ويقولون هو أذن) أي: يسمع كل ما يقال له ويصدّقه ... (قل أذن خير لكم) أي: يسمع الخير والحق، (ويؤمن للمؤمنين) أي: يصدقهم؛ يقال: آمنت لك إذا صدقتك. ابن جزي.

[وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]

في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه. السعدي

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***لا تعجَب إن حرَّف المنافقون مظاهرَ الخيرِ في المؤمنين، فجعلوها صفاتِ ذمٍّ، فذلك داءٌ فيهم قديم.**
***الأصل في المسلمين حُسنُ الظنِّ، حتى يظهرَ ما يخالفُ ذلك.**
***كلَّما كانت النفسُ أسلمَ قلبًا كانت في السماحة أكمل، ليس ضعفًا منها، بل من باب اللطافة وسرعةِ القَبول لما يُناسب من الخير.**
***ما يجب أن يسودَ في المجتمع هو اللطفُ والتصديق، ولا يعكِّر ذلك أفرادٌ غيرُ أنقياء من تلك الثلَّة النقيَّة.**
***لقد أرسل اللهُ تعالى رسولَه رحمةً لجميع الخلائق، فطوبى لمَن تلقَّى هذه الرحمةَ بالقَبول، وصدَّق ما جاء به.**
مَن آذى رسولَ اللهِ ﷺ فقد آذى اللهَ الذي أرسله جلَّ جلالُه، وذلك يوجب سَخَطَ اللهِ وعذابَه.

تفسير السعدي:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ فيتبرأوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايتهم أن ترضوا عليهم.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لأن المؤمن لا يقدم شيئا على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله.

وقفات ولطائف:.

يَحلِفُونَ باللهِ لَكُم لِيُرضُوكُم.

أي: يحلِفُ المُنافِقونَ باللهِ لكم كَذِبًا- أيُّها المؤمِنونَ- فيتبَرَّؤونَ من أذاهم لِرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ويؤكِّدونَ لكم أنَّهم على دِينِكم؛ يبتغونَ بذلك رِضاكم .

عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما حدَّثَه، قال: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، في ظِلِّ حُجرةٍ مِن حُجَرِه، وعنده نَفَرٌ من المُسلِمينَ، قد كاد يَقلِصُ عنهم الظِّلُّ، قال: فقال: إنَّه سيأتيكم إنسانٌ ينظُرُ إليكم بعيَنَي شَيطانٍ، فإذا أتاكم فلا تُكَلِّموه، قال: فجاء رجلٌ أزرَقُ، فدعاه رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فكلَّمه، قال: علامَ تَشتِمُني أنت وفلانٌ وفلانٌ- نفَرٌ دَعاهم بأسمائِهم؟ قال: فذهَبَ الرَّجُلُ فدعاهم، فحَلَفوا باللهِ واعتَذَروا إليه، قال: فأنزَلَ اللهُ عزَّوجَلَّ: فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ... الآية))-رواه أحمد-

قَولُ اللهِ تعالى: يَحْلِفُونَ باللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ تضمَّنَ قَبولَ يَمينِ الحالِفِ، وإن لم يَلزَمِ المحلوفَ له الرِّضا، واليمينُ حقٌّ للمُدَّعي

مِن عادةِ المُنافقينَ، والكاذبِينَ مِن عُصاةِ المُؤمنِينَ وغيرِهم، أن يُكثِروا الحَلِفَ لِيُصَدَّقوا؛ لأنَّهم لعِلمِهم بكَذِبِهم يظنُّونَ أو يَعلَمونَ أنَّهم مُتَّهَمونَ في أقوالِهم وأعمالِهم، فيَحلِفونَ لإزالةِ التُّهمةِ، وهذا معلومٌ في كلِّ زمانٍ؛ قال الله تعالى: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***عادةُ المنافقين وأشباهِهم الإكثارُ من الحَلِف، لعلمهم أنهم كاذبون متَّهمون.**

***إذا خلَت القلوبُ من الإيمان بالله، وامتلأت بالشكِّ من لقائه، أصبح أهلُها حريصين على إرضاء الخلق ولو بسَخَطِ الخالق؛ من أجل الظفَر بمصالحهم العاجلة.**

المؤمن لا يقدِّم شيئًا على رضا ربِّه ورضا رسوله ﷺ، ومَن قدَّم رضا غيرِ الله ورسوله على رضاهما فيُخشى على إيمانه.



الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
62	ثم حكى القرآن بعد ذلك لونا من جبنهم وعجزهم عن مصارحة المؤمنين بالحقائق،-الوسيط-

٦٢←(٥)←٦٦

وأيضًا مِن قبائحِ المُنافِقينَ المتخلفينَ عن تبُوكَ: إقدامُهم على اليَمينِ الكاذبةِ، وتخوُّفُهم من نزولِ القرآنِ فاضحًا لهم، واستهزاؤُهم بآياتِ اللهِ.

أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
63	**لَمَّا بيَّنَ تعالى أنَّ حَلِفَ المُنافِقينَ إنَّما هو لِكَراهةِ الخِزيِ عند المُؤمِنينَ، وبَيَّنَ مَن هو الأحَقُّ بأن يُرضُوه؛ أقام الدَّليلَ على ذلك في استفهامِ إنكارٍ وتَوبيخٍ،** مُبَيِّنًا أنَّهم فَرُّوا من خزيٍ مُنقَضٍ، فسَقَطوا في خِزيٍ دائِمٍ.-البقاعي-

تفسير السعدي:

وهذا محادة لله ومشاقة له، وقد توعد من حاده بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: يكون في حد وشق مبعد عن الله ورسوله بأن تهاون بأوامر الله، وتجرأ على محارمه.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذا بالله من أحوالهم.

وقفات ولطائف:

حسُنَ قَولُه: أَلَمْ يَعْلَمُوا لأنَّه طال مُكثُ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم معهم، وكثُرَت نهاياتُه للتَّحذيرِ عن معصيةِ الله والتَّرغيبِ في طاعتِه، وقد قال أهلُ المعاني: قول: (ألم تعلَمْ) خطابٌ لِمَن حاول الإنسانُ تعليمَه مُدَّةً، وبالغَ في ذلك التعليمِ، ثمَّ إنَّه لم يعلَمْ، فيقالُ له: ألم تعلَمْ بعد هذه السَّاعاتِ الطويلةِ والمدَّةِ المَديدةِ ؟!

وجُملةُ: ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ تَذييلٌ لِما سَبَقَ؛ فالخزيُ: الذُّلُّ والهوانُ المُقارِنُ للفَضيحةِ والنَّدامةِ، وهي ثَمراتُ نِفاقِهم حيثُ يُفتَضَحونَ على رُؤوسِ الأشهادِ بظُهورِها ولُحوقِ العذابِ الخالدِ بهم، والإشارةُ بـ ذَلِكَ إلى ما ذُكِرَ مِنَ العذابِ الخالدِ بذلك؛ إيذانًا ببُعدِ دَرجتِه في الهولِ والفَظاعةِ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***مَن حادَ عن طريق المؤمنين في الدنيا، فصار في حدٍّ وهم في حدٍّ آخر، حِيلَ بينه وبين منزلهم يوم القيامة.**
***لا خِزيَ أعظمُ من خِزيِ المنافقين يوم القيامة، فضيحةٌ على رؤوس الأشهاد، ومآلٌ إلى شرِّ منزلٍ يوم المَعاد.**

تفسير السعدي:

كانت هذه السورة الكريمة تسمى ﴿الفاضحة﴾ لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم،

فما زال اللّه يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين: إحداهما: أن اللّه سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده.

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلي يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.

قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾

وقال هنا ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم، حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين.

﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أي: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية. ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ وقد وفَّى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم، وهتكت أستارهم.

وقفات ولطائف:

قَولُ اللّهِ تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إن قيل: المُنافِقُ كافِرٌ، فكيف يَحذَرُ نُزولَ الوَحيِ على الرَّسولِ؟

فالجوابُ أنَّ في ذلك وجوهًا:

الأول: أنَّ القَومَ وإن كانوا كافِرينَ بدِينِ الرَّسولِ، إلَّا أنَّهم شاهَدوا أنَّ الرَّسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كان يُخبِرُهم بما يُضمِرونَه ويَكتمونَه؛ فلهذه التَّجربةِ وقَعَ الحَذَرُوالخَوفُ في قلوبِهم.

الثاني: أنَّهم كانوا يَعرِفونَ كَونَه رَسولًا صادِقًا مِن عند الله تعالى، إلَّا أنَّهم كفَروا به؛ حسَدًا وعِنادًا.

الثالث: أنَّهم كانوا شاكِّينَ في صِحَّةِ نبوَّتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وما كانوا قاطِعينَ بفَسادِها. والشاكُّ خائِفٌ؛ فلهذا السَّبَبِ خافوا أن يُنَزِّلَ عليه في أمْرِهم ما يفضَحُهم.

الرابع: هذا حذَرٌأظهَرَه المُنافِقونَ على وجهِ الاستِهزاءِ، حين رأوُا الرَّسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يذكُرُكُلَّ شَيءٍ، ويُخبِرُأنَّه عن الوَحيِ، وكان المُنافِقونَ يُكَذِّبونَ بذلك فيما بينهم، فأخبَرَاللهُ رسولَه بذلك، وأمَرَه أن يُعلِمَهم أنَّه يُظهِرُسِرَّهم الذي حَذِروا ظُهورَه، وفي قولِه: اسْتَهْزِئوا دَلالةٌ عليه.

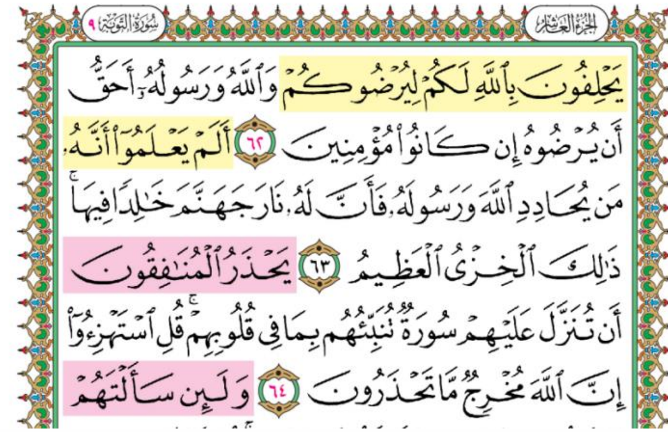
الخامس: معنى الحَذَرِالأمرُبالحَذَرِ، أي: لِيحذَرِالمُنافِقونَ ذلك

قَولُ اللّهِ تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إن قيل: كيف قال عَلَيْهِمْ، مع أنَّ إنزالَ السُّورةِ إنَّما هو على النبيِّ، لا عليهم؟ فالجوابُ: أنَّ (على) هنا بمعنى (في)، كما في قَولِه تعالى: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ [البقرة: 102]، أو أنَّ الإنزالَ هنا بمعنى القراءةِ عليهم

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

ما أسرَّ عبدٌ سريرةً يمكُر فيها بدين اللّه تعالى، ويستهزئُ به وبآياته ورسولِه إلا فضح اللّه مكرَه، وهتك سترَه.

ما أغبى المنافقين؛ يخشَون فضيحةَ الدنيا أمام بعض الخلق، ولا يخشَونها بين يدَي الخالق، على مَرأى جميع الخلائق!



الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
64	بعد أن ذكرت الآياتان جانبا من رذائل المنافقين وأكاذيبهم، وتوعدتا كل مخالف لأوامر الله ورسوله بسوء المصير. ثم واصلت السورة حملتها على المنافقين، فكشفت عن خباياهم، وهتكت أستارهم، و أبطلت معاذيرهم، وتوعدتهم بسوء المصير . ***هذه الآيات في بيان شأن آخر من شئون المنافقين التي كشفت سوأتهم فيها غزوة تبوك**. -الوسيط-

إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم
بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
65	*ولمّا وصفَهم بالنِّفاق، حقَّقَه بعدَمِ مُبادرَتِهم إلى التَّوْبَةِ الَّتِي هي فِعلُ المُؤْمِنِين، وبِاجْتِرائِهِم عَلَى الإِنْكارِ -البقاعي- *ولما بلغهم أن النبي ﷺ ، قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب. قال الله تعالى - مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك - : ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن الاستهزاء بالله و آياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.-السعدي-

تفسير السعدي:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم، يقول طائفة منهم في غزوة تبوك ﴿ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون النبي ﷺ وأصحابه - أرغب بطونا، [وأكذب ألسنا] وأجبن عند اللقاء﴾ ونحو ذلك.

ولما بلغهم أن النبي ﷺ ، قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب.

قال الله تعالى - مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك - : ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن الاستهزاء بالله و آياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.

وقفات ولطائف:. عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما، قال: **((قال رجلٌ في غزوةِ تَبوكَ في مجلسٍ يومًا: ما رأيتُ مِثلَ قُرَّائِنا هؤلاءِ، لا أرغَبَ بُطونًا، ولا أكذَبَ ألسِنةً، ولا أجبَنَ عند اللِّقاءِ! فقال رجلٌ في المجلِسِ: كذَبْتَ، ولكنَّك مُنافِقٌ، لأُخبِرَنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، فبلغ ذلك النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، ونزل القرآنُ، قال عبدُ اللَّهِ: فأنا رأيتُه مُتعلِّقًا بِحَقَبِ ناقةِ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم تَنكُبُه الحِجارةُ ، وهو يقولُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّما كنَّا نخوضُ ونَلعَبُ، ورسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يقولُ: أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ))** -رواه ابن أبي حاتم-

قَوْلُ اللَّهِ تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ يدلُّ على أنَّ كَلِمةَ (إنما) تفيدُ الحَصرَ؛ إذ لو لم يكُنْ ذلك، لم يلزَمْ مِن كونِهم لاعبينَ ألَّا يكونوا مُستَهزِئينَ، فحينئذٍ لا يتِمُّ هذا العُذرُ

قولُ الله تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ يدلُّ على بُطلانِ قَولِ مَن يَقولُ: الكُفرُ لا يدخُلُ إلَّا في أفعالِ القُلوب .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

65-تثبَّت من الأقوال والأعمال، قبل أن تُصدرَ على أصحابها الأحكام، فرُبَّ كلمة تهوي بصاحبها في جهنَّم سبعين خريفًا.
***شريعة اللّه ساميةٌ عالية، لا يجوز أن تمتدَّ إليها يدُ الخَوض واللعب، واللهو والهُزُؤ.**
***على العاقل أن يحذَرَ موارد الهَلَكة بخوضه في دين اللّه بالتنقُّص، فاللاعبُ والجادُّ في إظهار كلمة الكفر سواء.**
***كلُّ ما فيه كفرٌ باللّه واستخفافٌ به، أو بنبيٍّ من أنبيائه أو ملَكٍ من ملائكته، أو بآيةٍ من آياته، فلا يحلُّ سماعُه ولا النطقُ به، ولا الجلوسُ حيث يُلفظ به.**

إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم
بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ

الآية	مناسبة الآية لما قبلها
66	**لَمَّا كشَفَ اللهُ أمرَ استهزائِهم، أردفَه بإظهارِ قِلَّةِ جدوى اعتذارِهم**؛ إذ قد تلبَّسوا بما هو أشنَعُ وأكبَرُ ممَّا اعتَذَروا عنه، وهو الْتباسُهم بالكُفرِ بعد إظهارِ الإيمانِ، فإنَّ اللهَ لَمَّا أظهرَ نِفاقَهم، كان ما يصدُرُ عنهم من الاستهزاءِ أهوَنَ .-المحرر-

تفسير السعدي:

ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم على قوله ﴿أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وقوله ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ منكم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ مقيمين على كفرهم ونفاقهم.

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصا السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإن اللّه تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة.

وأن من استهزأ بشيء من كتاب اللّه أو سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر باللّه العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب، وإن كان عظيمًا.

* **لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** يدلُّ على أنَّ قَولَهم الذي صدَر منهم، كُفرٌ في الحقيقةِ، وإن كانوا مُنافِقينَ من قَبلُ، وأنَّ الكُفرَ يُمكِنُ أن يتجَدَّدَ من الكافرِ حالًا فحالًا.

- نقل عن الشافعي أنه سئل عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى أنه قال: هو كافر، و استدل بقول الله تعالى: ﴿قل أبالله و آياته ورسوله كنتم تستهزئون* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. -ابن تيمية-
- دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله- صلى الله عليه و سلم- جادا أو هازلا؛ فقد كفر. -ابن تيمية-.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

66-الاستهزاء دليلٌ على الاستخفاف، والعمدةُ الكبرى في الإيمان تعظيمُ اللّهِ تعالى بأقصى الإمكان، والجمعُ بينهما مُحال.
***ما أوسعَ بابَ التوبة للصادقين! فمَن تابَ تاب اللّه عليه، وإن كان ذنبُه عظيماً، ومَن عاندَ وأصرَّ فإن اللّه يعذِّبه عذابًا أليمًا.**
***لا يعذِّب اللّهُ أحدًا من خَلقه إلا بجُرم استحقَّ به العقوبة، وذلك من مظاهر عدله سبحانه بين عباده.**

مقاطع السورة

127-67

أصناف الناس(مهاجرين- أنصار-أعراب- منافقين- متخلفين –مخلصين)

٦٧←(٢)→٦٨

ومن قبائحِهم أيضًا: يـأمُرونَ بـالمُنكَرِ، وينهَـونَ عـن المعروفِ، ويبخلُونَ بأموالِهم عن النفقةِ في سبيلِ اللهِ، وبيانُ أنَّ إناثَهم كذُكورِهم في تلك الأعمالِ، ثُمَّ بيانُ جزائهم في الآخرةِ.

بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

١٩٧

٦٣- ﴿يُحَادِدِ﴾: يُشاقّ ويُخالف، ٦٧- ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: يمسكون عن الإنفاق، ٦٨- ﴿حَسْبُهُمْ﴾: كافيهم.

(٦٢) ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ الله عندهم ليس ليؤمنوا به، أو ليُصلّوا له، أو ليخافوا منه، الله عندهم فقط ليحلفوا به.

(٦٤) ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ الاستهزاءُ لا يليقُ بالصادقين، ولكنّه نعمةٌ يُخرج الله به عقائدَ المنافقين.

(٦٧) احرص على الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكرِ، خالف حالَ المنافقين ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
67	*أنّها **شرحٌ لِنَوعٍ آخَرَ مِن أنواعِ فضائِحِ المنافقين وقبائِحِهم**، والمقصودُ بيانُ أنَّ إناثَهم كذُكورِهم في تلك الأعمالِ المُنكَرةِ والأفعالِ الخَبيثةِ .-الرازي- *و أيضًا فهذه الآيةُ احتراسٌ عن أن يظُنَّ المنافِقونَ أنَّ العَفوَ المفروضَ لطائفةٍ منهم، هو عفوٌ يَنالُ فريقًا منهم باقِينَ على نفاقِهم؛ فعَقَّبَ ذلك ببيانِ أنَّ النِّفاقَ حالةٌ واحدةٌ، وأنَّ أصحابَه سواءٌ؛ ليُعلَمَ بذلك أنَّ افتراقَ أحوالِهم بين عَفوٍ وعذابٍ، لا يكونُ إلَّا إذا اختلَفَت أحوالُهم بالإيمانِ، والبقاءِ على النِّفاقِ .-ابن عاشور- *لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم. *ثم مضت السورة الكريمة بعد ذلك في تقرير حقيقة المنافقين، وفي بيان جانب من صفاتهم، **والمصير السيئ الذي ينتظرهم**.-الوسيط- **والمقصود بيان أن إناثهم كذكورهم في تلك الأعمال المنكرة، والأفعال الخبيثة.-الرازي- ***ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير**
68	***بيان لسوء مصيرهم، بعد بيان من جانب من صفاتهم الذميمة**.-الوسيط- *لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى في المُنافِقين والمُنافِقاتِ أنَّه نَسِيَهم، أي: جازاهم على تَركِهم التمسُّكَ بطاعةِ اللهِ؛ أكَّدَ هذا الوعيدَ، وضَمَّ المُنافِقين إلى الكُفَّارِ فيه.-الرازي- *جمع المنافقين والكفار في النار، واللعنة والخلود في ذلك، **لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة للّه ورسوله، والكفر بآياته**.-السعدي-

تفسير السعدي:

يقول تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ وهو الكفر والفسوق والعصيان.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ فلا يذكرونه إلا قليلا، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***67-لَّما كانت غايةُ المنافقين واحدة، وطريقُهم إليها متَّحدة، تشابهوا في الخِصال الذميمة، والأوصاف النفسيَّة الخبيثة التي لا يليقُ أن يكونَ صاحبُها جزءاً من المجتمع المسلم.**

***النفاق بيتُ السوء والبلايا؛ فطبعُ المنافقين سوءُ الطويَّة، واللؤمُ والأذيَّة، والاستهزاء والجُبن، أمَّا سُلوكُهم فأمرٌ بمنكر، ونَهيٌ عن معروف، وبُخلٌ وشُحٌّ.**

***يحسِّنُ المنافقون المنكرَ ويشوِّهون المعروف، ويقبِضون أيديَهم عن الخيرات ويَبسُطونها في الشرِّ والسوء.**

***لقد جنَوا على أنفسهم جِنايةً عظيمة، حيث نَسُوا الذي هو أعظمُ وأكرم، ومنه كلُّ شيء، فحرمَهم هدايتَه وتوفيقَه ورحمتَه.**

***فِسقُ المنافقين أعظمُ من فسق غيرهم، وإن استتروا عنه بجِلباب الصلاح، ولذا كان عذابُهم أشدَّ من عذاب غيرهم.**

***68-العدوُّ الخفيُّ شرٌّ من العدو الجليِّ، فلو أظهر المنافقون الإسلامَ فإنهم شرٌّ ممَّن يُعلن الكفرَ صراحة.**

***لا أبلغَ من عذاب جهنَّم، وهو من الشدَّة بحيثُ لا يُزاد عليه.**

***إذا كان السخَطُ من الله تعالى فإنه بلا ريبٍ عظيم، فهل يرجو الرحمةَ عبدٌ مسخوطٌ عليه وهو في العذاب مقيم؟!**

***مهما تمتَّع المنافقون والكافرون بطول الإمهال، فإنهم موعودون بنار جهنَّم؛ فكيف لعاقلٍ أن يَنعَم بحياة ويَهنَأ بعيش والعذابُ ينتظره؟**

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ

٦٩←(٢)←٧٠

بعدَ ذكرِ حالِ المنافقينَ شبَّهَهُم اللهُ هنا بالأممِ المكذِّبةِ من قبلِهم في الكُفرِ والاستهزاءِ والتَّمتعِ بملذاتِ الدُّنيا وتكذيبِ الأنبياءِ، وختمَ ببيانِ قُبحِ مآلِهم.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
69	بعد أن بينت الآياتان جانبا من قبائح المنافقين، ومن سوء مصيرهم في عاجلتهم وآجلتهم. ثم ساقت السورة الكريمة- لهؤلاء المنافقين- **نماذج لمن حبطت أعمالهم بسبب غرورهم**، وضربت لهم الأمثال بمن هلك من الطغاة السابقين بسبب تكذيبهم لأنبيائهم.-الوسيط- ***لَمَّا كان حالُ المُنافِقينَ في الإقبالِ على العاجلةِ؛ لِكَونِها حاصلةً، والإعراضِ عن العاقِبةِ؛** لأنَّها غائبةٌ- **مُشابِهًا لحالِ من كان قَبْلَهم من الأُمَمِ الخاليةِ،** والقُرونِ الماضيةِ؛ بيَّنَ لهم ذلك، وختَمَ ببيانِ سُوءِ أحوالِهم وقُبحِ مآلِهم، بتلاشي أعمالِهم.-البقاعي- *(وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ). لَمَّا بيَّنَ تعالى مُشابهةَ هؤلاءِ المُنافِقينَ لأولئك المتقَدِّمينَ في طلَبِ الدُّنيا، وفي الإعراضِ عن طلَبِ الآخرةِ؛ بَيَّنَ حُصولَ **المُشابَهةِ بين الفَريقَين، في تكذيبِ الأنبياءِ، وفي المَكرِ والخديعةِ والغَدرِ بهم**.-الرازي-

تفسير السعدي:

يقول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة. ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ أي: قرى قوم لوط.

فكلهم ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحق الواضح الجلي، المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي: بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي الله، ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم وخضتم كالذي خاضوا، أي: وخضتم بالباطل والزوروجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتاع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعلهم، **وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل.**

قوله ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع. ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، و اتبعوا أمركل جبارعنيد.

وقفات ولطائف:

فما صَدَّ أكثرَ هذه الأمة عن فهم القرآن: ظنُّهم أنَّ الذي فيه مِن قَصَص الأوَّلِين وأخبار المُتَّابين والمُعَاقَبين مِن أهل الأديان أجمعين؛ أنَّ ذلك إنما مقصوده الإخبار والقَصص فقط, كلا, وليس كذلك؛ إنما مقصودُهُ الاعتباروالتنبيه لمشاهدة متكررة في هذه الأمة من نظائرجميع أولئك الأعداد، وتلك الأحوال والآثار. [البقاعي:]

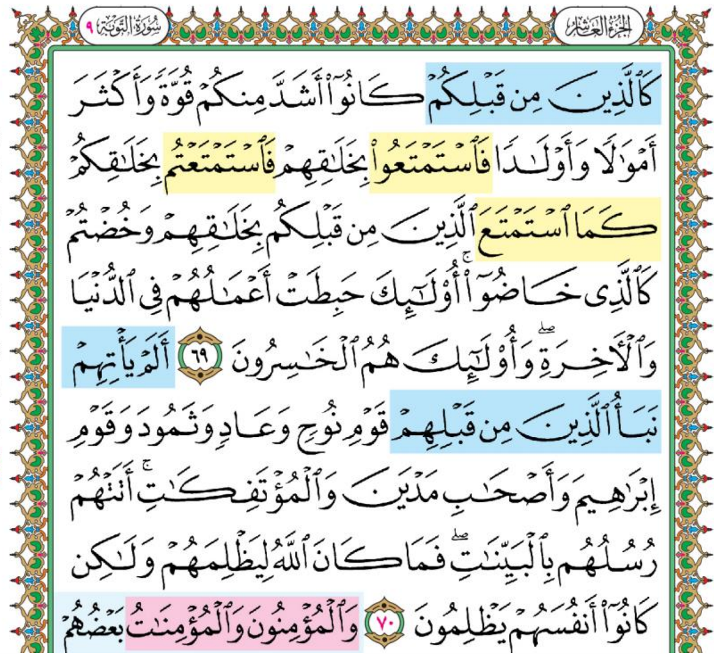
السؤال: ما المقصود من قَصص القرآن وأخباره التي نقرؤها فيه؟

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***إنما قد يسيرُ في درب الهلاك مَن يجهل مآلَه، فواعجبًا ممَّن يسلكه وهو بسوء مُنقَلبه عالم!**

***الاستزادة من الشهَوات، والاستدامة في التمتُّع بها، والجِدُّ في طلبها، هو دأبُ العُصاة وغايةُ أمانيِّهم.**

- ***لا تُنكِر حُسنَ عيش الكافرين وكثرة لذَّاتهم، وتوسُّعَ تنعُّمهم وطِيبَ حياتهم الدنيا، فتلك جنَّتُهم وطيِّباتُهم المعجَّلة، وليس لهم منها شيءٌ في الآخرة.**
- **الفساد يكون إمَّا من جهة الاستمتاع بالشهَوات، وإمَّا من جهة الخوض في الشبُهات، والعلم والصبر زادُ الناجين.**
- **لو نظرتَ إلى قبيح أفعالهم وشدَّةِ عنادهم لربِّهم لعلمتَ أنهم هم الذين جنَوا على أنفسهم، وأنهم أهلٌ لما حلَّ بهم.**



٦٩←(٢)→٧٠
بعد ذكر حال المنافقين شبّههم الله هنا بالأمم المكذّبة من قبلهم في الكفر والاستهزاء والتّمتع بملذات الدُّنيا وتكذيب الأنبياء، وختم ببيان قُبح مآلهم.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
70	لَمَّا شَبَّه اللهُ تعالى المُنافِقينَ بالكُفَّارِ المتقَدِّمينَ، في الرَّغبةِ في الدُّنيا، وتكذيبِ الأنبياءِ، **وكان لفظُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ فيه إبهامٌ- نَصَّ على طوائِفَ بأعيانِها ستَّةٍ؛ لأنَّهم كان عندهم شَيءٌ مِن أنبائِهم**، وكانت بلادُهم قريبةً مِن بلادِ العَرَبِ، وكانوا أكثَرَ الأمَمِ عَدَدًا، و أنبياؤُهم أعظَمَ الأنبياءِ . أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ. أي: ألَمْ يَسمَعِ المُنافِقونَ والكُفَّارُ خَبَرَ إهلاكِنا الأمَمَ الكافِرةَ الماضيةَ ؟! ***ثُمَّ بيَّن جل ثناؤه مَنْ أولئك الأُمم** ، فقال: قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وِأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ. أي: قَومِ نُوحٍ، وعادٍ- قَومِ هُودٍ- وثمودَ- قَومِ صالحٍ- وقَومِ إبراهيمَ، وأهلِ مَدينَ- قَومِ شُعَيبٍ- وأهلِ قُرى قَومِ لوطٍ، التي انقلبَت بهم فصارَ أعلاها أسفَلَها ؟! ***وذكر- سبحانه- هنا هذه الطوائف الست، لأن آثارهم باقية، ومواطنهم هي الشام والعراق واليمن، وهي مواطن قريبة من أرض العرب، فكانوا يمرون عليها في أسفارهم، كما كانوا يعرفون الكثير من أخبارهم.** قال- تعالى-: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ. -الوسيط-

تفسير السعدي:

تم

وقفات ولطائف:.

ومن هاتين الآيتين الكريمتين نرى بوضوح، أن الغرور بالقوة، والافتتان بالأموال والأولاد، والانغماس في الشهوات والملذات الخسيسة. والخوض في طريق الباطل، وعدم الاعتبار بما حل بالطغاة والعصاة..

كل ذلك يؤدى إلى الخسران في الدنيا والآخرة، وإلى التعرض لسخط الله وعقابه.

كما نرى منهما أن من سنة الله في خلقه، أنه- سبحانه- لا يعاقب إلا بذنب، ولا يأخذ العصاة والطغاة أخذ عزيز مقتدر، إلا بعد استمرارهم في طريق الغواية، وإعراضهم عن نصح الناصحين، وإرشاد المرشدين. وصدق الله إذ يقول: إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً، وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. -الوسيط-

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾

أي: بالكفر والتكذيب، وترك شكره تعالى، وصرفهم نعمه إلى غير ما أعطاهم إياها لأجله، فاستحقوا ذلك العذاب. [القاسمي]

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

يلهو كثيرٌ من الناس في دنياهم، مستمتعين بما قدَروا عليه من اللذَّات، بعيدًا عن منهج الله، ويعدُّون ذلك مكسبًا، ولا يشعرون أنهم عند الله خاسرون!

***حين لا يفكِّر ذوو القوَّة بمَصارع الأقوياء قبلهم، تجري عليهم السُّنن الإلهيَّة على حين غِرَّة، فيُؤخَذون وهم في نَعمائهم يتقلَّبون.**

***لا تنفعُ عِظاتُ الماضي إلا مَن تتفتَّحُ بصائرُهم لإدراك سنَّة الله التي لا تتخلَّف ولا تتبدَّل، ولا تُحابي أحدًا من الناس.**

***أرأيتَ شدَّةَ مَصارع الأمم؟ أما لو نظرتَ إلى قبيح أفعالهم وشدَّةِ عنادهم لربِّهم لعلمتَ أنهم هم الذين جنَوا على أنفسهم، وأنهم أهلٌ لما حلَّ بهم.**

كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢

١٩٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ

٧١←(٢)←٧٢

لَمَّا ذكرَ أوصافَ المنافقينَ وجزاءَهم في الآخرةِ، نَاسَبَ ذلك الحديثُ عن المؤمنينَ وأعمالِهم وما وعدَهم اللهُ بهِ منَ النَّعيمِ.

٦٩- ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ﴾: فَتَمَتَّعُوا بِنَصِيبِهِمْ مِنْ مَلَاذِّ الدُّنْيَا، ﴿وَخُضۡتُمۡ﴾: دَخَلْتُمْ فِي الكَذِبِ وَالبَاطِلِ، ﴿حَبِطَتۡ﴾: بَطَلَتْ،
٧٠- ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾: قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، ٧٢- ﴿عَدۡنٖۚ﴾: إِقَامَة.

(٧٢) ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ أرأيتَ الجَنَّةَ التي عرضُها السماواتُ والأرضُ؟ الفوزُ برضا اللهِ أكبرُ منها.
(٧٠) ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ اقرأ في قصصِ الأنبياءِ حتى تكونَ من الذين يعتبرون ويتعظون إذا تُليتْ عليهم أنباءُ الرسلِ وأممِهم.
٧٠: إبراهيم [٩]، ٧٢: الصف [١٢].

71	
71	لَمَّا وصَفَ اللهُ تعالى المُنافقين بالأعمالِ الفاسِدة، والأفعالِ الخَبيثةِ، ثمَّ ذكَرَ عَقيبَه أنواعَ الوَعيدِ في حقِّهم في الدُّنيا والآخرةِ؛ ذكَرَ بعدَه- في هذه الآيةِ- **كَونَ المُؤمِنينَ مَوصوفينَ بصِفاتِ الخَيرِ، وأعمالِ البِرِّ، على ضِدِّ صِفاتِ المُنافِقينَ** .-المحرر- *و أيضًا لَمَّا بيَّنَ سبحانَه أنَّ **المُنافِقينَ بَعضُهم من بعضٍ، وما توعَّدَهم به وما استَتبَعَه مِن تهديدِهم بإهلاكِ مَن شابَهوه**، وختَمَ بما سبَّبَ هلاكَهم من إصرارِهم وعدَمِ اعتبارِهم- **عطَفَ ببيانِ حالِ المؤمنينَ؛ ترغيبًا في التوبةِ، طَمَعًا في مِثلِ حالِهم** ، فقال:**والْمُؤْمِنُون** وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ. أي: وأمَّا المؤمِنونَ والمؤمناتُ فبَعضُهم أنصارُ بعضٍ، متحابُّونَ في اللهِ، مُتعاطِفونَ، غيرُ مُتفرِّقينَ . **ثمَّ بيَّن أوصافَهم الحميدةَ، كما بيَّن أوصافَ مَن قبلَهم مِن المنافقينَ**

تفسير السعدي:

لما ذكر أن المنافقين بعضهم أولياء بعض ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ أي: ذكورهم و إناثهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمره.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

71-المؤمنون بإيمانهم كالجسد الواحد، يُوالي بعضُهم بعضًا في تحقيق الخير ودفع الشرِّ، وإحياءِ التضامُن والتكافل فيما بينهم.

***ليست وظيفةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصَّةً بالرجال، بل على النساء أن يأمُرنَ بالمعروف وينهَينَ عن المنكر في إطارهنَّ المشروع.**

***من أخصِّ أوصاف المؤمنين، وأقواها دَلالةً على صحَّة عَقدهم، وسلامةِ سريرتهم: أنهم يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر.**

***من تمام الموالاة بين المؤمنين القيامُ بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونُصرة مَن يقوم بذلك والذبُّ عنه.**

***الصلاة والزكاة رُكنانِ عظيمان يقوم عليهما عمودُ الإيمان، أحدُهما يتعلَّق بالأموال، وثانيهما بالأبدان.**

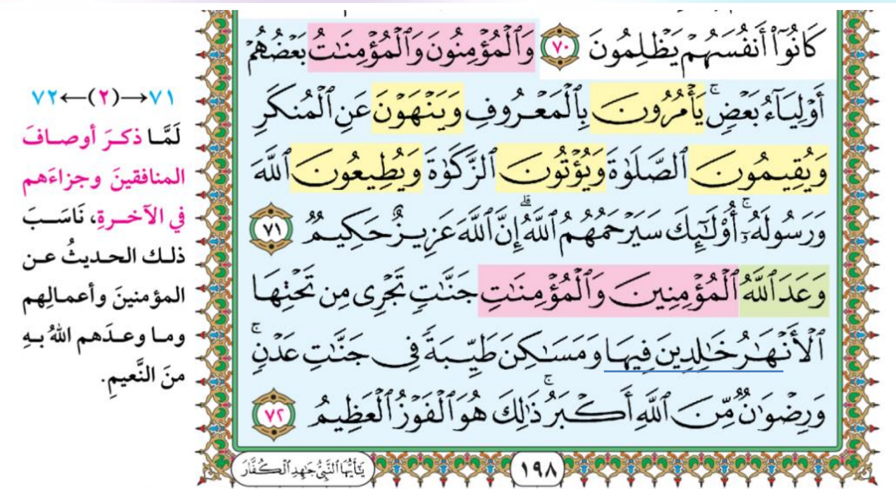
***ما قام المنافقُ إلى الصلاة إلا وافقَه الكَسَل، ولا طُلبت منه الزكاةُ إلا ومنعَه البَخَل.**

***مَن أنكر وجوبَ طاعة النبيِّ ﷺ زاعمًا الاكتفاءَ بالقرآن، فقد خلع ربقةَ الإيمان.**

***إن دخول الجنَّة كائنٌ برحمة اللّه التي لا تُنال بالرجاء الخالي من الأعمال، بل تُنال بتوفيق اللّه عبدَه لصالح الأفعال والأحوال.**

***رحمة اللّهِ بعبده المؤمن لا تقتصر على الآخرة، بل تكون في الدنيا، في اطمئنان القلب واتصاله باللّه، والرعايةِ والحماية من الفتن.**

***بعزَّته سبحانه يُوصِل إلى أوليائه ما وعدَهم به من الجزاء، وبحكمته يُعطي النعَم والفضائل مَن يشاء.**


٧١←(٢)←٧٢
لمَّا ذكر أوصاف المنافقينَ وجزاءَهم في الآخرة، ناسَبَ ذلك الحديثُ عن المؤمنينَ وأعمالِهم وما وعدهم اللهُ به منَ النَّعيم.

كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ ١٩٨

٦٩- ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ﴾: فتمتَّعوا بنصيبِهم من مَلاذِّ الدُّنيا، ﴿وَخُضۡتُمۡ﴾: دخلتُم في الكذبِ والباطلِ، ﴿حَبِطَتۡ﴾: بطلَت،
٧٠- ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ﴾: قُرى قومِ لوط، ٧٢- ﴿عَدۡنٖ﴾: إقامَة.

(٧٢) ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ أرأيت الجَنَّةَ التي عرضُها السماواتُ والأرضُ؟ الفوزُ برضا اللهِ أكبرُ منها.
(٧٠) ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ اقرأ في قصصِ الأنبياءِ حتى تكونَ من الذين يعتبرون ويتعظون إذا تُليت عليهم أنباءُ الرسلِ وأممِهم.

٧٠: إبراهيم [٩]، ٧٢: الصف [١٢].

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تعالى الوَعدَ في الآيةِ الأُولَى على سَبيلِ الإجمالِ؛ ذَكَرَه في هذه الآيةِ على سبيلِ التَّفصيلِ؛ وذلك لأنَّه تعالى وعَدَ بالرَّحمةِ، ثمَّ بَيَّن في هذه الآيةِ أنَّ تلك الرحمة هي هذه الأشياءُ .-الرازي- و أيضًا لَمَّا أعقَبَ المُنافِقينَ بذِكرِ ما وعَدَهم به من نارِ جهنَّمَ، أعقَبَ المؤمنينَ بذِكرِ ما وعَدَهم به من نعيمِ الجِنانِ .-أبوحيان- و أيضًا لما ذكَرَالله تعالى كَونَ المُؤمِنينَ مَوصوفينَ بصِفاتِ الخَيرِ، وأعمالِ البِرِّ؛ **ذكَرَ بَعدَه أنواعَ ما أعَدَّ الله لهم من الثَّوابِ الدَّائمِ، والنَّعيمِ المُقيمِ**.-الرازي- *ثم فصل- سبحانه- مظاهررحمته للمؤمنين والمؤمنات أصحاب تلك الصفات السابقة فقال: وَعَدَ اللَّهُ. –الوسيط- ***ثم بشرهم- سبحانه- بما هو أعظم من كل ذلك** فقال: وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ.. -الوسيط-	72

تفسير السعدي:

ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يبغون عنها حِوَلًا ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفا في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها.

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يحله على أهل الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسماوات، أكبر من نعيم الجنات.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ حيث حصلوا على كل مطلوب، و انتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده.

وقفات ولطائف:.عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((المؤمنُ للمُؤمنِ كالبُنيانِ؛ يشُدُّ بعضُه بعضًا)) .

وعن النُّعمانِ بنِ بَشيرٍرَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إذا اشتكى منه عُضوٌ تداعى له سائرُ الجسَدِ بالسَّهَرِوالحُمَّى)) .

وقال- سبحانه- هنا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ بينما قال في المنافقين بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ للإشعار بأن المؤمنين في تناصرهم وتعاضدهم وتراحمهم مدفوعون بدافع العقيدة الدينية التي ألفت بين قلوبهم، وجعلتهم أشبه ما يكونون بالجسد الواحد، أما المنافقون فلا توجد بينهم هذه الروابط السامية، وإنما الذي يوجد بينهم هو التقليد واتباع الهوى، والسير وراء العصبية الممقوتة، فهم لا ولاية بينهم، وإنما الذي بينهم هو التقليد وكراهية ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم. -الوسيط-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **72-لا يكمُل أُنسُ أهل الجنَّة وهم في مساكنها الطيِّبة إلا برضوان الله؛ فلذلك امتنَّ به على أوليائه المؤمنين، وحرَمه أعداءه المنافقين.**
- **إذا نال العبدُ رضوانَ الله في الجنَّة فقد نال نعيمًا دونه كلُّ نعيم، إلا النظرَ إلى وجه الله الكريم.**
- **السعادات الروحيَّة أعلى وأشرفُ من السعادات البدنيَّة، فما أعظمَ غَبْنَ مَن آثر حظوظَ الجسد على حظوظ الرُّوح!**
- **هنيئًا لمَن شغل حياتَه كلَّها في ابتغاء رضوان الله والجنَّة؛ فهما الفوزُ العظيم، والنعيمُ المقيم.**
- **اللِّينُ مع الكفَّار والمنافقين له ظروفُه ومدَّته، ومتى انقضى ذلك فلتكن الغِلظةُ على أعداء الله؛ فحين لا ينفع معهم الرِّفقُ فجهادهم حقٌّ على المسلمين.**

الجزء العاشر — سورة التوبة ٩

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ

٧٣←(٢)→٧٤

لَمَّا ثبَتَتْ مُوالاةُ المُؤمِنينَ أمرَ هنا بجهادِ الكفارِ والمنافقينَ، لقولِهم كلمةَ الكفرِ وتآمرِهم على اغتيالِه ﷺ أثناءَ رجوعِه من تبُوكَ، ثُمَّ دعوتُهم للتوبةِ والا عذبَهم اللهُ

73	بعد أن بشرت الآيتين المؤمنين والمؤمنات بأعظم البشارات، ووصفتهم بأشرف الصفات، وقابلت بين جزائهم وبين جزاء الكفار والمنافقين، بما يحمل العاقل على أن يسلك طريق المؤمنين، وعلى أن ينهج نهجهم، ويتحلى بأوصافهم ... وبذلك يفوز بنعيم الله ورضاه كما فازوا، ويسعد كما سعدوا، وينجو من العذاب الذي توعد الله به المنافقين والكافرين، بسبب إصرارهم على الكفر والنفاق، و إيثارهم الغيّ على الرشد. **ثم أمر الله- تعالى- رسوله صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الكفار والمنافقين بكل وسيلة، لأنهم جميعا لا يريدون الانتهاء عن المكر السيئ بالدعوة الإسلامية. -الوسيط-** *لَمَّا ثبَتَت مُوالاةُ المُؤمنينَ ومُقاطَعتُهم للمُنافِقينَ والكافرينَ، وكان ما مضى من التَّرغيبِ والتَّرهيبِ كافيًا في الإنابةِ، وكان مَن لم يرجِعْ بذلك عظيمَ الطُّغيانِ، غَريقًا في الكُفرانِ- أتبَعَ ذلك الأمرَ بجِهادِهم بما يليقُ بعِنادِهم. -البقاعي- *وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.لَمَّا ذكر اللهُ تعالى عذابَهم في الدُّنيا بالجهادِ والغِلظةِ؛ ذكَرَعذابَهم في الآخرةِ.

تفسير السعدي:

يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَوَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم.

وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان.

ومن كان مذعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا.

﴿و﴾ أما في الآخرة، فـ ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مقرهم الذي لا يخرجون منها ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

73-سبب الأمر بجهاد الكفَّار متحقِّقٌ في المنافقين، فجهادُهم كجهاد الكفَّار؛ ومن هنا قرَن اللّه تعالى المنافقين بالكافرين في هذا الموطن.

***اعمل عملَ الصالحين، لتأويَ إلى مساكنهم في جنَّات النعيم، وجانب عملَ الطالحين، حتى لا تكونَ معهم في نار الجحيم.**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ
وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ

٧٣←(٢)←٧٤
لَمَّا ثبَتَتْ مُوالاةُ المُؤمنينَ أمرَ هنا بجهادِ الكفارِ والمنافقينَ، لقولِهم كلمةَ الكفرِ وتآمرِهم على اغتيالِه ﷺ أثناءَ رجوعِه منْ تَبُوك، ثُمَّ دعوتُهم للتوبةِ وإلا عذبَهم اللهُ

74	
	***أنَّ هذه الآيةَ بيانٌ للسَّبَبِ المقتَضي لجهادِ المُنافِقينَ كالكُفَّار، وهو أنَّهم أظهَروا الكُفرَ بالقَولِ، وهمُّوا بشَرٍّ ما يُغري به مِن الفِعلِ، وهو الفَتكُ برَسولِ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم** .-المنار- **وأيضًا لَمَّا كان معظَمُ ما أُخِذَ على المُنافِقينَ هو كَلِماتٍ دالَّةً على الطَّعنِ في الرَّسولِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم، ونحو ذلك من دلائِلِ الكُفرِ، وكانوا إذا نُقِلَ ذلك عنهم تنصَّلوا منه بالأيمانِ الكاذبةِ- عُقِّبَت آيةُ الأمرِ بجِهادِهم بالتَّنبيهِ على أنَّ ما يتنَصَّلونَ به تَنَصُّلٌ كاذِبٌ، وأنْ لا ثِقةَ بحَلِفِهم، وعلى إثباتِ أنَّهم قالوا ما هو صريحٌ في كُفرِهم.** -ابن عاشور- **ثم بين- سبحانه- ما كان عليه المنافقون من كذب وفجور، ومن خيانة وغدر، وفتح أمامهم باب التوبة، وأنذرهم بالعذاب الأليم إذا ما استمروا في نفاقهم.-الوسيط-**

تفسير السعدي:

74-﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ أي: إذا قالوا قولا كقول من قال منهم ﴿ليخرجن الأعزمنها الأذل﴾ والكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين، وبالرسول.

فإذا بلغهم أن النبي ﷺ قد بلغه شيء من ذلك، جاءوا إليه يحلفون بالله ما قالوا.

قال تعالى مكذبا لهم ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ فإسلامهم السابق - وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من دائرة الكفر- فكلامهم الأخيرينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر.

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ وذلك حين هموا بالفتك برسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقص الله عليه نبأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم.

﴿و﴾ الحال أنهم ﴿مَا نَقَمُوا﴾ وعابوا من رسول الله ﷺ ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سببا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنيا لهم بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟"

فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية.

ثم عرض عليهم التوبة فقال: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ لأن التوبة، أصل لسعادة الدنيا والآخرة.

﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن التوبة والإنابة ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير.

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعالى، فَثَمَّ أصناف الشروالخسران، والشقاء والحرمان.

وقفات ولطائف: **ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بترغيبهم وترهيبهم** فقال: فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ. وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ..

أما عذاب الدنيا فمن مظاهره: حذرهم وخوفهم من أن يطلع المؤمنون على أسرارهم وجبنهم عن مجابهة الحقائق، وشعورهم بالضعف أمام قوة المسلمين، وإحساسهم بالعزلة والمقاطعة من جانب المؤمنين ومعاقبة الرسول ﷺ إياهم بالعقوبة المناسبة لجرمهم..

وأما عذاب الآخرة، فهو أشد و أبقى، بسبب إصرارهم على النفاق، وإعراضهم عن دعوة الحق.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

74-شأن المنافق أن يُلبِسَ الحقَّ بالباطل، والغِشَّ بالنصيحة، فإذا جبَهَهُ المؤمنُ استترَ بأغلظ الأيمان، وتترَّسَ بالكذب والتزوير.

***رُبَّ كلمةٍ يطلقُها اللسان، يخرج بها صاحبُها من الإسلام، فرحمَ اللّهُ امرءاً راقب كلماتِه، وانتقى ألفاظَه وعباراتِه.**

***من رحمة اللّه تبارك وتعالى بعباده المؤمنين ألا يبلغَ المنافقون كلَّ مُرادهم، ولا يصلوا إلى جميع غايات مكرهم.**

***إذا وصل الإحسانُ إلى اللئيم فاتّقِ شرَّه؛ فإن طبعه يغلبه؛ فما أسرعَ أن ينسى الإحسانَ ويَطغَى إذا استغنى.**

***التائبُ الصادقُ يقدِّم لنفسه خيرًا يستدفع به العذاب، ويجلِب به الثواب، ويستنزل به الرضوان، ويَسلَمُ من النيران.**

قد يجدُ المتمادي في الباطل على الشرِّ أعوانًا، ولكن إذا نزل العذابُ فلن يجدَ لنفسه في جميع أقطار الأرض أنصاراً.

مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

١٩٩

ثُمَّ دعوتُهم للتوبةِ وإلا عذبَهم اللهُ.

٧٥→(٥)←٧٩

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ في الآيةِ السابقةِ بأنَّه أغناهُم من فضلِه؛ بَيَّنَ هنا ما فعلُوه لَمَّا أعطاهم من فضلِه: يخلفُونَ العهدَ ويبخلُونَ، ويعيبُونَ على المتطوعينَ ببذلِ الصدقاتِ اليسيرةِ.

٧٩- ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: الَّذينَ يَتطَوَّعُونَ بالصَّدَقَةِ بالمالِ الكَثيرِ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: الذينَ لا يجدونَ إلّا شيئًا قليلًا هو حاصلُ ما يقدرونَ عليه.

(٧٥) ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا ... لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ﴾ لا تُعلِّق فعلَ الطاعاتِ بحصولِ النّعمةِ، قد تُفتنُ بهذه النعَمِ.

(٧٩) ﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ لا تخجلْ من العملِ القليلِ في سبيلِ اللهِ، فالعبرةُ بنيّةِ العملِ لا بكميةِ العملِ.

(٧٩) ﴿... فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ احذرْ من الاستخفافِ بأي مشروعٍ للخيرِ مهما بدا متواضعًا وقد بذلَ أهلُه وسعَهم. ٧٣: التحريم [٩]، ٧٤: البروج [٨].

75	***ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك نماذج أخرى من جحودهم، ونقضهم لعهودهم، وبخلهم بما آتاهم الله من فضله.-الوسيط-** *لَمَّا ختم الله تعالى الآية السابقة بأنَّه أغناهم من فضلِه؛ أتبعَها بإقامةِ الدَّليلِ عليها، وعلى أنَّهم يَقبِضونَ أيديَهم، وعلى اجترائِهم على أقبَحِ الكَذِبِ.-البقاعي- ***هذه الآيات بيان لحال طائفة أخرى من المنافقين أغناهم الله بعد فقر وإملاق، وقد كانوا يلجئون إلى الله وقت البأساء والضراء فيدعونه ويعاهدونه على الشكر له والطاعة لشرعه إذا هو كشف ضرهم وأغناهم بعد فقرهم، فلما استجاب دعاءهم نكصوا على أعقابهم وكفروا النعمة وهضموا حقوق الخلق- ومثل هؤلاء يوجدون فى كل زمان ومكان.**
77	**ثم ذكر سببين هما من أخص أوصاف المنافقين- إخلاف الوعد والكذب فقال:(بما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ)**

تفسير السعدي:

أي: ومن هؤلاء المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه (لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) من الدنيا فبسطها لنا ووسعها (لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة.

(فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) لم يفوا بما قالوا، بل (بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا) عن الطاعة والانقياد (وَهُمْ مُعْرِضُونَ) أي: غير ملتفتين إلى الخير.

فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ) مستمرا (إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الثابت في الصحيحين: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف »

فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهده، لئن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

75-عَقدُ القلب على وعد الطاعات يحتاج إلى وفاء، فمَن صدَق عَقَد ووفَّى، ومن كذَب عَقَد وأخلف من غير عُذر.

76-كيف يُرجى من المنافقين وفاءُ العهود للمخلوقين، وقد كذَبوا في عهودهم مع ربِّ العالَمين؟!

77-على المرء ألا يستصغرَ اقترافَ أعمالِ النفاق ولو صغُرت، فإنها قد تنتهي به إلى أن يكونَ منافقًا خالصًا.

مَن أخلفَ مع الله المواثيق فقد عرَّض نفسَه للنِّفاق، وسمحَ له أن يتغلغلَ فيه، ويوشِكُ بعد ذلك أن يعشِّشَ في قلبه.

الأفعال الذميمة تُفسد الأخلاقَ المستقيمة، وذلك يوجبُ على العاقل الحذرَ منها؛ لنتائجها السيِّئة الأثيمة.

أخَصُّ لوازم النفاق الكذب، فإنه يتمكَّنُ من صاحبه ويتجدَّدُ عنده، وقد لا ينفكُّ عنه أبدًا.

ثُمَّ دعوتُهم للتوبةِ وإلا عذبَهم اللهُ.

٧٥←(٥)→٧٩

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ في الآيةِ السابقةِ بأنَّه أغناهُم من فضلِه؛ بَيَّنَ هنا ما فعلُوه لَمَّا أعطاهم من فضلِه: يخلفُونَ العهدَ ويبخلُونَ، ويعيبُونَ على المتطوعينَ ببذلِ الصدقاتِ اليسيرةِ.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

١٩٩

٧٩- ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: الَّذِينَ يَتَطَوَّعُونَ بِالصَّدَقَةِ بِالمالِ الكَثِيرِ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: الذينَ لا يجدونَ إلّا شيئًا قليلًا هو حاصلُ ما يقدرونَ عليه.

(٧٥) ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا ... لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ﴾ لا تُعلّق فعلَ الطاعاتِ بحصولِ النّعمةِ، قد تُفتنُ بهذه النعَمِ.

(٧٩) ﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ لا تخجلْ من العملِ القليلِ في سبيلِ اللهِ، فالعبرةُ بنيّةِ العملِ لا بكميةِ العملِ.

(٧٩) ﴿... فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ احذرْ من الاستخفافِ بأي مشروعٍ للخيرِ مهما بدا متواضعًا وقد بذلَ أهلُه وسعَهم. ٧٣: التحريم [٩]، ٧٤: البروج [٨].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
78	**ثم ختم- سبحانه- هذه الآيات الكريمة، بتوبيخهم على إصرارهم على المعاصي**، مع علمهم بأنه- عزوجل- عليم رقيب عليهم، ومطلع على أحوالهم .-الوسيط-

تفسير السعدي:

ولهذا توعد من صدر منهم هذا الصنيع، بقوله: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلامُ الْغُيُوبِ) وسيجازيهم على ما عملوا من الأعمال التي يعلمها الله تعالى، **وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين يقال له « ثعلبة »** جاء إلى النبي ﷺ، وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله، و أنه إن أعطاه، ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين على النوائب، فدعا له النبي ﷺ، فكان له غنم، فلم تزل تتنامى، حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلا بعض الصلوات الخمس، ثم أبعد، فكان لا يحضر إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة.
ففقده النبي ﷺ، فأخبر بحاله، فبعث من يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاءوا فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: « يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة » ثلاثا.
فلما نزلت هذه الآية فيه، وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته، فلم يقبلها النبي ﷺ، ثم جاء بها لأبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر لعمر فلم يقبلها، فيقال: إنه هلك في زمن عثمان .

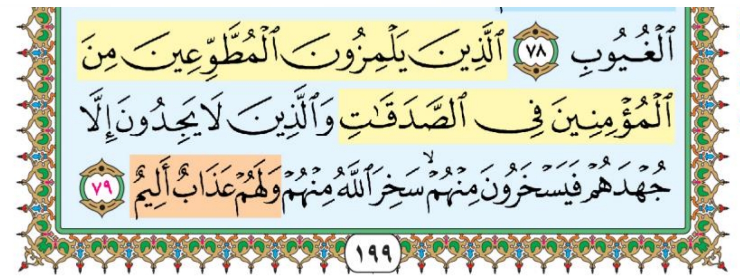
العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

78*لا يظُنَّ أهلُ الكيد والنفاق الذين يبيِّتون ما لا يرضى اللّهُ أن ذلك يخفى عليه، فإنه سبحانه مطَّلِع على بَواطنهم كما هو مطَّلع على ظواهرهم.

***إن اطِّلاعَ اللّه تعالى على السرِّ والعلَن يدعو إلى مُراقبة اللّه وتعظيمه، والبُعدِ عن مَساخطه، والإقبالِ على مَراضيه.**

***علِمُ اللّه لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، ولا ينتابُه قصورٌ ولا نسيان، وعِلمُ البشر قاصرٌ متجدِّد بحصول المعرفة بعد الجهل، والتذكُّر بعد الغفلة والنسيان.**

ويبخلُونَ، ويعيبُونَ علـى المتطـوعينَ ببـذلِ الصـدقاتِ اليسيرةِ.



٧٩- ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾: الّذِينَ يَتطَوَّعُونَ بِالصَّدَقَةِ بِالمَالِ الكَثِيرِ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾: الذينَ لا يجدونَ إلّا شيئًا قليلًا هو حاصلُ ما يقدرونَ عليه.

(٧٥) ﴿لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا ... لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ﴾ لا تُعلّق فعلَ الطاعاتِ بحصولِ النّعمةِ، قد تُفتنُ بهذه النعَمِ.

(٧٩) ﴿إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ لا تخجلْ من العملِ القليلِ في سبيلِ اللهِ، فالعبرةُ بنيّةِ العملِ لا بكميّةِ العملِ.

(٧٩) ﴿... فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ احذرْ من الاستخفافِ بأي مشروعٍ للخيرِ مهما بدا متواضعًا وقد بذلَ أهلُه وسعَهم. ٧٣: التحريم [٩]، ٧٤: البروج [٨].

79	
79	*وهذا أيضًا من مخازي المنافقين، فكانوا - قبحهم الله - لا يدعون شيئا من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا، إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا.-السعدي- *لَمّا أخبَرَ الله تعالى أنَّه لم يكْفِ المُنافقينَ كُفرانُ نِعمةِ الغنى من غيرِ مُعاهدةٍ، حتى ارتكَبوا الكُفرانَ بمَنعِ الواجِبِ مع المعاهَدةِ؛ أخبَرَ أنَّه لم يَكفِهم أيضًا ذلك، حتى تعَدَّوه إلى عيبِ الكُرماءِ الباذِلينَ بصِفةِ حُبِّهم لربِّهم ما لم يُوجِبْه عليهم.-البقاعي- *ثم حكى- سبحانه- موقف هؤلاء المنافقين من المؤمنين الصادقين الذين كانوا يبذلون أموالهم في سبيل الله.-الوسيط- *ثم عقب الله- تعالى- هذا الحكم عليهم بالعذاب الأليم، بحكم آخروهو عدم المغفرة لهم بسبب إصرارهم على الكفروالفسوق. –الوسيط- *بعد أن ذكر سبحانه بخل المنافقين وشحهم بأموالهم حتى بعد أن عاهدوا الله على الصدقة إذا آتاهم من فضله- أردف ذلك ببيان أنهم لم يقتصروا فى جرمهم على هذا الحد، بل جاوزوا ذلك إلى لمز المؤمنين وذمهم فى صدقاتهم غنيهم وفقيرهم، وأنهم لهذا قد وصلوا إلى حدّ لم يعد لهم فيه أدنى حظ من الإسلام، ولا أدنى نفع من استغفار الرسول ودعائه لهم لرسوخهم فى الكفر بالله ورسوله وعدم الرجاء فى إيمانهم.-المراغي-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

79-أصحابُ النفوسِ الطيِّبة والنيَّاتِ الصالحة يحبُّون الخيرَ ويشجِّعون أهلَه، وذوو النفوسِ السيِّئة والطَّوايا الخبيثة، يكرهون الخيرَ ويثبِّطون ذويه، ويسخَرون من صنائعهم الحسَنة. إن ربَّنا الكريمَ يغار لأوليائه من أذى أعدائه، فلمَّا سخِروا منهم جازى الساخرين بسُخريَّته، وعذابه.

تفسير السعدي: و**هذا أيضا من مخازي المنافقين**، فكانوا - قبحهم الله- لا يدعون شيئا من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا، فلما حثَّ الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر، ومنهم المقل، فيلمزون المكثر منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ) أي: يعيبون ويطعنون (الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) فيقولون: مراءون، قصدهم الفخروالرياء.

(و) يلمزون (الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ) فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) .

فقابلهم الله على صنيعهم بأن ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير.

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.**

ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي [هو] إعانته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: "الله غني عن صدقة هذا" كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله - وإن كان غنيا عنهم - فهم فقراء إليه ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.

وقفات ولطائف: قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: وهذا أيضا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم. إن جاء أحد منهم بمال جزيل، قالوا: هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغنى عن صدقة هذا، كما روى البخاري عن أبى مسعود- ﷺ- قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا- أي: نؤاجر أنفسنا في الحمل- فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا هذا يقصد الرياء، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغنى عن صدقة هذا، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثا، - أى إلى تبوك- قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله.. إن عندي أربعة آلاف: ألفين أقرضهما الله، وألفين لعيالي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت» ؟! فقال رجل من الأنصار: وإن عندي صاعين من تمر، صاعا لربي، وصاعا لعيالي، قال: فلمز المنافقون وقالوا: ما أعطى أبو عوف هذا إلا رياء!! وقالوا: أولم يكن الله غنيا عن صاع هذا!! فأنزل الله- تعالى- الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ ... .وقال ابن إسحاق: كان المطوعون من المؤمنين في الصدقات: عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى- أخا بني عجلان- وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة وحض عليها. فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف، وقام عاصم بن عدى وتصدق بمائة وسق من تمر، فلمزوهما، وقالوا: ما هذا إلا رياء. وكان الذي تصدق بجهده أبا عقيل- أخا بني أنيف- أتى بصاع من تمر، فأفرغها في الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل» و**جاء عطف فَيَسْخَرُونَ على يَلْمِزُونَ بالفاء، للإشعار بأنهم قوم يسارعون إلى الاستهزاء بالمؤمنين**، بمجرد أن يصدر عن المؤمنين أى عمل من الأعمال الصالحة التي ترضى الله ورسوله. وقوله: سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بيان لجزائهم وسوء عاقبتهم. أى: إن هؤلاء الساخرين من المؤمنين جازاهم الله على سخريتهم في الدنيا، بأن فضحهم وأخزاهم، وجعلهم محل الاحتقار والازدراء .

الجزء العاشر — سورة التوبة ٩

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ

٨٠→(٣)→٨٢

لَمَّا سَخرَ المنافقونَ مِن المتطوعينَ بالقليلِ سَخِرَ اللهُ منهم وتوعَّدَهم، ثُمَّ بَيَّنَ هنا أَنَّهم كالكفارِ ليسُوا أهلًا للاستغفارِ، وبَيَّنَ فرحَهم بتخلُّفِهم عنه ﷺ في غزوةِ تبُوك، وكراهيتَهم للجهادِ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
80	* ثم بين سبحانه عقابهم وسوّاهم بالكافرين. *ثم ذكر السبب المانع لمغفرة الله لهم فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرا.-السعدي- *وقوله: وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ تذييل مؤكد لما قبله، أى والله- تعالى- لا يهدى إلى طريق الخير أولئك الذين فسقوا عن أمره، وخرجوا عن طاعته، ولم يستمعوا إلى نصح الناصحين، وإرشاد المرشدين، و إنما آثروا الغواية على الهداية. هذا، ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، شدة شفقته ﷺ بأمته، وحرصه على هدايتها، وكثرة دعائه لها بالرحمة والمغفرة، و أنه مع إيذاء المنافقين له كان يستغفر لهم- أملا في توبتهم- إلى أن نهاه الله عن ذلك. والمعنى: فرح المخلفون: من هؤلاء المنافقين، بسبب قعودهم في المدينة، وعدم خروجهم إلى تبوك للجهاد مع الرسول ﷺ والمؤمنين، وكرهوا أن يبذلوا شيئا من أموالهم و أنفسهم من أجل إعلاء كلمة الله.-الوسيط-

تفسير السعدي:

على وجه المبالغة، وإلا فلا مفهوم لها.

فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ كما قال في الآية الأخرى سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ثم ذكر السبب المانع لمغفرة الله لهم فقال: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرا.

وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ أي: الذين صار الفسق لهم وصفا، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يبغون به بدلا يأتيهم الحق الواضح فيردونه، فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك.

وقفات ولطائف:

عن ابنِ عبَّاسٍ، عن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهم، أنَّه قال: ((لَمَّا مات عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلولَ، دُعِيَ له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليُصلِّيَ عليه، فلمَّا قام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وثَبْتُ إليه، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أتصلِّي على ابنِ أُبيٍّ، وقد قال يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟! أُعدِّدُ عليه قولَه، فتبسَّمَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقال: أخِّرْ عني يا عُمَرُ، فلمَّا أكثَرْتُ عليه، قال: إنِّي خُيِّرتُ فاخترْتُ، لو أعلَمُ أنِّي إن زِدتُ على السَّبعينَ يُغفَرْ له، لَزِدْتُ عليها، قال: فصلَّى عليه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثمَّ انصرَف، فلم يمكُثْ إلَّا يسيرًا، حتى نزلَت الآيتانِ من براءة: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ [التوبة: 84] قال: فعَجِبْتُ بعدُ مِن جُرأتي على رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَئذٍ، واللهُ ورسولُه أعلَمُ))-رواه البخاري-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **لا ينفعُ الكفَّارَ تضرُّعٌ ولا استغفار، فإن الطِّيب لا يعطِّرُ النجَس.**
- **مَن أصرَّ على نفاقه، وأحاطت به خطاياه الجِسامُ من جميع جوانبه، فقد فقدَ الاستعدادَ للتوبة والإيمان.**

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ

٨٠←(٣)←٨٢

لَمَّا سَخِرَ المنافقون من المتطوعين بالقليل سَخِرَ الله منهم وتوعَّدهم، ثُمَّ بيَّن هنا أنَّهم كالكفَّار ليسوا أهلًا للاستغفار، وبيَّن فرحهم بتخلفهم عنه ﷺ في غزوة تبوك، وكراهيتهم للجهاد.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
81	***وبعد هذا الحديث الطويل المتنوع عن أحوال المنافقين ومسالكهم الخبيثة، أخذت السورة الكريمة في الحديث عن حال المنافقين الذين تخلفوا في المدينة، وأبوا أن يخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك.**-الوسيط- *بعد أن **ذكر بعض سوءات المنافقين** من اعتذارهم للمؤمنين عن الخروج معهم للقتال ولمزهم فى قسمة الصدقات وفى إعطائها، عاد إلى الكلام فى ذكر حال الذين تخلفوا عن القتال فى غزوة تبوك وظلّوا فى المدينة، وبيان ما يجب من معاملة هؤلاء بعد الرجوع إليها، وقد نزل ذلك أثناء السفر.-المراغي- *لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى ما ظهَرَ مِن النِّفاقِ والهُزءِ من الذين خَرَجوا معه إلى غزوةِ تَبوكَ مِن المُنافقين؛ ذكرَ حالَ المُنافِقينَ الذين لم يَخرُجوا معه، وتخلَّفوا عن الجهادِ، واعتَذَروا بأعذارٍ وعِلَلٍ كاذبةٍ، حتى أذِنَ لهم، فكشفَ اللهُ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أحوالِهم، وأعلَمَه بسوءِ فِعالِهم .-أبو حيان- و أيضًا لَمَّا علَّلَ سُبحانَه عدمَ المَغفرةِ للمُنافِقينَ بفِسقِه؛ علَّلَ رُسوخَهم في الفِسقِ .-البقاعي- و أيضًا مُناسبةُ وُقوعِها في هذا الموضِعِ أنَّ فَرَحَ المنافقينَ بتخلُّفِهم قد قويَ لَمَّا استغفَرَلهم النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وظنُّوا أنَّهم استغفَلوه فقَضَوا مَآربَهم، ثمَّ حَصَّلوا الاستغفار؛ ظنًّا منهم أنَّ مُعاملةَ اللهِ إيَّاهم تجري على ظواهرِ الأمورِ.-ابن عاشور-

تفسير السعدي:

***يقول تعالى مبينا تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان.**

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا - ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: المنافقون ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ أي: قالوا إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة.

وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية.

ولهذا قال: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة.-السعدي-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

-ليس من شأن المؤمن أن يفرحَ بتقصيره، ولا عِصيانه، فإن حصَل منه ذلك فليتَّهِم إيمانَه.

***الجهادُ في سبيل الله من أجلِّ الرغائب، وأشرفِ المطالب التي يتنافسُ فيها المتنافسون، ولا يكرهُه المؤمنون الصادقون.**

***كثيرون هم الذين يُشفقون من المَشقَّات، ويَنفِرون من الكَريهات الساميات، ويُؤثِرون الراحةَ الرخيصةَ على الكدح الكريم.**

***بالصبر على الحرِّ والبرد في سبيل الله يدفع المؤمنُ حرَّ جهنَّم وبردَها المؤذيَين، أمَّا المنافقُ فيفِرُّ من حرِّ الدنيا وبردها فيقع في حرِّ جهنَّم وزَمهريرها المهلكَين.**

***يا مَن لا تصبرُ على حَرِّ شمس الدنيا، وحرارةِ كلِّ ذي حرٍّ فيها؛ اجتنب ما يؤدِّي إلى حرِّ جهنَّم، فإنه أعظم وأشدُّ هولًا.**

***يا لَجهلِ مَن دفعَ مشقَّةَ ساعةٍ بمشقَّةِ الأبد!**

الجزء العاشر — سورة التوبة ٩

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ

٨٠←(٣)←٨٢

لَمَّا سَخرَ المنافقونَ مــن المتطــوعينَ بالقليــلِ سَــخِرَ اللهُ منهم وتوعَّدَهم، ثُمَّ بَيَّنَ هنا أَنَّهم كالكفَّارِ ليسُــوا أهــلًا للاســتغفار، وبَــيَّنَ فرحَهم بتخلُّفِهم عنه ﷺ في غــزوةِ تبُــوك، وكراهيتَهم للجهادِ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
82	**ثُمَّ قال اللَّهُ جلَّ جلالُه، مُتَوَعِّدًا لهؤلاءِ المنافِقينَ على صَنيعِهم هذا.**-ابن كثير- *وجمع- سبحانه- في قوله بِما كانُوا يَكْسِبُونَ بين صيغتي الماضي والمستقبل، للدلالة على الاستمرار التجددي ماداموا في الدنيا.-الوسيط-

تفسير السعدي:

قال الله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) أي: فليتمتعوا في هذه الدار المنقضية، ويفرحوا بلذاتها، ويلهوا بلعبها، فسيبكون كثيرا في عذاب أليم (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم.

وقفات ولطائف:

قال الآلوسى: و إيثارما في النظم الكريم على أن يقال، وكرهوا أن يخرجوا مع رسول الله ﷺ إيذان بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب التي ينبغي أن يتنافس فيها المتنافسون، قد كرهوه، كما فرحوا بأقبح القبائح وهو القعود خلاف رسول الله ﷺ، وفي الكلام تعريض بالمؤمنين الذين آثروا ذلك وأحبوه» «1» .

وقوله: وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ حكاية لأقوالهم التي تدل على ضعفهم وجبنهم، وعلى أنهم قوم لا يصلحون للأعمال التي يصلح لها الرجال.

أى. وقال هؤلاء المنافقون المخلفون لغيرهم، اقعدوا معنا في المدينة، ولا تخرجوا للجهاد مع المؤمنين، فإن الحر شديد، والسفر طويل، وقعودكم يريحكم من هذه المتاعب، ويحمل غيرنا وغيركم على القعود معنا ومعكم، وبذلك ننال بغيتنا من تثبيط همة المجاهدين عن الجهاد في سبيل الله.

وقوله: لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ تذييل قصد به الزيادة في توبيخهم وتحقيرهم.

أى: لو كانوا يفقهون أن نار جهنم أشد حرا ويعتبرون بذلك، لما فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، ولما كرهوا الجهاد، ولما قالوا ما قالوا، بل لحزنوا و اكتأبوا على ما صدر منهم، ولبادروا بالتوبة والاستغفار، كما فعل أصحاب القلوب والنفوس النقية من النفاق والشقاق.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

-عن ابن عبَّاسٍ رضي اللّه عنهما قال: (الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعَتِ الدنيا وصاروا إلى اللّه تعالى استأنفوا بكاءً لا ينقطعُ أبدًا).

***لو علمَ اللاهون بدنياهم عن ربِّهم حُرقةَ بكائهم الذي سيبكونه يوم القيامة لاستيقظوا من غفلتهم، وحوَّلوا مركبَ مسيرهم.**

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٢٠٠ — رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ

ﷺ في غزوةِ تبُوك، وكراهيتَهم للجهادِ.

٨٣←(٥)←٨٧

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ مَخازِيَ المُنافِقينَ أرشدَ نبيَّه ﷺ ألَّا يستصحِبَهم في غزَواتِه، ثُمَّ أتْبعَه بأمرٍ آخرَ لإذلالِهم وإهانتِهم وهو منعُه ﷺ من الصَّلاةِ على موتاهم، وعدمُ الاغترارِ بأموالِهم وأولادِهم.

٨٦- ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾: أَصحَابُ الغِنَى وَالسَّعَةِ. (٨١) ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ ...﴾ الفَرَح بفواتِ الطاعةِ مرحلةٌ متقدمةٌ من مراحلِ النّفاقِ.
(٨١) ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾ كلُّ مَشقَّةٍ تتركُ الطَّاعةَ من أجلِها، تُعاقَبُ بأضعافِ أضعافِها يومَ القيامةِ.
(٨٢) ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ بكاءُ الآخرةِ دائمٌ لا ينقطعُ.
(٨٥) ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ ...﴾ النهيُ عن الإعجابِ بأحوالِ الكافرين الماديةِ.
(٨٦) ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾ كثرةُ الاستئذانِ عن العبادةِ بدونِ عذرٍ حقيقيٍ أمرٌ مذمومٌ. ٨٥: التوبة [٥٥].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
83	*ثم بين- سبحانه- ما يجب على الرسول نحو هؤلاء المخلفين الكارهين للجهاد.-الوسيط- ***لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى مَخازيَ المُنافِقين، وسُوءَ طَريقَتِهم؛ بيَّنَ أنَّ الصَّلاحَ في ألَّا يستصحِبَهم في غزَواتِه**؛ لأنَّ خُروجَهم معه يُوجِبُ أنواعًا من الفسادِ .-الرازي- *وأيضًا لما قال الله تعالى: **قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ... فُرِّعَ على الغضبِ عليهم وتهديدِهم عقابٌ آخرُ لهم،** بإبعادِهم عن مشاركةِ المسلمين في غزواتِهم .-ابن عاشور- *وأيضًا لَمَّا كان المسرورُبشيءٍ، الكارهُ لضِدِّه، النَّاهي عنه؛ لا يفعَلُ الضِّدَّ إلَّا تكلُّفًا، ولا قَلْبَ له إليه، وكان هذا الدِّينُ مَبنيًّا على العِزَّةِ والغِنى؛ أتبَعَ ذلك بقَولِه مُسبِّبًا عن فَرَحِهم بالتخَلُّفِ.-البقاعي-

تفسير السعدي:

(فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) وهم الذين تخلفوا من غيرعذر، ولم يحزنوا على تخلفهم (فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ) لغيرهذه الغزوة، إذا رأوا السهولة. (فَقُلْ) لهم عقوبة (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) فسيغني الله عنكم.

(إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) وهذا كما قال تعالى وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فإن المتثاقل المتخلف عن المأموربه عند انتهازالفرصة، لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه. **وفيه أيضا تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم.**

وقفات ولطائف:.

وقال- سبحانه- فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ ... ولم يقل فإن رجعك الله إليهم، لأن جميع الذين تخلفوا عن الخروج مع الرسول ﷺ إلى تبوك، لم يكونوا من المنافقين، بل كان هناك من تخلف بأعذارمقبولة، كالذين أتوا إلى الرسول ﷺ ليحملهم معه، فقال لهم: «لا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا «وأعينهم تفيض من الدمع حزنا» .

قال بعضهم: فإن قلت: الفسق أدنى حالا من الكفر، فما الفائدة في وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر؟ قلت إن الكافرقد يكون عدلا بأن يؤدى الأمانة، ولا يضمرلأحد سوءا، وقد يكون خبيثا كثيرالكذب والمكروالخداع وإضمار السوء للغير، وهذا أمرمستقبح عند كل أحد، ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة، وصفهم الله- تعالى- بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر»

*قال الشوكاني : أي : قل لهم ذلك عقوبة لهم ، ولما في استصحابهم من المفاسد ، كما تقدم في قوله (لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً) .

ثم علل ذلك بقوله :

(إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وهذا كقوله تعالى (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فإن من جزاء السيئة السيئة بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، كما قال في عُمرة الحديبية (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **83-الصفُّ الذي يتخلَّله الضِّعافُ لا يصمُد في المواجهة؛ لأنهم يخذُلونه في ساعة الشدَّة، فيُشيعون فيه الخِذلانَ والاضطراب.**
- **إذا هبَّت رياحك فاغتنمها فقد لا تعودُ إلى أُفقِك مرَّةً أخرى، ومَن تثاقل عن المأمور به ولم ينتهز فرصتَه لفِعله فربَّما لا يوفَّق إليه بعد تولِّيه.**

٨٣←(٥)←٨٧

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ مَخازِيَ المُنافِقينَ أرشدَ نبيَّه ﷺ ألّا يستصحِبَهم في غزَواتِه، ثُمَّ أتْبَعَه بأمرٍ آخرَ لإذلالِهم وإهانتِهم وهو منعُه ﷺ من الصَّلاةِ على موتاهم، وعدمُ الاغترارِ بأموالِهم وأولادِهم.

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ
(٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ (٨٥) وَإِذَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ (٨٦)

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ — ٢٠٠

٨٦- ﴿أُولُوا الطَّوْلِ﴾: أصحابُ الغنى والسَّعة. (٨١) ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ ...﴾ الفرَح بفواتِ الطاعةِ مرحلةٌ متقدمةٌ من مراحلِ النّفاقِ.
(٨١) ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ كلُّ مَشقَّةٍ تتركُ الطّاعةَ من أجلِها، تُعاقَبُ بأضعافِ أضعافِها يومَ القيامةِ.
(٨٢) ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ بكاءُ الآخرةِ دائمٌ لا ينقطعُ.
(٨٥) ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ ...﴾ النهيُ عن الإعجابِ بأحوالِ الكافرين الماديةِ.
(٨٦) ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ﴾ كثرةُ الاستئذانِ عن العبادةِ بدونِ عذرٍ حقيقيٍ أمرٌ مذمومٌ. ٨٥: التوبة [٥٥].

84	
84	***وبعد أن بين- سبحانه- ما يجب أن يفعله الرسول صلى اللّه عليه وسلم معهم في حياتهم، أتبع ذلك ببيان ما يجب أن يفعله معهم بعد مماتهم.**-الوسيط- *أنَّ اللهَ تعالى أمَرَ رَسولَه بأن يسعى في تخذيلِ المُنافِقينَ، وإهانَتِهم وإذلالِهم، فالذي سبق ذِكرُه في الآيةِ الأولى- وهو مَنْعُهم من الخروجِ معه إلى الغَزَواتِ- **سببٌ قويٌّ من أسبابِ إذلالِهم وإهانتِهم**، وهذا الذي ذكرَه في هذه الآيةِ- وهو مَنعُ الرَّسولِ من أن يصلِّيَ على من مات منهم- **سببٌ آخَرُ قويٌّ في إذلالِهم وتخذيلِهم** .-الرازي- و أيضًا لَمَّا انقضى الكلامُ على الاستغفارِ للمُنافقينَ، النَّاشِئِ عن الاعتذارِ والحَلِف الكاذِبَينِ، وكان الإعلامُ بأنَّ اللهَ لا يغفِرُ لهم، مَشُوبًا بصورةِ التَّخييرِ في الاستغفارِ لهم، وكان ذلك يُبقي شيئًا مِن طَمَعِهم في الانتفاعِ بالاستغفارِ؛ لأنَّهم يحسَبونَ المعامَلةَ الرَّبانيَّةَ تجري على ظواهِرِ الأعمالِ والألفاظِ- تهيَّأ الحالُ للتَّصريحِ بالنَّهيِ عن الاستغفارِ لهم، والصَّلاةِ على موتاهم.-ابن عاشور- *أما منع تكريمهم في حياتهم فتراه في قوله- تعالى- في الآية السابقة: فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً، وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا. وأما منع تكريمهم بعد مماتهم فتراه في هذه الآية: وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً، وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ. ولا شك أن حجب كل تكريم عن أولئك المنافقين في العهد النبوي، كان له أثره القوى في انهيار دولتهم، و افتضاح أمرهم، وذهاب ريحهم، وتهوين شأنهم.. هذا، وما فعله الرسول ﷺ مع عبد الله بن أبى من الصلاة عليه، والقيام على قبره إنما كان قبل نزول هذه الآية.. أو أنه ﷺ فعل ذلك تطييبا لقلب ابنه الذي كان من فضلاء الصحابة وأصدقهم إسلاما.

تفسير السعدي:

يقول تعالى: (وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أبدا) من المنافقين (وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) بعد الدفن لتدعو له، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعة منه لهم، وهم لا تنفع فيهم الشفاعة.
(إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) ومن كان كافرا ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعة الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلى عليه.
وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي ﷺ، يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقررا في المؤمنين.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

84-لا تكريمَ لَمن آثر الراحةَ على الكفاح، وأحبَّ البقاءَ بغير استصلاح.

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ ٢٠٠

ﷺ في غزوةِ تبُوك، وكراهيتَهم للجهادِ.

٨٣←(٥)←٨٧

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ مَخازِيَ المُنافِقينَ أرشدَ نبيَّه ﷺ ألّا يستصحِبَهم في غزَواتِه، ثُمَّ أتْبعَه بأمرٍ آخرَ لإذلالِهم وإهانتِهم وهو منعُه ﷺ من الصَّلاةِ على موتاهم، وعدمُ الاغترارِ بأموالِهم وأولادِهم.

٨٦- ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾: أَصحَابُ الغِنَى وَالسَّعَةِ. (٨١) ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ ...﴾ الفَرَح بفواتِ الطاعةِ مرحلةٌ متقدمةٌ من مراحلِ النّفاقِ.
(٨١) ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾ كلُّ مَشقَّةٍ تتركُ الطَّاعةَ من أجلِها، تُعاقَبُ بأضعافِ أضعافِها يومَ القيامةِ.
(٨٢) ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ بكاءُ الآخرةِ دائمٌ لا ينقطعُ.
(٨٥) ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ ...﴾ النهيُ عن الإعجابِ بأحوالِ الكافرين الماديةِ.
(٨٦) ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾ كثرةُ الاستئذانِ عن العبادةِ بدونِ عذرٍ حقيقيٍ أمرٌ مذمومٌ. ٨٥: التوبة [٥٥].

لَمَّا ذكَرَ اللّهُ تعالى ما يدلُّ على شَقاوةِ المُنافقين في الحياةِ الآخرةِ، كان ذلك قد يُثيرُ في نفوسِ النَّاسِ أنَّ المنافقين حصَّلوا سعادةَ الحياةِ الدُّنيا، بكثرةِ الأموالِ والأولادِ، وخَسِروا الآخرةَ. وربَّما كان في ذلك حَيرةٌ لبعضِ المُسلمين أن يقولوا: كيف منَّ الله عليهم بالأموالِ والأولادِ، وهم أعداؤه وبُغَضاءُ نبيِّه. وربَّما كان في ذلك أيضًا مَسلاةٌ لهم بين المُسلمين، **فأعلمَ اللّهُ المُسلمينَ أنَّ تلك الأموالَ والأولادَ- وإن كانت في صورةِ النِّعمةِ- فهي لهم نِقمةٌ وعذابٌ، وأنَّ اللّهَ عذَّبهم بها في الدُّنيا** .-ابن عاشور- *ثم أكد ما تقدم من النهى عن الاغترار بالأموال والأولاد لأن الأمر جدّ خطير يحتاج إلى التوكيد إذ هما أعظم الأشياء جذبا للقلوب، وجلبا للخواطر للاشتغال بالدنيا، فيجب التحذير منهما مرة بعد أخرى .-المراغي-	85

تفسير السعدي:

أي: لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد، فليس ذلك لكرامتهم عليه، و إنما ذلك إهانة منه لهم. (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا) فيتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ولا يتهنئون بها.

بل لا يزالون يعانون الشدائد والمشاق فيها، وتلهيهم عن الله والدار الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) قد سلبهم حبها عن كل شيء، فماتوا وقلوبهم بها متعلقة، و أفئدتهم عليها متحرقة.

وقفات ولطائف:

إنَّما يُريدُ اللهُ أَن يُعَذِّبَهُم بهَا فِي الدُّنْيَا.)

أي: إنَّما يريدُ اللهُ أن يعذِّبَ المُنافقينَ بأموالِهم وأولادِهم في حياتِهم الدُّنيا، بالهُمومِ والغُمومِ، بأخذِ الزَّكاةِ منهم، وبما أُلزِموا بالإنفاقِ فيه، وبما يعتري أموالَهم وأولادَهم من مصائبَ وتعبٍ في جمعِ الأموالِ، ووَجَلٍ في حِفظِها، وخوفٍ مِن زَوالِها، وغيرِ ذلك .

كما قال تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى [طه: 131].

وقال سبحانه: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ [المؤمنون:55-56].

وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن كانت الدُّنيا همَّه، فرَّقَ اللهُ عليه أمْرَه، وجعَلَ فَقرَه بين عينَيه، ولم يأتِه مِن الدُّنيا إلَّا ما كُتِبَ له، ومَن كانت الآخرةُ نيَّتَه، جمَعَ اللهُ له أمْرَه، وجعَلَ غِناه في قَلبِه، و أتَتْه الدُّنيا وهي راغمةٌ))

***وزهوق النفس: خروجها من الجسد بمشقة وتعب.**

قَولُ الله تعالى: وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ تقدَّمَ نظيرُه في السورة، وأُعيدَ هنا؛ لأنَّ أشدَّ الأشياءِ جَذبًا للقلوبِ، وجَلبًا للخواطرِ إلى الاشتغالِ بالدُّنيا، هو الاشتغالُ بالأموالِ والأولادِ، وما كان كذلك يجِبُ التحذيرُ عنه مرَّةً بعد أخرى .

وقيل: وجهُ تَكريرِها تأكيدُ هذا المعنى و إيضاحُه؛ لأنَّ النَّاسَ كانوا يُفتَنونَ بصلاحِ حالِ المُنافقينَ في دنياهم

وقيل: أُعيدَ ذلك؛ لأنَّ تجدُّدَ النُّزولِ له شأنٌ في تقريرِ ما نزَلَ له وتأكيدِه، وإرادة أن يكونَ على بالٍ مِن المخاطَبِ لا ينساه ولا يسهو عنه، وأن يعتقِدَ أنَّ العمَلَ به مهمٌّ يفتقِرُ إلى فضلِ عنايةٍ به، لا سيَّما إذا تراخى ما بين النُّزولين. فأشبه الشَّيءَ الذي أهَمَّ صاحِبَه، فهو يرجِعُ إليه في أثناءِ حَديثِه، ويتخلَّصُ إليه. و إنَّما أعيدَ هذا المعنى لِقوَّتِه فيما يجِبُ أن يَحذَرَ منه .

وقيل: ظاهِرُه أنَّه تكريرٌ، وليس بتكريرٍ؛ لأنَّ الآيتينِ في فَريقينِ مِن المنافقينَ، ولو كان تكريرًا لكان مع تباعُدِ الآيتينِ لِفائدةِ التَّأكيدِ والتَّذكيرِ

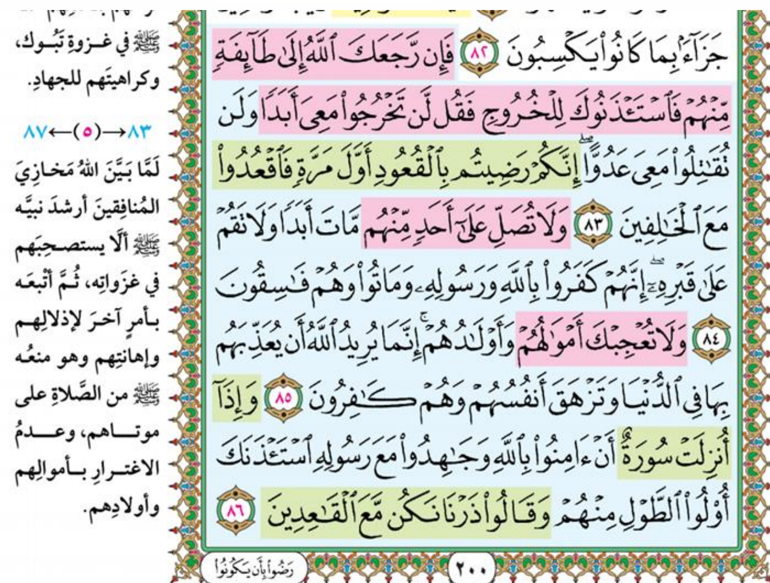
وقيل: أراد بالأُولى لا تُعَظِّمْهم في حالِ حياتِهم بسبَبِ كَثرةِ المالِ والولَدِ، وبالثانيةِ لا تُعَظِّمهم بعد وفاتِهم لمانعِ الكُفرِ والنِّفاقِ

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***أشدُّ الأشياء جذبًا للقلوب إلى الدنيا: الاشتغالُ بالأموال والأولاد، وما كان كذلك وجبَ التحذير منه مرَّةً بعد أخرى.**

***لا تجدُ أشدَّ رهقًا ممَّن جعل الدنيا أكبرَ همِّه؛ فترى شملَه مشتَّتًا، وقلبَه ممزَّقًا، ولولا سَكرةُ عشَّاق الدنيا بحبِّها؛ لاستغاثوا من هذا العذاب.**

***كم من نعمةٍ يفرح بها صاحبُها وهي له عذاب، وكم أمرِ عَذبٍ حقيقتُه سَراب، وكم من مسرَّة تؤول إلى مَضرَّة.**



جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ — ٢٠٠

ﷺ في غزوةِ تبوك، وكراهيتَهم للجهادِ.

٨٣→(٥)→٨٧

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ مَخازيَ المُنافِقينَ أرشدَ نبيَّه ﷺ ألّا يستصحِبَهم في غزَواتِه، ثُمَّ أتبعَه بأمرٍ آخرَ لإذلالِهم وإهانتِهم وهو منعُه ﷺ من الصَّلاةِ على موتاهم، وعدمُ الاغترارِ بأموالِهم وأولادِهم.

٨٦- ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾: أصحابُ الغِنى والسَّعةِ. (٨١) ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ ...﴾ الفرَح بفواتِ الطاعةِ مرحلةٌ متقدمةٌ من مراحلِ النفاقِ.
(٨١) ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾ كلُّ مشقةٍ تتركُ الطاعةَ من أجلِها، تُعاقَبُ بأضعافِ أضعافِها يومَ القيامةِ.
(٨٢) ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ بكاءُ الآخرةِ دائمٌ لا ينقطعُ.
(٨٥) ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ ...﴾ النهيُ عن الإعجابِ بأحوالِ الكافرين الماديةِ.
(٨٦) ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾ كثرةُ الاستئذانِ عن العبادةِ بدونِ عذرٍ حقيقيٍ أمرٌ مذمومٌ. ٨٥: التوبة [٥٥].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
86	*ثم بين- سبحانه- موقف المنافقين وموقف المؤمنين بالنسبة للجهاد، كما بين عاقبة كل فريق .-الوسيط- *يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السوروالآيات: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله.﴿اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾-السعدي- *لما بيَّنَ اللهَ تعالى في الآياتِ المتقدِّمةِ أنَّ المُنافقينَ احتالوا في رُخصةِ التخَلُّفِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، والقعودِ عن الغَزوِ؛ زادَ في هذه الآيةِ دقيقةً أُخرى، وهي أنَّه متى نزلَت آيةٌ مُشتَمِلةٌ على الأمربالإيمانِ، وعلى الأمربالجهادِ مع الرَّسولِ، استأذَنَ أولو الثَّروةِ والقُدرةِ منهم في التخلُّفِ عن الغَزوِ، وقالوا لرَسولِ اللهِ: ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ أي: مع الضُّعَفاءِ مِن النَّاسِ، والسَّاكِنينَ في البلَدِ.-الرازي- *بعد أن بين سبحانه أن المنافقين عملوا الحيل والتمسوا المعاذيرللتخلف عن رسول الله ﷺ والقعود عن الغزو- قفى على ذلك بأن أبان أنه إذا أنزلت سورة فيها أمربالإيمان والجهاد مع الرسول استأذن أولو الثروة والقدرة منهم فى التخلف عن الغزو. –المراغي-

تفسير السعدي:

يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله. ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ يعني: أولي الغنى والأموال، الذين لا عذرلهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في القعود ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾

وقفات ولطائف:.

أي: عند نزول السورة الداعية إلى الجهاد، يجيء هؤلاء المنافقون أصحاب الغنى والثروة، إلى الرسول ﷺ ليستأذنوا في القعود وعدم الخروج ... وليقولوا له بجبن واستخذاء ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ.
أي: اتركنا يا محمد مع القاعدين في المدينة من العجزة والنساء والصبيان، واذهب أنت وأصحابك إلى القتال.
و إنما خص ذوى الطول بالذكر، تخليدا لمذمتهم واحتقارهم لأنه كان المتوقع منهم أن يتقدموا صفوف المجاهدين، لأنهم يملكون وسائل الجهاد والبذل، لا ليتخاذلوا ويعتذروا، ويقولوا ما قالوا مما يدل على جبنهم والتوائهم.-الوسيط-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

***الجهاد الحقُّ دليلُ الإيمان الصادق، فمَن آمن بالله حقًّا جاهد في سبيله صدقًا، واتَّبع سُنَّة رسوله ﷺ.**

- ***إذا بُسطَت الدنيا للإنسان قيَّدته بأغلالها، فلم يستطع الانطلاقَ إلى معالي الأمور، إلا أن ينتصرَ إيمانُه، فيَكسِرَ تلك الأغلالَ الثِّقال.**
- **أصحابُ الأموال ما لم يكونوا أهلَ تقوى تُقعدُهم أموالُهم عن الأعمال الصالحة التي قد تقطعُهم عن متعةِ أموالهم.**
- **المنافقون وضعفاءُ الإيمانِ جُبناء، آثروا البقاءَ مع النساء والصِّبيان، ولو فَقِهوا لم يرضَوا لأنفسهم بالحال التي تحطُّهم عن منازل الرجال.**

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ
لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ
جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ

٨٨←(٣)←٩٠

لَمَّا شرحَ حالَ المُنافقينَ في الفِرارِ عن الجِهادِ بَيَّنَ هنا أنَّ حالَ الرَّسولِ ﷺ والذينَ آمَنُوا معه بالضِّدِّ منه، وذكرَ ثوابَهم، ولَمَّا ذكرَ أعذارَ المنافقينَ في المدينةِ ذكرَ هنا أعذارَ المنافقينَ من الأعرابِ البدوِ.

87	*استئناف لبيان سوء صنيعهم.-القنوجي- *وقوله وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ بيان لما ترتب على استمرارهم في النفاق، وعدم رجوعهم إلى طريق الحق.-الوسيط- *ثم بين العلة فى قبولهم هذا الذل فقال:(وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ)
88	*أنَّ اللّه تعالى لَمَّا شرحَ حالَ المُنافقينَ في الفِرارِ عن الجِهادِ؛ بيَّنَ أنَّ حالَ الرَّسول والذين آمَنوا معه بالضِّدِّ منه؛ حيث بذَلُوا المالَ والنَّفسَ في طلَبِ رِضوانِ اللّهِ، والتقَرُّبِ إليه. -الرازي- *ثم ذكر منافع الجهاد فقال: (وأولئك لهم الخيرات) جمع خير فيشمل منافع الدنيا والدين من النصر والغنيمة والجنة والكرامة، (وأولئك هم المفلحون) وتكرير اسم الإشارة لتفخيم شأنهم وتعظيم أمرهم.-القنوجي -باختصار

تفسير السعدي:

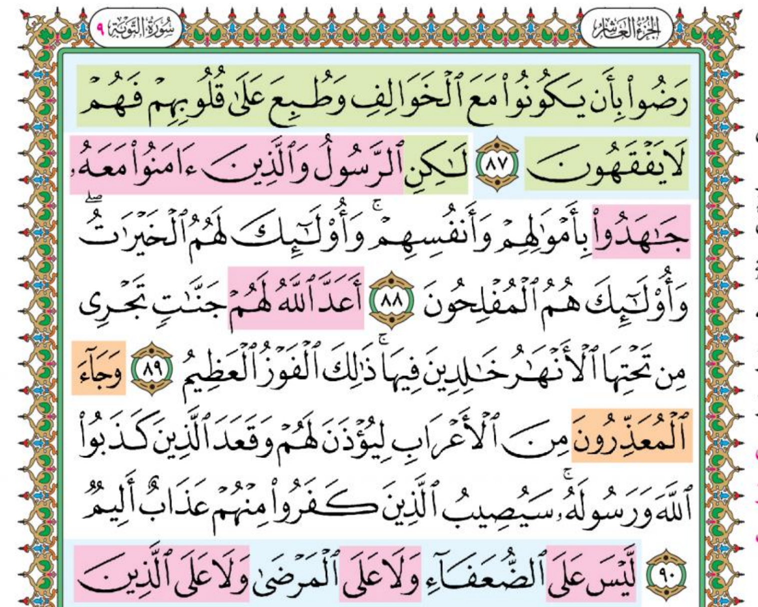
*قال تعالى ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أي: كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك؟ أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح؟ فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال.-السعدي-

قول تعالى: إذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فاللّه سيغني عنهم، وللّه عباد وخواص من خلقه اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم (الرَّسُولُ) محمد ﷺ، (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ) غير متثاقلين ولا كسلين، بل هم فرحون مستبشرون، (وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ) الكثيرة في الدنيا والآخرة، (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الذين ظفروا بأعلى المطالب و أكمل الرغائب.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

87-سلامةُ الفهمِ نورٌ يضيءُ لصاحبه الطريقَ الذي يوصله إلى الغايات الحميدة.
من كان ذا فقهٍ عرَف ما في الجهاد من العزِّ والفَخار، وما في التخلُّفِ من الشقاء والعار.
88-إذا تخلَّفَ المنافقون عن الجهاد، فإن اللّه سيغني عنهم بقومٍ من صالحي العباد، اختصَّهم بفضله، يحبُّهم ويحبُّونه.
***ما بخِلَ رسول اللّه ﷺ بنفسه فقعد عن الجهاد، وحياتُه أغلى حياةٍ للدعوة وللناس، ولا بخِلَ بماله عن النفقة في سبيل اللّه؛ مع كثرة مَن يَعُول.**
***إن الذين امتلأت قلوبُهم بحبِّ اللّه تعالى، فآثَروه على كلِّ ما في الوجود، ورضُوا بالمشقة في سبيله مهما اشتدَّت؛ حازوا منازلَ الرِّفعة.**
***الجهادُ مفتاحُ الخيرات، وسُلَّمُ الدرجات العاليات، ومَدرَج العواقب الحميدة التي تُرغِّبُ المتخلِّفين عن هذه السبيل الرشيدة.**

(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ...)
قد تضطر أن تتخلف عن طاعة العزيز المتعال وحبل النجاة هُنا ، ألا ترضى عن هذا الحال !!
(رضوا) : بداية التخلف كانت (الرضى به)"


الجزء العاشر
سورة التوبة ٩
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ

٨٨→(٣)←٩٠
لَمَّا شرحَ حالَ المُنافقينَ في الفِرارِ عن الجِهادِ بَيَّنَ هنا أنَّ حالَ الرَّسولِ ﷺ والذينَ آمَنوا معه بالضِّدِّ منه، وذكرَ ثوابَهم، ولَمَّا ذكرَ أعذارَ المنافقينَ في المدينةِ ذكرَ هنا أعذارَ المنافقينَ من الأعرابِ البدوِ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
89	(أعد الله لهم) **استئناف لبيان كونهم مفلحين** . –القنوجي-
90	**بعد أن بين حال منافقى الحضر فى المدينة- أردف ذلك ذكر حال الأعراب من البدو الذين طلبوا الإذن بالتخلف والذين تخلفوا بغير إذن**.-المراغي- *و أيضًا لَمَّا خَتمَ قَصصَ أهلِ المَدَرِ بذَمِّ أُولي الطَّولِ منهم بتخلُّفِهم، وكان ذمُّهم إنَّما هو لِكَونِهم قادرينَ على الخروجِ في ذلك الوَجهِ، وقدَّمَهم لِكَثرةِ سمَاعِهم للحِكمةِ، وكان أهلُ الوَبَرِ أقدَرَ النَّاسِ على السَّفَرِ؛ لأنَّ مبنى أمرِهم على الحَلِّ والارتحالِ، فهم أجدَرُ بالذمِّ؛ لأنَّهم في غايةِ الاستعدادِ لذلك- تلاهم بهم. -البقاعي-

تفسير السعدي:

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) فتبا لمن لم يرغب بما رغبوا فيه، وخسر دينه ودنياه وأخراه، وهذا نظير قوله تعالى قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْلا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا وقوله: فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ .

يقول تعالى: (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) أي: جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مبالين في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، و إتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف.

وأما الذين كذبوا الله ورسوله منهم، فقعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: (الْمُعَذِّرُونَ) أي: الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله ﷺ ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر.

(وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الدنيا والآخرة.

وقفات ولطائف:

90معنى الآية الكريمة: وعند ما استنفر النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، جاءه أصحاب الأعذار من الأعراب ليستأذنوه في عدم الخروج معه، فقبل ﷺ ما هو حق منها.

وقوله: وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ بيان للفريق الثاني من الأعراب وهو الذي لم يجئ إلى الرسول ﷺ معتذرا.

أي: وقعد عن الخروج إلى تبوك، وعن المجيء إلى رسول الله ﷺ للاعتذار، أولئك الذين كذبوا الله ورسوله في دعوى الإيمان، وهم الراسخون في النفاق والعصيان من الأعراب سكان البادية.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

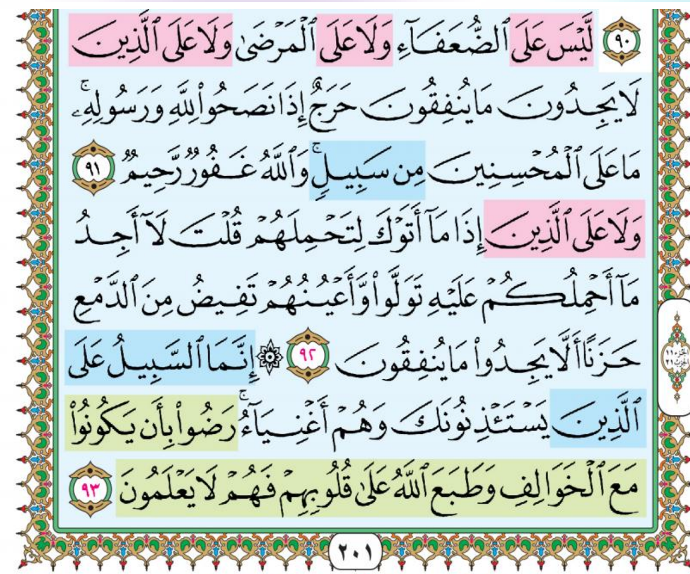
89-للمجاهدين المخلصين تهيَّأتِ الجنات، وأُعدَّت بكلِّ صنوف الطيِّبات، فما أحسنَ العطاء، وما أعظمَ الجزاء!

***إن نَيلَ ما أعدَّه الله لعباده الصالحين من الخيرات والعطايا هو الفوزُ الحقيقيُّ الذي لا خَسارةَ بعده.**

***إنها جناتٌ وليست جنةً واحدة، وأنهار وليس نهرًا واحدًا، وخلود وليس زمنًا موقوتًا، وفوز عظيم لا خسارة فيه، ألا يستحقُّ ذلك بذل نفس فانية ومال ذاهب، في سبيل الله؟**

90-إذا كان من يختلقُ الأعذارَ ذا شرٍّ، فإن شرًّا منه من يرى فسادَه صلاحًا لا يستوجب عُذرًا.

المتخلِّفون عن الجهاد من غير عذر، طلبًا للسلامة وراحة الأبدان، يُشقُّون أنفسهم بتعريض أبدانهم ونفوسهم لعذاب أليم.



٩١←(٣)←٩٣

لَمَّا ذكرَ أصحابَ الأعذارِ الواهيةِ ناسَبه ذكرُ أصحابِ الأعذارِ الحقيقيةِ المقبولةِ، ولَمَّا بَيَّنَ أنَّ كُلَّ أولئكَ ما عليهم مِن سَبيلٍ، بَقِيَ بيانُ مَن عليهم السَّبيلُ فذَكَرَهم.

٩٠- ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: المُعتَذِرونَ، ٩١- ﴿نَصَحُوا۟ لِلَّهِ﴾: أخلَصوا ولَم يُثَبِّطوا، ٩٢- ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾: لِتَجِدَ لَهُمْ دَوابَّ يَرْكَبونَها، ﴿تَفِيضُ﴾: تَسيلُ.

(٩٢) ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ الحزنُ على فواتِ بعضِ الطّاعاتِ دليلٌ على الصّدقِ والإخلاصِ.

(٩٢) الصّحابةُ بَكَوا على فواتِ الطّاعاتِ، وهم مَعذورون بنَصِ القرآنِ، فليتنا نبكي على ارتكابِ المحرّماتِ.

(٩٢) هل بكيتَ يومًا على فواتِ طاعةٍ؟

(٩٣) ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ...﴾ لا تعتذرْ وأنتَ كاذبٌ أو مُخادِعٌ؛ فاللهُ يعلمُ السرَّ وأخفَى. ٨٧: التوبة [٩٣]، ٩٠: الأنعام [١٢٤].

91	**لَمَّا ذكَرَ اللّه تعالى حالَ مَن تخلَّفَ عن الجهادِ مع القُدرةِ عليه؛ ذكَرَ حالَ مَن له عُذرٌ في تَركِه.**-أبو حيان- ***بعد أن ذكر المعذرين والذين كذبوا اللّه ورسوله، وذكر وعيدهم على سوء صنيعهم- قفى على ذلك بذكر أصناف ثلاثة أعذارها مقبولة، ثم أردف هذا بذكر شر الأعذار وهو استئذان الأغنياء**.-المراغي-
92	*لَمّا ذكَرَ اللّهُ تعالى الضُّعفاءَ والمرضى والفُقَراءَ، وبَيَّنَ أنَّه يجوزُ لهم التخلُّفُ عن الجِهادِ، بشَرطِ أن يكونوا ناصِحينَ للّه ورسوله، وبيَّنَ كونَهم مُحسِنينَ، و أنَّه ليس لأحدٍ عليهم سبيلٌ- ذكَرَ قِسمًا آخرَ من المعذورينَ.-الرازي-
93	*لَمّا بَيَّنَ اللّهُ تعالى أنَّ كُلَّ أولئك ما عليهم مِن سَبيلٍ، بَقِيَ بيانُ مَن عليهم السَّبيلُ في تلك الحالِ، فذكَرَهم.-المنار- ***وبعد أن بين- سبحانه- أحكام أصحاب الأعذار المقبولة، أتبع ذلك ببيان أحكام الأعذار الكاذبة، والصفات القبيحة**.-الوسيط- *ثم ذكر السبب فى استحقاقهم المؤاخذة فقال:(رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ) -المراغي-

تفسير السعدي:

لما ذكر المعتذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله:

(لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ) في أبدانهم و أبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. (وَلا عَلَى الْمَرْضَى) . وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وحمى، وذات الجنب، والفالج، وغير ذلك.

(وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ) أي: لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

(مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ) أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد- أسقطوا توجه اللوم عليهم، **وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه.**

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في [نفسه] أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن - وهو المسيء- كالمفرط، أن عليه الضمان.

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) **ومن مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين.**

(وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) فلم يصادفوا عندك شيئا (قُلْتَ) لهم معتذرا: (لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم. فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، و اقترن بنيته الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام.

(إِنَّمَا السَّبِيلُ) يتوجه واللوم يتناول الذين يستأذنوك وهم أغنياء قادرون على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء (رَضُوا) لأنفسهم ومن دينهم (بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) كالنساء والأطفال ونحوهم.

(و) إنما رضوا بهذه الحال لأن الله طبع على قلوبهم أي: ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية، (فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) عقوبة لهم، على ما اقترفوا.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

91-قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (لَمَّا رأى اللهُ حرصَهم على محبَّته ومحبَّة رسوله، أنزل عُذرَهم في كتابه).

***مَن أحسنَ فيما يقدرُ عليه من النصح سقطَ عنه ما لا يقدرُ عليه من الجهاد.**

***للمغفرةِ والرحمة أهلونَ من الناس، ليس أهلَ الكذب الذين لا يُبالون بالشرع، وإنما هم الناصحون إن عَجَزوا، والمحسنون إن قصَّروا.**

92-المؤمنُ يحزنُ على فوات الطاعات، والمنافق يفرحُ بتخلُّفه عنها.

***إذا لم يجدِ المسلمُ في قلبه حزنًا على ترك طاعة، أو فعلِ معصية، أو فواتِ عمل صالح فليتدارك قلبَه.**

شتانَ بين مَن يبكي فقْدَ رواحلَ يُحملُ فيها إلى الموت، ومن يبكي فقْدَ لُعاعةٍ من الدنيا ذهبت عنه، أو يَخشى عليها الفوت.

93-كان العتابُ لمن تركَ واجبَ الغزو مع قدرته، وليس لمن تركه مع عجزه، وهذا من رحمة الله بعباده.

***غَنِمَ مختلقو الأعذار لترك الواجب قعودًا أورثَهم طبعَ القلبِ، ومقْتَ الرَّبِّ، وفقْدَ التشريف بترك القيام بالتكليف.**

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ
لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ
بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ
عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن
تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ

٩٤←(٣)←٩٦

بعدَ ذمِّ تخلُّفِ المنافقينَ الأغنياءِ، يُنبئُ اللهُ نبيَّه ﷺ هنا أنَّهم سيَعْتَذِرُونَ ثُمَّ سيؤكِّدونَ تلكَ الأعذارَ بالأيمانِ الكاذبةِ، ثُمَّ يخبرُه بما يجبُ أن يجيبَهم به، وما يجبُ أن يعاملَهم به أيضًا.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
94	***بعد أن ذكر عزّ اسمه من يستحقون اللوم والمؤاخذة من المعذّرين، ومن لا سبيل إلى مؤاخذتهم وعدم الحرج عليهم-** ذكر فى هذه الآيات **ما سيكون من أمر المنافقين الذين تخلفوا فى المدينة وما حولها عن غزوة تبوك** مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد عودتهم.المراغي- ***ثم بين السبب فى عدم تصديقهم** فقال:(قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ) و إنما قال نبأنا ولم يقل نبأنى إيماء إلى أنه أمره أن ينبّىء بذلك أصحابه ولم يكن هذا النبأ خاصا به، كما أن اعتذارهم للجميع يقتضى أن يكونوا كلهم عالمين بما فضحهم الله به، وفى هذا من التشهيربهم والخزي لهم ما لا خفاء فيه.-المراغي-
95	لَمَّا حكى اللهُ تعالى عن المنافِقينَ في الآيةِ الأولى **أنَّهم يعتَذِرونَ**؛ ذكَرَفي هذه الآيةِ أنَّهم كانوا **يؤكِّدونَ تلك الأعذارَ بالأيمانِ الكاذبةِ.**-الرازي- (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) ثم علل هذا بقوله:(إِنَّهُمْ رِجْسٌ).-المراغي-

تفسير السعدي:

لما ذكر تخلف المنافقين الأغنياء، وأنهم لا عذر لهم، أخبر أنهم سـ (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) من غزاتكم.

(قُلْ) لهم (لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ) أي: لن نصدقكم في اعتذاركم الكاذب.

(قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) وهو الصادق في قيله، فلم يبق للاعتذار فائدة، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر الله عنهم، ومحال أن يكونوا صادقين فيما يخالف خبر الله الذي هو أعلى مراتب الصدق.

(وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال، فلا دلالة فيها على شيء من ذلك.

(ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) الذي لا تخفى عليه خافية، (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من خير وشر، ويجازيكم بعدله أو بفضله، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة.

وأعلم أن المسيء المذنب له ثلاث حالات: إما [أن] يقبل قوله وعذره، ظاهرا وباطنا، ويعفى عنه بحيث يبقى كأنه لم يذنب. وإما أن يعاقبوا بالعقوبة والتعزير الفعلي على ذنبهم، وإما أن يعرض عنهم، ولا يقابلوا بما فعلوا بالعقوبة الفعلية، وهذه الحال الثالثة هي التي أمر الله بها في حق المنافقين.

95-﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي: لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوهم.

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: إنهم قذر خبثاء، ليسوا بأهل لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيدا فيهم، ﴿و﴾ تكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.-

وقفات ولطائف:.عن كعبِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((واللهِ ما أنعَمَ اللهُ عليَّ مِن نِعمةٍ قطُّ، بعد إذ هدَاني اللهُ للإسلامِ، أعظَمَ في نفسِي مِن صِدقِي رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ألَّا أكونَ كَذَبتُه فأَهلِكَ كما هلَكَ الذين كذَبوا، إنَّ الله قال للذين كَذَبوا- حين أنزلَ الوَحيَ- شَرَّ ما قال لأحَدٍ: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) -رواه البخاري ومسلم-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

94-لا يبقى المنافقون بين المؤمنين مستورين دائمًا، مهما حاولوا مدَّ بساطِ الاستتار؛ فأعمالُهم، وأحوالُهم السيِّئةُ المتابعةُ تنقُلهم إلى جوٍّ العلانية.

الأعمالُ هي ميزانُ الصدقِ والكذب، وأما مجرَّدُ الأقوالِ فلا تَصدُقُ دائمًا.

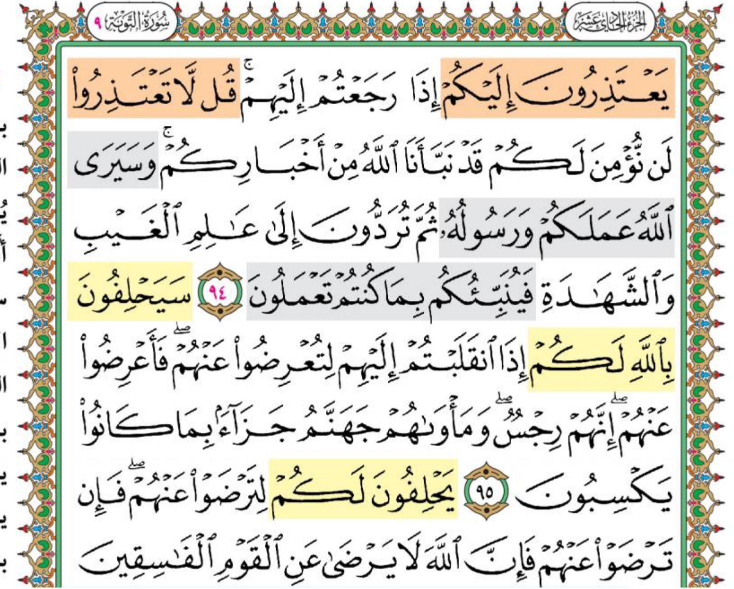
ألا يرعوي عن المعصية امرؤٌ يُدرِكُ أن ربَّه سبحانه عالمٌ بجميعِ أعماله؛ ظاهرِها وباطنها، ومحيطٌ بأحواله؛ بارزِها وكامنِها؟

كم دافعٍ للعمل يَخفى حتى على صاحبِه وهو يفعلُه، واللّهُ أعلمُ به منه! وكم نتيجةٍ للعمل لا يدري صاحبُه وقوعَها، واللّهُ يعلمُها دُونه!

لا ينبغي لأحدٍ أن يزكِّي عملَه بمجرَّدِ حصوله، وإنما يُفوِّضُه إلى اللّه؛ فهو العالِمُ بصلاحِه وقَبوله.

95-ليس كلُّ مخطئٍ يُترك من العتاب أو العقاب ينال الرضا والقَبول، فمن الإعراض ما يكون إهانةً واحتقارا، لا صفحًا وإعذارا. المؤمن تنفعُ فيه المعاتبة، وتُصلحُه المحاسبة، ولا تزيدُه التوبةُ إلا نقاءً، وأما من لم يكُ طاهرًا فأنَّى له ذلك؟!

أولى ما يَنبغي الاحترازُ منه الأرجاسُ الروحانية؛ إذ يُوشكُ أن يميلَ الطبعُ بصاحبها إليها فيهلِك، فالنجاسةُ الباطنة تُودي بأهلها إلى الأعمال المُهلِكة.



٩٤←(٣)→٩٦

بعـدَ ذمِّ تخلُّـفِ المنافقينَ الأغنياء، يُنبئُ اللهُ نبيَّه ﷺ هنا أنَّهم سيَعْتَذِرُونَ ثُمَّ سـيؤكِّدونَ تلـك الأعـذارَ بالأيمـانِ الكاذبة، ثُمَّ يخبرُه بمـا يجـبُ أن يجيـبَهم بـه، ومـا يجـبُ أن يعـاملَهم به أيضًا.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
96	*ثم زاد فى تأكيد نفاقهم فقال:(يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ).المراغي- *لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ أنَّهم **يحلِفونَ باللهِ؛ لِيُعرِضَ المسلمونَ عن إيذائِهم- بيَّنَ أيضًا هنا أنَّهم يحلِفونَ لِيَرضى المسلمونَ عنهم**، ثمَّ إنَّه تعالى نهى المُسلِمينَ عن أن يَرضَوا عنهم.-الرازي-

تفسير السعدي: وقوله: (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ) أي: ولهم أيضا هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض، بل يحبون أن ترضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئا.

(فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) أي: فلا ينبغي لكم - أيها المؤمنون- أن ترضوا عن من لم يرض الله عنه، بل عليكم أن تو افقوا ربكم في رضاه وغضبه.

وتأمل كيف قال: [فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] ولم يقل: "فإن الله لا يرضى عنهم" ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله يتوب عليهم، ويرضى عنهم.

وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو خروجهم عن ما رضيه الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك، والنفاق، والمعاصي.

وحاصل ما ذكره الله أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذارا في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم، وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حبا ولا كرامة لهم.

وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية والرجس،

وفي هذه الآيات، إثبات الكلام لله تعالى في قوله: (قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) و إثبات الأفعال الاختيارية لله، الو اقعة بمشيئته [تعالى] وقدرته في هذا، وفي قوله: (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) أخبر أنه سيراه بعد وقوعه، وفيها إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **96-الذي لا يُراعي غضبَ اللّهِ، فيحلِفُ كاذبًا ليُرضيَ بسخَطِ اللّهِ بعضَ عباده، فيه شبَهٌ بالمنافقين، وقد أتى كبيرةً تُلحِقُه بالفاسقين.**
- **لا يُرضي المؤمنين إلا ما يُرضي ربَّ العالمين، وأعمالُ المنافقين لا يَرضاها، بل يَسخَطُها ويأباها.]**
- **حَجبَ الفاسقون بفسقِهم رضا اللّهِ عنهم، غيرَ أنهم لو تابوا لَقبِلَ اللّهُ منهم.**

الطبقات والمستويات الإيمانية في المجتمع المسلم :

1- الأعراب المخلصون :

أما المخلصون فهم الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وأخلصوا في اعتقادهم فأنفقوا أموالهم لتقربهم إلى الله سبحانه فاستجاب لهم ورحمهم ، وجاء في حقهم قوله تعالى : (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم) (التوبة:99)

2- طبقة المهاجرين والأنصار :

تتألف هذه الطبقة الإيمانية من المهاجرين والأنصار وهم الذين كانوا يؤلفون قاعدة المجتمع المسلم الصلبة القوية حيث إنهم قدموا أموالهم و أنفسهم رخيصة في سبيل الله تعالى . قال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) (التوبة:100) .

3- الأعراب المنافقون :

وهم الذين أظهروا الإسلام بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم بل إنهم كانوا يكيدون للإسلام في الخفاء ويدبرون المؤامرات للنيل من المسلمين ، لذلك فهم أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من الذين كفروا وأعلنوا العداء منذ بداية الأمر . قال تعالى : (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (التوبة:97-98) . وقال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)

4- أعراب خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً :

وهم الذين لم يتم انطباعهم بعقيدة الإسلام انطباعاً كاملاً ، ولم يصهروا في بوتقة الإسلام تماماً فخلطوا في أعمالهم نتيجة الخلخلة وعدم استقرارهم على حقيقة الإيمان . قال تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) (التوبة:102) . وحددت السورة كيفية التعامل معهم فأمرت الرسول ﷺ بأخذ الصدقة منهم والصلاة عليهم . قال تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) (التوبة :103)

5- أعراب مجهولة أحوالهم :

وهي طبقة من الأعراب مجهولة الحال، لا تعرف مصيرها متروك أمرها إلى الله لأنه أعلم بحالهم وبما تكنه صدورهم وإما أن يعذبهم وإما أن يتوب عليهم . قال تعالى : (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم) (التوبة:106)

ويظهر من تعدد الطوائف والطبقات والمستويات الإيمانية في المجتمع المسلم مدى الخلخلة التي وجدت بعد الفتح لكثرة الداخلين في الإسلام والمحسوبين عليه ، وقد بريء المجتمع المسلم من هذه الخلخلة قبل فتح مكة.

﴿٩٦﴾ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ
عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ
لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ — ٢٠٢

٩٧←(٣)→٩٩
بعد أن ذكر الله أحوالَ العربِ مؤمنِيهم ومنافقِيهم بالمدينةِ، ذكرَ هنا أحوالَ الأعرابِ خارجَ المدينةِ وهم سكَّانُ الباديةِ، وأخبرَ أنَّ في الأعرابِ: كفَّارًا ومنافقينَ ومؤمنينَ.

٩٧- ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ﴾: سُكَّانُ الباديةِ، ٩٨- ﴿مَغۡرَمٗا﴾: خسارةً، ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾: ينتظرُ، ﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾: الحوادثَ والآفاتِ.

(٩٤) ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ الذي يشعُرُ أنَّ رئيسَه في العملِ يتتبعُ أعمالَه وأخطاءَه يفزَعُ ويخافُ، ويعيشُ في قلقٍ وحذرٍ، فكيف بـ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؟

(٩٧) ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ...﴾ القربُ من العلماءِ والدُّعاةِ سببٌ للبعدِ عن الجهلِ.

(٩٩) ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تصدَّقِ اليومَ وأنت مستشعرٌ أن الصَّدقةَ تقرِّبُك من اللهِ. ٩٤: التوبة [١٠٥].

97
***بعد أن ذكر سبحانه أحوال العرب مؤمنيهم ومنافقيهم، بين فى هذه الآيات الثلاث أحوال الأعراب مؤمنيهم ومنافقيهم كذلك.**

***لَمَّا ذكَرَ عزَّ وجلَّ أحوالَ المُنافِقينَ بالمدينةِ؛ ذكَرَ مَن كان خارجًا منها، ونائيًا عنها من الأعرابِ** .-المحرر-

*ثم بعد الحديث الطويل عن النفاق والمنافقين، أخذت السورة الكريمة. في الحديث عن طوائف أخرى منها الصالح، ومنها غير الصالح، وقد بدأت بالحديث عن الأعراب سكان البادية.-الوسيط-

*و أيضًا لَمَّا رتَّبَ اللهُ سُبحانه الاستئذانَ في القُعودِ، والرِّضا بما فيه من الدَّناءةِ، على عدمِ الفِقهِ تارةً، والعِلمِ أُخرى، وختَمَ بصِنفِ الأعرابِ؛ **بيَّنَ أنَّ الأعرابَ أوْلَى بذلك؛ لِكَونِهم أعرَقَ في هذا الوصفِ، وأجرأَ على الفِسقِ؛** لبُعدِهم عن مَعدِنِ العِلمِ، وصَرفِهم أفكارَهم في غيرِ ذلك مِن أنواعِ المَخازي لتحصيلِ المالِ، الذي كلَّما داروا عليه طارعنهم فأبعَدَ، فهم لا يزالونَ في همِّه، قد شغَلَهم ذلك عن كُلِّ هَمٍّ، وهم يحسَبونَ أنَّهم يُحسِنونَ صُنعًا .-البقاعي-

*والمعنى: الأعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر الكفار والمنافقين، وهم كذلك أحق وأخلق من أهل الحضر بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، بسبب ابتعادهم عن مجالس رسول الله ﷺ وعدم مشاهدتهم لما ينزل عليه ﷺ من شرائع وآداب وأحكام.

98
*وبدأ بالخَبيثِ لِأنَّهُ الأصْلُ فِيهِمْ فَقالَ: ﴿ومِنَ الأعْرابِ﴾-البقاعي-

تفسير السعدي:

يقول تعالى: ﴿الْأَعْرَابِ﴾ وهم سكان البادية والبراري ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك لأسباب كثيرة: منها: أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية والأعمال والأحكام، فهم أحرى ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، فيحدث لهم - بسبب هذا العلم - تصورات حسنة، وإرادات للخير، الذي يعلمون، ما لا يكون في البادية.

وفيهم من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية، وإن كان في البادية والحاضرة، كفار ومنافقون، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة. ومن ذلك أن الأعراب أحرص على الأموال، وأشح فيها.

فمنهم ﴿مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ من الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك، ﴿مَغْرَمًا﴾ أي: يراها خسارة ونقصا، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاد يؤديها إلا كرها.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم فعليهم دائرة السوء.

وأما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبى الحسنة.

﴿وَاللَّهُ سميع عليم﴾ يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال، من إخلاص وغيره.

وقفات ولطائف: .97-وَلَمَّا كَانَتِ الْغِلْظَةُ وَالْجَفَاءُ فِي أَهْلِ الْبَوَادِي لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ مِنْهُمْ رَسُولًا وَ إِنَّمَا كَانَتِ الْبَعْثَةُ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يُوسُف:١٠٩]

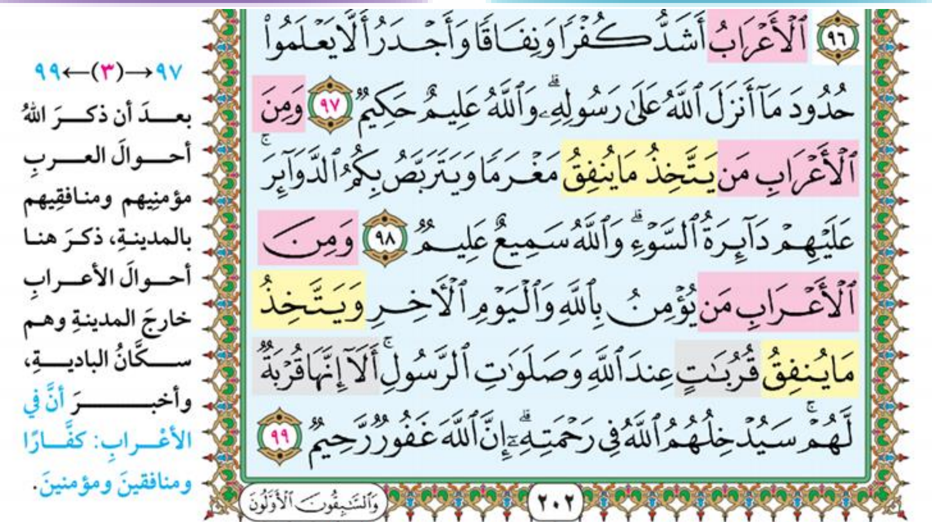
*، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: أتقبِّلون صِبْيَانَكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالُوا: وَلَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نقبِّل. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَأَمْلِكُ أَنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ؟ ". وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: "مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ"-رواه ابن أبي شيبة-

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أي: واللهُ عليمٌ بخَلقِه، لا يخفى عليه شيءٌ مِن أحوالِهم، فيعلَمُ مُنافِقَهم وكافِرَهم، ويَعلَمُ مَن يستحِقُّ أن يُعلِّمَه منهم العِلمَ والإيمانَ، ممَّن لا يستحِقُّ، كأولئك الأعرابِ، حكيمٌ في تدبيرِ خَلْقِه ومُجازاتِهم، فيضعُ كُلَّ شَيءٍ في موضِعِه اللَّائِقِ به.-المحرر-

*وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. أي: واللهُ سَميعٌ لأقوالِ عِبادِه من الأعرابِ المُنافِقينَ وغيرِهم، عليمٌ ببواطِنِهم، عليمٌ بتَدبيرِهم، وبمن يستحِقُّ منهم النَّصرَ، ومَن يستحِقُّ الخِذلانَ.-المحرر-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **97-إنما ذمَّ اللّهُ تعالى في الأعرابِ كونَهم لا يعلمون حدودَ ما أنزلَ على رسوله من الهدى، فطوبى لمن عَلِمَها، واهتدى بها.**
- **أنفعُ العلومِ معرفةُ حُدودِ ما أنزَلَ اللّه على رسولِه، من أصولِ الدينِ وفُروعِه، وإلا فكيف يمتثلُ المؤمن الأوامرَ ويزدَجرُ عن النواهي وهو لا يعرفُها؟**
- **البعدُ عن المجالس الإيمانية والعلمية يُقرِّبُ الإنسانَ من الوقوع في المعصية.**
- **لن تَخفَى على العليمِ سبحانه دخائلُ النفوس، وليس سوى الحكيمِ من يقدرُ على تمييزِ مراتب تلك النفوس.**
- **98-ما في القلبِ هو الذي يَحكمُ على غاياتِ الأفعال، فالمؤمنُ يرى النفقةَ في وجوه البرِّ مَغنَما، والمنافقُ وضعيفُ الإيمانِ يريانِها مَغرَما.**
- **لَمّا كان تربُّصُ المتربِّصين بالمسلمين السُّوءَ متكرِّرًا متجدِّدًا؛ جَعلَ اللّهُ السوءَ دائرًا عليهم، ومحيطًا بهم على الدوام.**
- **إن من يَسمعُ ما يُقال، ويَعلمُ ما يُضمَر، لقادرٌ على مجازاة كلِّ قائلٍ بما قال، وكلِّ فاعلٍ بما فعَل.**
- **اللّه مطَّلعٌ على باطنِ المنفِقِ يَرى إخلاصَه من غيره، ومُطَّلِع على مقاله إن كان حامدًا لإنفاقه أو ساخطًا.**



٩٦ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٩٧ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ
عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٩٨ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٩٩

٢٠٢ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ

٩٧←(٣)←٩٩
بعدَ أن ذكرَ اللهُ أحوالَ العربِ مؤمنِيهم ومنافقِيهم بالمدينةِ، ذكرَ هنا أحوالَ الأعرابِ خارجَ المدينةِ وهم سكّانُ الباديةِ، وأخبرَ أنَّ في الأعرابِ: كفّارًا ومنافقينَ ومؤمنينَ.

٩٧- ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾: سكّانُ الباديةِ، ٩٨- ﴿مَغْرَمًا﴾: خسارةً، ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾: ينتظرُ، ﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾: الحوادثَ والآفاتَ.

(٩٤) ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الذي يشعرُ أنّ رئيسَه في العملِ يتتبّعُ أعمالَه وأخطاءَه يفزَعُ ويخافُ، ويعيشُ في قلقٍ وحذَرٍ، فكيف بـ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؟

(٩٧) ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟...﴾ القربُ من العلماءِ والدُّعاةِ سببٌ للبعدِ عن الجهلِ.

(٩٩) ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تصدّقِ اليومَ وأنتَ مستشعرٌ أنّ الصّدقةَ تقرّبُكَ من اللهِ. ٩٤: التوبة [١٠٥].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
99	**لَمَّا بَيَّنَ اللّهُ تعالى أنَّه حصلَ في الأعرابِ مَن يتَّخِذُ إنفاقَه في سبيلِ اللّهِ مَغرمًا؛ بيَّنَ أيضًا أنَّ فيهم قومًا مُؤمنينَ صالِحينَ مُجاهِدينَ،** يتَّخِذُونَ إنفاقَهم في سبيلِ اللهِ مَغنمًا.-الرازي- ***وقد بين الله جزاءهم على ما انطوت عليه نفوسهم من صدق الإيمان وإخلاص النية فى الإنفاق فى سبيل الله فأخبر بقبول نفقتهم وإثابتهم عليها** فقال:(أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ).-المراغي-

تفسير السعدي:

وليس الأعراب كلهم مذمومين، بل منهم ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فيسلم بذلك من الكفر والنفاق ويعمل بمقتضى الإيمان.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: يحتسب نفقته، ويقصد بها وجه الله تعالى والقرب منه ويجعلها وسيلة ل - ﴿صَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي: دعائه لهم، وتبريكه عليهم، قال تعالى مبينا لنفع صلوات الرسول: ﴿أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ تقربهم إلى الله، وتنمي أموالهم وتحل فيها البركة. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ في جملة عباده الصالحين إنه غفور رحيم، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه، ويعم عباده برحمته، التي وسعت كل شيء، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات، ويحميهم فيها من المخالفات، ويجزل لهم فيها أنواع المثوبات.

وفي هذه الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك.

ومنها: أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال.

ومنها: فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفرا ونفاقا، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله.

ومنها: أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك. فإن في معرفتها يتمكن من فعلها - إن كانت مأمورا بها، أو تركها إن كانت محظورة - ومن الأمر بها أو النهي عنها.

ومنها: أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنما، ولا تكون مغرمًا.

وقفات ولطائف:.

وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ. أي: ويبتغي الأعرابُ المؤمنونَ بنَفَقاتِهم أيضًا دعاءَ الرَّسولِ لهم عند أخْذِه صَدَقاتِهم .

كما قال تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [التوبة: 103].

*ولقد كان من عادة النبي ﷺ أن يدعو للمتصدقين بالخير والبركة، فقد ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ دعا لآل أبى أوفى عند ما تقدموا إليه بصدقاتهم فقال: «اللهم صل على آل أبى أوفى» أى: ارحمهم وبارك لهم في أموالهم..

أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ.

أي: ألا إنَّ صلواتِ الرَّسولِ قُربةٌ عظيمةٌ لهم، تقرِّبُهم إلى الله تعالى .

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((يقولُ اللهُ عزَّوجلَّ: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، و أنا معه حين يذكُرُني، إن ذَكَرني في نفسِه، ذكَرْتُه في نفسي، وإن ذكَرَني في ملأٍ، ذكرتُه في ملأٍ هم خَيرٌ منهم، وإن تقرَّبَ منِّي شِبرًا، تقرَّبتُ إليه ذِراعًا، وإن تقرَّبَ إليَّ ذِراعًا، تقرَّبتُ منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرولةً)) .-البخاري ومسلم-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

99-الإيمانُ باللّه واليوم الآخر هو ما يبعثُ المؤمنَ على الإنفاق في مراضي اللّه، وليس خوفُ الناس ولا الرغبةُ في مديحهم.
إذا عدَّ بعضُ الناسِ النفقةَ في سبيل اللّه خَسارة، فهناك من عِباد اللّه من يَعدُّها أربحَ تجارة.
ليس من أدب القرآن تعميمُ الناسِ بالأحكام بلا دليل، ولكنَّ منهم من يَشمَلُه الحُكم، ومنهم من ليس كذلك، فما أجملَ الإنصاف!
ما أعظمَ بشرى المؤمنين المتصدِّقين المخلصين بأن رحمةَ اللّهِ ستغمرُهم، وتحيطُ بهم من كلِّ جانب!

تفسير السعدي:

السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله.

(مِنَ الْمُهَاجِرِينَ) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ .

(و) من (الأَنْصَارِ) (الذين تبوءوا الداروالإيمان [من قبلهم] يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

(وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، و أفضل الكرامات من الله.

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة، (وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ) الجارية التي تساق إلى سَقْيِ الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة.

(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) لا يبغون عنها حولا ولا يطلبون منها بدلا لأنهم مهما تمنوه، أدركوه، ومهما أرادوه، وجدوه.

(ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، و اندفع عنهم كل محذور.

وقفات ولطائف: هذه الآية الكريمة قد مدحت ثلاث طوائف من المسلمين المعاصرين للعهد النبوي.

الطائفة الأولى «السابقون الأولون من المهاجرين» وهم الذين تركوا ديارهم وأموالهم بمكة، وهاجروا إلى الحبشة، ثم إلى المدينة من أجل إعلاء كلمة الله واستمروا في المدينة مع رسول الله ﷺ إلى أن تم الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وقيل المراد بهم: الذين صلوا إلى القبلتين، وقيل: الذين شهدوا غزوة بدر.

والطائفة الثانية: السابقون الأولون من الأنصار، وهم الذين بايعوا النبي ﷺ قبل أن يهاجر إليهم إلى المدينة بيعة العقبة الأولى والثانية.

وكانت بيعة العقبة الأولى في السنة الحادية عشرة من البعثة، وكان عدد المشتركين فيها سبعة أفراد.

أما بيعة العقبة الثانية فكانت في السنة الثانية عشرة من البعثة، وكان عدد المشركين فيها سبعين رجلا وامر أتين.

ثم يلي هؤلاء أولئك المؤمنون من أهل المدينة الذين دخلوا في الإسلام على يد مصعب بن عمير، قبل وصول الرسول ﷺ إليها.

ثم يلي هؤلاء جميعا أولئك الذين آمنوا بالنبي ﷺ بعد مقدمه إلى المدينة.

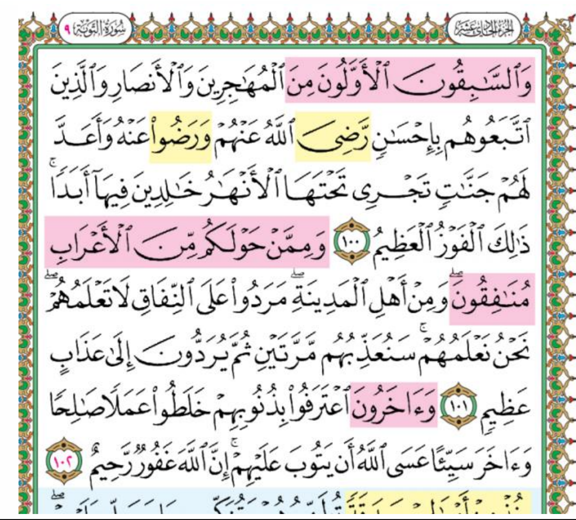
والطائفة الثالثة: «الذين اتبعوهم بإحسان» أى: الذين اتبعوا السابقين في الإسلام من المهاجرين والأنصار، اتباعا حسنا في أقوالهم وأعمالهم وجهادهم ونصرتهم لدعوة الحق.

روى عن حميد بن زياد قال: قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي، ألا تخبرني عن الصحابة فيما كان بينهم من الفتن؟ فقال لي: إن الله- تعالى- قد غفر لجميعهم، وأوجب لهم الجنة في كتابه، محسنهم ومسيئهم، فقلت له: وفي أى موضع أوجب لهم الجنة، فقال: سبحان الله!! ألم تقرأ قوله. تعالى:- وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ.. الآية فقد أوجب. سبحانه لجميع الصحابة الجنة وشرط على تابعيهم أن يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة وألا يقولوا فيهم إلا حسنا لا سوءا.. . قوله: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ بيان لسمو منزلتهم، وارتفاع مكانتهم.

أى: رضى الله عنهم في إيمانهم وإخلاصهم، فتقبل أعمالهم، ورفع درجاتهم وتجاوز عن زلاتهم، ورضوا عنه، بما أسبغه عليهم من نعم جليلة، وبما نالوه منه. سبحانه. من هداية وثواب.

قال الإمام ابن كثير: أخبر الله- تعالى- في هذه الآية «أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصاروالذين اتبعوهم بإحسان. فيا ويل من أبغضهم، أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول، وخيرهم و أفضلهم أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبى قحافة، فإن الطائفة المخذولة من الر افضة يعادون أفضل الصحابة، ويبغضونهم ويسبونهم، عياذا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم؟

وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن ﷺ، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالى الله، ويعادون من يعادى الله، وهم متبعون لا مبتدعون، وهؤلاء هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون



100	*وبعد هذا التقسيم للأعراب، انتقلت السورة للحديث عن المؤمنين الصادقين الذين وقفوا إلى جانب الرسول ﷺ، وأطاعوه في السروالعلن *لمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى **فضائِلَ الأعرابِ** الذين يتَّخِذونَ ما يُنفِقونَ قُرباتٍ عند اللهِ وصَلَواتِ الرَّسولِ، وما أعَدَّ لهم مِن الثَّوابِ؛ **بيَّنَ أنَّ فوقَ مَنزلتِهم منازِلَ أعلى وأعظَمَ منها، وهي منازِلُ السَّابقينَ الأوَّلينَ ، فعقَّب بذِكرِ القُدوةِ الصَّالحةِ والمَثَلِ الكامِلِ في الإيمانِ والفَضائِلِ، والنُّصرةِ في سَبيلِ اللهِ؛** لِيَحتَذيَ متطلِّبُ الصَّلاحِ حَذْوَهم، ولئلَّا يخلوَ تقسيمُ القبائِلِ السَّاكنةِ بالمَدينةِ وحَوالَيها وبَواديها، عن ذِكرِ أفضَلِ الأقسامِ تَنويهًا به، وبهذا تمَّ استقراءُ الفِرَقِ وأحوالِها.-المحرر- *ثم ختم سبحانه الآية الكريمة ببيان ما هيأه لهم في الآخرة من إكرام فقال: وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ.-الوسيط-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

100-لا بدَّ لِمَن يدَّعي اتِّباعَ الصحابة الكرام أن يأتيَ بدلائلَ على دعواه، من محبَّتهم والترضِّي عنهم وانتهاج نهجهم.

***طوبى لمن أخبرَ اللهُ أنه راضٍ عنه، فإنه من أهل الجنة، وهل يُثني اللهُ على قوم ويمدحُهم، ويُخبِرُ عن رضاه عنهم إلا وهو يريدُ كرامتهم؟**

***-التابعون بإحسانٍ لِما كان عليه الصحابةُ الكرامُ هم السعداء، فمَن رضيَ اللهُ عنه صارَ أهلًا للاقتداء.**

الرضا بالله تبارك وتعالى، وطلبُ مرضاته هو من أعظم أسباب الفوز العظيم بما عنده سبحانه من الإكرام والإنعام.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

١٠٠←(٣)→١٠٢
بعدَ أن ذكرَ اللهُ فضائلَ قومٍ من الأعرابِ ذكرَ هنا فضائلَ قومٍ أعلى منهم منزلةً، وهم السابقونَ الأولونَ، ثُمَّ العودةُ لذمِّ المنافقينَ، ثم بَيَّنَ حال الَّذينَ تأخَّروا عنِ الجهادِ كَسَلًا وأقروا بذلك وندموا.

101 **لَمَّا استوفى الأقسامَ الأربعةَ: قِسمَي الحضَرِ وقِسمَي البَدوِ**، ثمَّ خلَطَ بين قِسمَينِ منهم تشريفًا للسَّابقِ، وترغيبًا للَّاحقِ؛ **خلط بين الجميع على وجهٍ آخَر، ثم ذكر منهم فِرَقًا**؛ منهم مَن نجَّزَ الحكم بجزائِه بإصرارٍ أو مَتابٍ. ومنهم من أخَّرَ أمْرَه إلى يومِ الحسابِ، وابتدأ الأقسامَ بالمستورين الذين لا يعلمُهم النبيُّ ﷺ؛ ليَعلمَ أهلُ ذلك القِسمِ أنَّه- سُبحانه- عالمٌ بالخفايا، فلا يزالوا أذلَّاءَ؛ خوفًا ممَّا هدَّدَهم به .-البقاعي-

وأيضًا بعدَ أن بيَّنَ تعالى حالَ كَمَلَةِ المؤمنينَ كُلِّهم؛ قفَّى عليه بذِكرِ مَرَدَةِ المُنافِقينَ مِن أهلِ البَدوِ والحَضَرِ، وعطَفَهم عليهم من بابِ عَطفِ الضِّدِّ على الضِّدِّ .-المنار-

*ثم ذكر بعدهم حال طائفة من المنافقين هى شر الجميع مرنت على النفاق وحذقت فنونه، وحال طائفة أخرى خلطت سيىء العمل بأحسنه، وهؤلاء يرجى لهم التوبة والغفران من ربهم.-المراغي-

102 **لَمَّا بيَّن تعالى حالَ المنافقينَ المتخلِّفينَ عنِ الغُزاةِ**؛ رغبةً عنها، وتكذيبًا وشكًّا؛ شرَعَ في بيانِ حالِ المذنبينَ الَّذينَ تأخَّروا عنِ الجهادِ كسَلًا وميلًا إلى الرَّاحَةِ، مع إيمانِهم وتصديقِهم بالحَقِّ.-ابن كثير-

*قال الآلوسى: قوله: وآخرون اعترفوا بذنوبهم ... بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في أمر الدين، ولم يكونوا منافقين على الصحيح. وقيل هم طائفة من المنافقين إلا أنهم وفقوا للتوبة فتاب الله عليهم .

تفسير السعدي:

يقول تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) أيضا منافقون (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أي: تمرنوا عليه، واستمروا وازدادوا فيه طغيانا. (لا تَعْلَمُهُمْ) بأعيانهم فتعاقبهم، أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما لله في ذلك من الحكمة الباهرة.

(نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) يحتمل أن التثنية على بابها، وأن عذابهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

ففي الدنيا ما ينالهم من الهم والحزن ، والكراهة لما يصيب المؤمنين من الفتح والنصر، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

ويحتمل أن المراد سنغلظ عليهم العذاب، ونضاعفه عليهم ونكرره.

*يقول تعالى: (وَآخَرُونَ) ممن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد الإسلامية، (اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) أي: أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها.

(خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) ولا يكون العمل صالحا إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر الله لهم، فهؤلاء (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وتوبته على عبده نوعان:

الأول: التوفيق للتوبة. والثاني: قبولها بعد وقوعها منهم.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي: وصفه المغفرة والرحمة اللتان لا يخلو مخلوق منهما، بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة. (إن اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) .

ومن مغفرته أن المسرفين على أنفسهم الذين قطعوا أعمارهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا ولو قبيل موتهم بأقل القليل، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية، دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحا، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب.

وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرا على الذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف.

وقفات ولطائف: عن سَمُرَةَ بنِ جُندَبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لنا: ((أتاني الليلةَ آتيانِ فابتَعَثاني، فانتهَينا إلى مدينةٍ مَبنيَّةٍ بلَبِنِ ذَهَبٍ، ولَبِنِ فِضَّةٍ، فتلقَّانا رجالٌ شَطرٌ من خَلْقِهم كأحسَنِ ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبَحِ ما أنت راءٍ، قالا لهم: اذهَبُوا فقَعُوا في ذلك النَّهرِ، فوَقَعوا فيه، ثُمَّ رَجَعوا إلينا، قد ذهَبَ ذلك السُّوءُ عنهم، فصاروا في أحسَنِ صُورةٍ، قالا لي: هذه جَنَّةُ عَدْنٍ، وهذاك مَنزِلُك، قالا: أمَّا القَومُ الذين كانوا شَطرٌ منهم حَسَنٌ، وشَطرٌ منهم قَبيحٌ، فإنَّهم خَلَطوا عملًا صالحًا وآخَرَ سَيِّئًا، تجاوَزَ اللهُ عنهم)) -البخاري-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

101-إذا ظهر النفاقُ في أرضٍ يتنزَّل فيها وحيُ السماء، ويمشي على ظهرها سيِّدُ الأنبياء، وفي زمانٍ يَسودُ فيه عزُّ الإسلام، فكيف بعد ذلك؟!

- **مهما أحسنَ المنافقُ التخفِّيَ والتلوُّن، فإنه لن يخفى على رب الناس، وسيعذبه أعظم عذاب.**
- **إن الكافر أو المنافق إذا عُذِّب في الدنيا فإنما ذلك مقدِّمة للعذاب العظيم في الآخرة، فإن العذاب الدنيويَّ لا يَدفع عنه العذابَ الأُخرويَّ، ما دام مستمراً على كفره ونفاقه.**
- **102-إذا أطمعَ اللهُ عبدَه بمَطمَعٍ قام على شرطٍ فحقَّقه العبدُ أعطاه اللهُ ما وعده، فإنه لا يُخلفُ وعدَه، ولا أكرمَ منه سبحانه.**
- **لِيعملِ المؤمنُ، وليكن على وجَل، ولا يتَّكِل على عفو اللهِ ورحمته، فإن الله تعالى لا يجبُ عليه لأحدٍ شيءٍ إلا ما أوجبه على نفسه تفضُّلًا وتكرُّمًا.**

وندموا.

١٠٣←(٤)←١٠٦

لَمَّا ندموا وكان سببُ التخلُّفِ حُبَّهم للأموالِ، فكأنَّه قِيلَ لهم: إنَّما يَظهرُ صِحَّةُ قَولِكم في ادِّعاءِ هذه التَّوبةِ لو أخرَجتُم الزَّكاةَ الواجِبةَ، ثُمَّ أمرُهم بالعمَلِ، ثم ذَكَرَ قومًا آخرينَ مُؤخَّرًا حُكمُهم.

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾

٢٠٣

١٠١- ﴿مَرَدُواْ﴾: لَجُّوا فِيهِ، وَاستَمَرُّوا عَلَيهِ، ١٠٣- ☑ ﴿وَصَلِّ﴾: الصَّلاةُ هنا بالمَعنَى اللُّغويِّ: الدُّعاءُ؛ ليسَتْ بمعناهَا الشَّرعِي،
١٠٦- ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾: مُؤَخَّرونَ، وليس من الرَّجاءِ.
(١٠٢) ﴿ٱعۡتَرَفُواْ﴾ اعترِفْ بذنوبِكَ ليغفرَهَا لك.
(١٠٣) ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ شرَعَها من أجلِكَ أنتَ أولًا قبل الفقراءِ، لتغتسِلَ بها من هُمُومِكَ.
(١٠٤) ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وأنت تتصدَّقُ: لا تنظرْ بعينِكَ للفقيرِ الذي يمسكُها، بل انظرْ بقلبِكَ إلى اللهِ الّذي يأخذُها. ١٠٤: الشورى [٢٥]، ١٠٥: التوبة [٩٤].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
103	**أنَّهم لَمَّا أظهَروا التَّوبةَ والنَّدامةَ، عن تخلُّفِهم عن غزوةِ تَبوكَ**، وهم أقَرُّوا بأنَّ السَّبَبَ الموجِبَ لذلك التخَلُّفِ حُبُّهم للأموالِ، وشِدَّةُ حِرصِهم على صَونِها عن الإنفاقِ، فكأنَّه قيل لهم: إنَّما يظهرُ صِحَّةُ قَولِكم في ادِّعاءِ هذه التَّوبةِ والنَّدامةِ، لو أخرَجتُم الزَّكاةَ الواجِبةَ، ولم تُضايقوا فيها؛ لأنَّ الدَّعوى لا تتقرَّرُ إلَّا بالمعنى، وعند الامتحانِ يُكرَمُ الرَّجُلُ أو يهانُ؛ فإن أدَّوا تلك الزَّكَواتِ عن طِيبةِ النَّفسِ، ظهَرَكَونُهم صادقينَ في تلك التَّوبةِ والإنابةِ، وإلَّا فهم كاذِبونَ مُزَوِّرونَ بهذا الطَّريقِ. -الرازي- و أيضًا **لَمَّا كان مِن شَرطِ التَّوبةِ تَدارُكُ ما يمكِنُ تَدارُكه ممَّا فات، وكان التخلُّفُ عن الغَزوِ مُشتَمِلًا على أمرينِ، هما: عدمُ المُشاركةِ في الجهادِ، وعَدَمُ إنفاقِ المالِ في الجهادِ؛ جاء في هذه الآيةِ إرشادٌ لِطَريقِ تَدارُكِهم ما يمكِنُ تَدارُكُه ممَّا فات**، وهو: نفعُ المُسلمينَ بالمالِ.-ابن عاشور-

تفسير السعدي:

قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه، آمرا له بما يطهر المؤمنين، ويتمم إيمانهم: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) وهي الزكاة المفروضة، (تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

(وَتُزَكِّيهِمْ) أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم.

(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) أي: ادع لهم، أي: للمؤمنين عموما وخصوصا عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم.

(إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) أي: طمأنينة لقلوبهم، واستبشارلهم، (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لدعائك، سمع إجابة وقبول.

(عَلِيمٌ) بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدرنيته، فكان النبي ﷺ يمتثل لأمر الله، ويأمرهم بالصدقة، ويبعث عماله لجبايتها، فإذا أتاه أحد بصدقته دعا له وبرّك.

ففي هذه الآية، دلالة على وجوب الزكاة، في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمى ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب الله فيها من الزكاة.

وما عدا أموال التجارة، فإن كان المال ينمى، كالحبوب، والثمار، والماشية المتخذة للنماء والدروالنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للقنية، لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة، مالا يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، و إنما صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهرويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، و أنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها.

وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أونائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي، أن يكون جهرا، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرورعلى المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه. و أنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملا صالحا بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

103-إذا كانتِ الصدقةُ أوساخَ الناسِ فإن في أخذها من المتصدِّقِ تطهيرًا له من تلك الأوساخ، وتزكيةً له ليبلغ الكمالات. من رحمة اللّه تعالى بعبده أن جعل له من أعماله الصالحة ما تُمحى به أعمالُه السيِّئة، فمَن تدنَّس بذنبٍ فعليه المبادرةُ إلى عملٍ صالحٍ يمحوه؛ فالحسنات يُذهِبنَ السيِّئات.

من الأخلاق الحسنة: أن تشجِّعَ العاملين للطاعات، فلو رأيتَ مُنفقًا فاجعل له من دعائك نصيبًا، لعلَّه يستمرُّ على طاعته. ما أبردَها على الكبدِ، وأطيبَها في النفس أن تُدخلَ السرورَ على قلب أخيك بكلمة حسنة طيِّبة!

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦

٢٠٣

وندموا.

١٠٣→(٤)←١٠٦

لَمَّا ندموا وكان سببُ التخلُّفِ حُبَّهم للأموالِ، فكأنَّه قِيلَ لهم: إنَّما يَظْهرُ صِحَّةُ قَولِكم في ادِّعاءِ هذه التَّوبةِ لو أخرَجتُم الزَّكاةَ الواجِبةَ، ثُمَّ أمرُهم بالعمَلِ، ثم ذَكَرَ قومًا آخرينَ مُؤخَّرًا حُكمُهم.

١٠١- ﴿مَرَدُواْ﴾: لَجُّوا فِيه، وَاستَمَرُّوا عَلَيه، ١٠٣- ☑ ﴿وَصَلِّ﴾: الصَّلاةُ هنا بالمعَنَى اللُّغويِّ: الدُّعاءُ؛ ليسَتْ بمعناهَا الشَّرعِي،
١٠٦- ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾: مُؤَخَّرُونَ، وليس من الرَّجَاءِ.
(١٠٢) ﴿ٱعۡتَرَفُواْ﴾ اعترِفْ بذنوبِكَ ليغفرَهَا لك.
(١٠٣) ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ شرَعَها من أجلِكَ أنتَ أولًا قبل الفقراءِ، لتغتسِلَ بها من هُمُومِكَ.
(١٠٤) ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وأنت تتصدَّقُ: لا تنظُرْ بعينِكَ للفقيرِ الذي يمسُكُها، بل انظُرْ بقلبِكَ إلى اللهِ الَّذي يأخُذُها. ١٠٤: الشورى [٢٥]، ١٠٥: التوبة [٩٤].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
104	*ثم حرضهم- سبحانه- على التوبة النصوح، وحثهم على بذل الصدقات .-الوسيط- *لَمَّا حكى اللهُ تعالى عن القومِ الذينَ تقَدَّمَ ذِكرُهم أنَّهم تابوا عن ذُنوبِهم، وأنَّهم تصَدَّقوا، وهناك لم يُذكَرْ إلَّا قولُه: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وما كان ذلك صريحًا في قَبولِ التَّوبةِ؛ ذكَرَ في هذه الآيةِ أنَّه يقبَلُ التَّوبةَ، وأنَّه يأخُذُ الصَّدَقاتِ، والمقصودُ ترغيبُ مَن لم يتُبْ في التوبةِ، وترغيبُ كلِّ العُصاةِ في الطاعةِ .-الرازي-

تفسير السعدي:

أي: أما علموا سعة رحمة الله وعموم كرمه وأنه (يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح يقدر.

(وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) منهم أي: يقبلها، ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدهم كما يربي الرجل فلوه، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك.

(وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ) أي: كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه [المعصية] مرارا. ولا يمل الله من التوبة على عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه، وموالاتهم عدوهم.

(الرَّحِيمُ) الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله.

وقفات ولطائف:

104-عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يقبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أمَرَ المؤمنينَ بما أمَرَ به المُرسَلينَ، فقال: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [المؤمنون: 51]، وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة: 172] ثمَّ ذكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أشعَثَ أغبَرَ، يمُدُّ يَدَيه إلى السَّماءِ: يا ربِّ، يا ربِّ، ومَطعَمُه حَرامٌ، ومَشرَبُه حرامٌ، ومَلبَسُه حَرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ، فأنَّى يُستجابُ لذلك؟!)) .-رواه مسلم-

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ما تصدَّقَ أحدٌ بصدقةٍ من طيِّبٍ -ولا يقبلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ- إلَّا أخَذَها الرَّحمنُ بيَمينِه، وإن كانت تَمرةً، فتَربُو في كفِّ الرَّحمنِ حتى تكونَ أعظمَ من الجبلِ، كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه أو فصيلَه) .رواه البخاري ومسلم

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

104-ليس قَبولُ التوبةِ بيد أحدٍ من الخلق، وإنما هي بيد الخالق تعالى، فلا تطلبها إلا منه، ولا تقصِد بها سواه.
ما أشرفَ طاعةَ الصدقةِ بين الطاعات! يأخذُها اللّه تعالى، ويأمرُ رسولَه الكريم ﷺ بأخذها.
لِيَجِدَّ المذنبون في الأوبة، وليستبشرِ التائبون بربٍّ كريم كثير التوبة، عظيمِ الرحمة، جلَّ شأنه.

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

٢٠٣

وندموا.
١٠٣→(٤)←١٠٦
لَمَّا ندموا وكان سببُ التخلُّفِ حُبَّهم للأموالِ، فكأنَّه قِيلَ لهم: إنَّما يَظْهرُ صِحَّةُ قَولِكم في ادِّعاءِ هذه التَّوبةِ لو أخرَجتُم الزَّكاةَ الواجِبةَ، ثُمَّ أمرُهم بالعمَلِ، ثم ذَكَرَ قومًا آخرينَ مُؤخَّرًا حُكمُهم.

١٠١- ﴿مَرَدُواْ﴾: لَجُّوا فيه، وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْه، ١٠٣- ☑ ﴿وَصَلِّ﴾: الصَّلاةُ هنا بالمعَنى اللُّغويِّ: الدُّعاءُ؛ ليسَتْ بمعناهَا الشَّرعِي،
١٠٦- ﴿مُرْجَوْنَ﴾: مُؤَخَّرُونَ، وليس من الرَّجَاءِ.
(١٠٢) ﴿ٱعْتَرَفُواْ﴾ اعترِف بذنوبِكَ ليغفرَهَا لكَ.
(١٠٣) ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ شرَعَها من أجلِكَ أنتَ أولًا قبل الفقراءِ، لتغتسِلَ بها من هُمومِكَ.
(١٠٤) ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وأنت تتصدَّقُ: لا تنظُرْ بعينِكَ للفقيرِ الذي يمسُكُها، بل انظُرْ بقلبِكَ إلى اللهِ الَّذي يأخذُها. ١٠٤: الشورى [٢٥]، ١٠٥: التوبة [٩٤].

105	*ثم أمر- سبحانه- بالتزود من العمل الصالح، وحذر من الوقوع في العمل السيئ، فقال- تعالى-: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ. أى: وقل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء التائبين وغيرهم، قل لهم: اعملوا ما تشاءون من الأعمال، فإن الله مطلع عليها، وسيطلع رسوله والمؤمنون عليها كذلك. وخص- سبحانه- رسوله والمؤمنين بالذكر، لأنهم هم الذين يهتم المخاطبون باطلاعهم. -الوسيط- قال الآلوسى ما ملخصه: وقوله: فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ... تعليل لما قبله، أو تأكيد لما يستفاد منه من الترغيب والترهيب، والسين للتأكيد.. والمراد من رؤية الله العمل- عند جمع- الاطلاع عليه، وعلمه علما جليا، ونسبة ذلك للرسول ﷺ والمؤمنين، باعتبار أن الله- تعالى- لا يخفى ذلك عنهم، بل يطلعهم عليه ... » *لَمَّا قال تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ الذي هو في قُوَّةِ إخبارهم بأنَّ اللهَ يقبَلُ التَّوبةَ، وكانت التَّوبةُ تَرفَعُ المؤاخذةَ بما مضى؛ أُمِروا بالعمَلِ عَقِبَ الإعلامِ بقَبولِ تَوبتِهم؛ لأنَّهم لَمَّا قُبِلَت توبتُهم، كان حقًّا عليهم أن يَدُلُّوا على صِدقِ توبتِهم، وفَرطِ رَغبتِهم في الارتقاءِ إلى مراتِبِ الكمالِ؛ حتى يَلحَقوا بالذينَ سَبقوهم، وذلك بالزيادةِ مِن الأعمالِ الصَّالحةِ؛ لجَبرِ ما فات من الأوقاتِ التي كانت حقيقةً بأن تُعمَرَ بالحَسَناتِ، فعُمِرَت بالسَّيِّئاتِ.-المحرر-
106	أنَّ هذا فريقٌ آخَرُ عُطِفَ خَبَرُه على خبَرِ الفِرَقِ الآخَرين، والمرادُ بهؤلاءِ مَن بَقِيَ من المخَلَّفينَ لم يتُبِ اللهُ عليه، وكان أمْرُهم موقوفًا إلى أن يقضِيَ اللهُ بما يشاءُ.-ابن عاشور-

تفسير السعدي:

يقول تعالى: (وَقُلْ) لهؤلاء المنافقين: (اعْمَلُوا) ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك، سيخفى.

(فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) أي: لا بد أن يتبين عملكم ويتضح، (وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) **من خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطغيانه وغيه وعصيانه.**

ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أو شر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة.

وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106) .

أي: (وَآخَرُونَ) من المخلفين مؤخرون (لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) ففي هذا التخويف الشديد للمتخلفين، والحث لهم على التوبة والندم.

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأحوال العباد ونياتهم (حَكِيمٌ) يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، **فإن اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم، وإن اقتضت حكمته أن يخذلهم ولا يوفقهم للتوبة، فعل ذلك.**

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):.

-105التوبة الصادقةُ يدلُّ عليها الإقبالُ على العمل الصالح مُصدِّقًا تلك المشاعر.

***سطِّر في كتابِ عملك أحسنَ الأعمالِ؛ فإنك على موعدٍ بمقابلةِ ذي الجلال، وستقرأُ كتابك، وتُحاسب على ما فيه.**

106 تخويفُ اللّهِ لعباده يحملُهم على المبادرة إلى التوبة، وإطماعُه إياهم بها يرقّقُ قلوبَهم شوقًا لدار الكرامة التي أُخرجوا منها.

اللّه سبحانه يعلَمُ ما يليقُ بعباده من التوبة أو التعذيب، ويُحكِمُ تقديرَه حين تتعلَّق به إرادتُه.

الجزء الحادي عشر — سورة التوبة ٩

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٧←(٤)←١١٠
العودةُ لبيانِ قبائحِ المنافقينَ وقصَّةِ مسجدِ الضِّرارِ الذي بناه المنافقونَ قبلَ تبُوك ليكونَ وكرًا للتآمرِ على الإسلام والمسلمين، فجاءتْ الآياتُ تفضَحُهم وتُبيِّنُ فضلَ مسجدِ قُباءٍ.

١١١←(١)←١١١
بعد أن بيَّنَ اللهُ

107	*لما ذكر سبحانه أصناف المنافقين وبين طرائقهم المختلفة، عطف على ما سبق هذه الطائفة منهم، وهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً. –القنوجي- *ما زال السياق في فضح المنافقين وإغلاق أبواب النفاق في وجوههم حتى يتوبوا إلى الله تعالى أويهلكوا وهم كافرون فقال تعالى ذاكراً فريقاً منهم.-الجزائري- *أنَّ الله تعالى لَمَّا ذكَرطرائقَ ذَميمةً لأصنافِ المُنافِقينَ أقوالًا و أفعالًا؛ ذكَرَأنَّ منهم من بالغَ في الشَّرِّ حتى ابتَنى مَجمعًا للمُنافِقينَ، يُدبِّرونَ فيه ما شاؤُوا من الشَّرِّ، وسَمَّوه مَسجِدًا-أبو حيان- *فأنت ترى أن هذه الآية الكريمة، قد ذكرت أربعة من الأغراض الخبيثة التي حملت المنافقين على بناء هذا المسجد، وهي: مضارة المؤمنين، وتقوية الكفر، وتفريق كلمة أهل الحق وجعله معقلا لالتقاء المحاربين لله ولرسوله. وقد خيب الله تعالى مسعاهم و أبطل كيدهم، بأن أمرنبيه ﷺ بهدمه وإزالته.-الوسيط-
108	*ثم ذكر الله سبحانه علة النهي عن القيام بقوله (لمسجد أسس على التقوى) .-القنوجي-

تفسير السعدي:

كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصنا عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي: إعدادا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: إعانة للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبدا في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول الله ﷺ.

فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وممالأة، هو والمنافقون. فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مزبلة.

قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ في بنائنا إياه ﴿إِلَّا الْحُسْنَى﴾ أي: الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: لا تصل في ذلك المسجد الذي بني ضرارا أبدا. فالله يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه.

[لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ] ظهر فيه الإسلام في "قباء" وهو مسجد "قباء" أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديما في هذا عريقا فيه، فهذا المسجد الفاضل [أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ] وتتعبد، وتذكر الله تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله: [فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا] من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات والأحداث.

ومن المعلوم أن من أحب شيئا لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول الله ﷺ وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ورسوله.

وسألهم النبي ﷺ بعد ما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحمدهم على صنيعهم.

[وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ] الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث

وقفات ولطائف:.عن أبي سعيدٍ أيضًا قال: ((امترَى رجلٌ مِن بني خدرةَ، ورجلٌ مِن بني عمرِو بنِ عوفٍ في المسجدِ الذي أُسِّسَ على التقوَى، فقال الخدريُّ: هو مسجدُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وقال الآخرُ: هو مسجدُ قباء، فأتيا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في ذلك، فقال هو هذا- يعني مسجدَه- وفي ذلك خيرٌكثيرٌ) .-صححه الألباني-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **107-بُني مسجدُ الضرار للمُضارَّة لا للنفع، وللكفر لا للإيمان، ولإيواء مَن حارب اللّهَ ورسولَه لا لدعوة من آمن باللّه ورسوله، وهذه المقاصدُ من أعظم مقاصد المنافقين تُجاه المجتمع المسلم.**
- **المَقصِد الأكبرُ من الجماعة تأليفُ القلوبِ على الطاعة، حتى يقعَ الأُنسُ بالمخالطة، وتصفوَ القلوبُ من الأحقاد، فلذلك يسعى المنافقون لتحطيم هذا البناء.**
- **كم من نشاطاتٍ ولافتات باسم الدين وهي في حقيقتها تَرميه! وكم من تشكيلاتٍ وتنظيمات وكتُب وبحوث تَظهر باسم الإسلام وهي تنوي هدمَه!**
- **108-إن العملَ وإن كان ظاهرُه فاضلًا فإن النيةَ الفاسدةَ تُغيِّره، فيغدو مَنهيًّا عنه.**
- **كلُّ شيءٍ يحصُل به التفريقُ بين المؤمنين فإنه معصيةٌ يجب تركُها.**
- **قد أثَّرتِ المعصيةُ على مكانٍ فنُهيَ عن القيامِ بالعبادة فيه، في حين أثَّرت الطاعةُ على مكانِ قباءٍ فأُمرَ بالقيامِ فيه.**
- **حين يَبعثُ حُبُّ الطهارةِ على التطهُّر، فيصيرُ للمرء خلقًا، فإنه يفعلُه من تلقاءِ نفسه، وإن لم يُطلب منه، ومن أحبَّ طاعة للّه وواظب عليها جنى بذلك حبَّ اللّهِ له.**
- **موافقةُ اللّه في حُبِّه من دلائل زكاءِ النفوس. *ما من نفسٍ سويةٍ إلا كانت تكاليفُ الشريعةِ محبَّبةً لها.**

قال الإمام ابن كثير: سبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها، رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه وصار للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز العداوة، وظاهر بها، وخرج فارا إلى كفار مكة ليمالئهم على حرب المسلمين فاجتمعوا بمن و افقهم من أحياء العرب، وقدموا عام «أحد» فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله- تعالى- وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ وأصيب في ذلك اليوم، فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى وشج رأسه. وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم، واستمالهم إلى نصره ومو افقته. فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله لك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه.

وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره- إلى مكة- وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد. فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدا طريدا فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من «أحد» ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومناه، و أقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم، أنه سيقدم بجيش ليقاتل به النبي ﷺ ويغلبه، ويرده عما هو فيه. وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصدا له إذا قدم عليه بعد ذلك.

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوه أن يأتى إليهم فيصلى في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره و إثباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم، وأهل العلة في الليلة الشاتية!! فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «إنا على سفر ولكنا إذا رجعنا- إن شاء الله- أتيناكم فصلينا لكم فيه» .

فلما قفل راجعا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر، والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم. مسجد قباء. الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله ﷺ إلى مسجد الضرار من هدمه قبل مقدمه إلى المدينة

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٧→(٤)←١١٠

العودةُ لبيانِ قبائحِ المنافقينَ وقصَّةِ مسجدِ الضِّرارِ الذي بناه المنافقونَ قبلَ تبُوك ليكونَ وكرًا للتآمُرِ على الإسلامِ والمسلمينَ، فجاءتْ الآياتُ تفضَحُهم وتُبيِّنُ فضْلَ مسجدِ قُباءِ.

١١١→(١)←١١١

بعد أن بَيَّنَ اللهُ

109	*ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه .-السعدي- *أنَّ هذا بيانٌ مُستأنَفٌ للفرقِ بين أهلِ المَسجِدَينِ في مقاصِدِهما منهما: أهلِ مسجدِ الضِّرارِ الذينَ زادوا به رِجسًا إلى رِجسِهم، وأهلِ مَسجِدِ التَّقوى، وهم الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم و أنصارُه الذين يحبُّونَ أكمَلَ الطَّهارةِ لِظاهِرِهم وباطِنِهم، فاستفادوا بذلك محبَّةَ الله لهم .-المنار- و أيضا هي تفريعٌ على قَولِه تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ: **لزيادةِ بَيانِ أحقيَّةِ المسجِدِ المؤسَّسِ على التَّقوى بالصَّلاةِ فيه**، وبيانِ أنَّ تَفضيلَ ذلك المسجِدِ في أنَّه حقيقٌ بالصَّلاةِ فيه تفضيلٌ مَسلوبُ المُشارَكةِ؛ لأنَّ مَسجِدَ الضِّرارِليس حقيقًا بالصَّلاةِ فيه بعدَ النَّهيِ؛ لأنَّ صَلاةَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لو وقعَتْ لأكسَبَت مقصِدَ واضِعيه رَواجًا بين الأمَّةِ، وهو غَرَضُهم: التَّفريقُ بين جماعاتِ المُسلِمين.-ابن عاشور-
110	*ولَمّا كانَ ما تَقدَّمَ غَيْرَقاطِعٍ في إخْرابِهِ لِما ثَبَتَ لِلْمَساجِدِ مِنَ الحُرْمَةِ، اسْتَأْنَفَ الإخْبارَعَنْ أنَّهُ **لا يُعَدُّ في عِدادِ المَساجِدِ بِوَجْهٍ، وإنَّما هو في عِدادِ بُيُوتِ الأصْنامِ فَهوواجِبُ الإعْدامِ** .-البقاعي-

تفسير السعدي:

ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه فقال: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾ أي: على نية صالحة وإخلاص ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بأن كان موافقا لأمره، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا﴾ أي: على طرف ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾ أي: بال، قد تداعى للانهدام، ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لما فيه مصالح دينهم ودنياهم.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: شكا، وريبا ماكثا في قلوبهم، ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو الله عنهم، وإلا فبنيانهم لا يزيدهم إلا ريبا إلى ريبهم، ونفاقا إلى نفاقهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بجميع الأشياء، ظاهرها، وباطنها، خفيها وجليها، وبما أسره العباد، وأعلنوه.

﴿حَكِيمٌ﴾ لا يفعل ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فللّه الحمد .

وفي هذه الآيات فوائد عدة:

منها: أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، و أنه يجب هدم مسجد الضرار، الذي اطلع على مقصود أصحابه.

ومنها: أن العمل وإن كان فاضلا تغيره النية، فينقلب منهيا عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

ومنها: أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها.

كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين و ائتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله.

ومنها: النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها.

ومنها: أن المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد " قباء" حتى قال الله فيه:﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ .

ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان ﷺ يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه.

وقفات ولطائف:

109- ***وخلاصة المثل*-** بيان ثبات الإسلام وقوته وسعادة أهله به وثمرته فى أعمالهم وجزائهم عليه برضوان الله عنهم، وبيان ضعف الباطل واضمحلاله ووهيه وقرب زواله وخيبة صاحبه وسرعة انقطاع آماله، وبيان أن شر أعمال أهله المنافقين، ما اتخذوه من مسجد الضرار لمفاسده الأربع المتقدمة.-المراغي-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

109-العمل المبنيُّ على التقوى والإخلاص والمتابعة، هو الذي يبقى وينفعُ صاحبَه عند اللّه تعالى.

- **المقاصد والنِّيات تُميِّزُ الأعمالَ فتحكمُ عليها بالصِّحة أو الفساد.**
- **كيف لعملٍ أُسِّسَ على غير تقوى من اللّه تعالى أن يَبقى أو ينفعَ في الآخرة فاعلَه؟!**
- **لا يوفِّق اللّه للرشاد في أفعاله، مَن كان بانيًا بناءه في غير حقِّه وموضعه، ومَن كان منافقًا مخالفًا بفعله أمرَ اللّه وأمرَ رسوله.**

110-مبادئُ الشرور إن استحكمَت أهلكت، فأعمالُ الباطل لا تزال تزيد صاحبَها ريبةً في الحقِّ، حتى تُرديَه في أودية الضلال السحيقة.

- **اللّه عليمٌ بأعمال خلقِه، حكيمٌ في مجازاتهم عنها من خير أو شرٍّ، ومن حكمته تعالى أنه بيَّن حالَ المنافقين، وأظهرَ ما خفيَ من أمرهم.**

فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾
۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

ربع الحزب ٢١

١١١←(١)→١١١
بعد أن بَيَّنَ اللهُ فضائحَ المنافقين وقبائِحَهم وتخلفَهم عن غزوةِ تَبُوك، ذكرَ هنا جهادَ المؤمنين، وأنَّه تعالى اشترَى منهم أنفُسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنَّة، =

١٠٧- ﴿ضِرَارًا﴾: مُضَارَّةً لِلْمُؤمِنِين، ﴿وَإِرْصَادًا﴾: انْتِظَارًا، ١٠٩- ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾: حُفْرَةٍ مُتَدَاعِيَةٍ لِلسُّقُوط.

(١٠٧) ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ...﴾ لا تنخدعْ بالمنافقِ ولو بنى مسجدًا.
(١٠٨) ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا تكن عونًا لمن يُريدُ تمزيقَ شملِ الأمّةِ.
(١٠٨) ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ إذا أردتَ أن تطهِّرَ قلبَكَ اجلس في المسجد واذكرْ ربَّك.
(١١١) ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ خلق أنفسهم، ووهب لهم الأموال، ثُمَّ اشتراها منهم بأغلى الأثمانِ، ما أكرمَ الله. ١٠٨: البقرة [٢٢٢].

111

*لَمَّا شرَعَ اللّهُ تعالى في شَرحِ فضائِحِ المُنافِقينَ وقبائحِهم؛ لسَبَبِ تخلُّفِهم عن غزوةِ تَبوكَ، فلمَّا تمَّم ذلك الشَّرحَ والبيانَ، وذكَرَ أقسامَهم، وفرَّعَ على كلِّ قِسمٍ ما كان لائقًا به- عاد إلى بيانِ فضيلةِ الجهادِ وحقيقتِه. -الرازي-

*وأيضًا أنَّه لَمَّا تقدَّمَ الإنكارُ على المُتثاقِلينَ عن النَّفْرِ في سبيلِ اللّهِ، في قَولِه تعالى: مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثمَّ الحَزمُ بالجهادِ بالنَّفسِ والمالِ، في قَولِه تعالى: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا- ذكَرَ فضيلةَ الجهادِ وحقيقتَه. -الشربيني-

وأيضًا فهذه الآيةُ والتي بعدَها في بيانِ حالِ المُؤمنينَ حقَّ الإيمانِ، البالغينَ فيه ما هو غايةٌ له مِن الكَمالِ؛ وُضِعَتا بعد بيانِ حالِ المُنافِقينَ، وأصنافِ المُؤمنينَ المقصِّرين، ومنهما تُعرَفُ جميعُ درجاتِ المُسلِمينَ، ولا سيَّما المتخلِّفِينَ عن الجهادِ في سَبيلِ اللهِ. -المنار-

وبعد أن بين - سبحانه - أنواع المتخلفين عن غزوة تبوك، تبع ذلك بالترغيب في الجهاد وفى بيان فضله فقال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الله اشترى.. ﴾.

قال الفخر الرازى :أعلم الله - تعالى - لما شرع في شرح فضائح المنافقين وقبائحهم لسبب تخلفهم عن غزوة تبوك، فلما تمم ذلك الشرح والبيان وذكر أقسامهم وفرع كل قسم ما كان لائقا به، عاد إلى بيان فضيلة الجهاد وحيقته فقال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الله اشترى مِنَ المؤمنين ﴾ الآية.

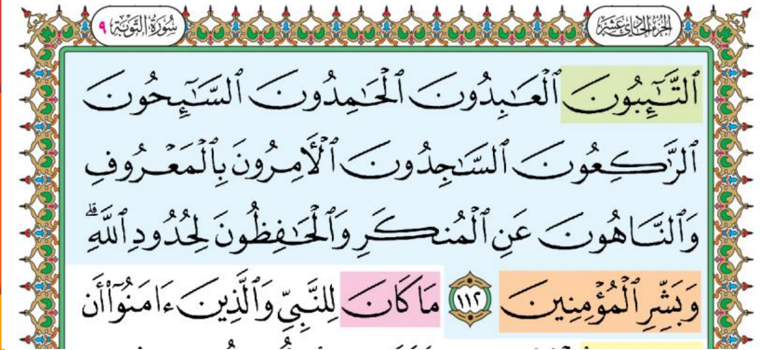
تفسير السعدي:

يخبر تعالى خبرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿اشْتَرَى﴾ بنفسه الكريمة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ فهي المثمن والسلعة المبيعة.
﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات. وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه فـ ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات.
﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.
﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضًا، ويحث بعضكم بعضًا.
﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله ﷻ، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان.
وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق.

وقفات ولطائف: قال القرطبى : " نزلت هذه الآية في البيعة الثانية، وهى بيعة العقبة الكبرى وهى التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، وذلك أنهم اجتمعوا إلى رسول الله - ﷺ - عند العقبة، فقال عبد الله بن رواحة للنبى - ﷺ - :اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال النبى - ﷺ - :أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشكروا به شيئا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا :فإذا فعلنا فمالنا ؟ قال :" لكم الجنة " قالوا :ربح البيع، لا نقيل ولا نستقبل فنزلت هذه الآية ".ثم هي بعد ذلك عامة في كل مجاهد في سبيل الله من أمة محمد - ﷺ إلى يوم القيامة. **فقد صور - سبحانه - جهاد المؤمنين، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه، وإثابته - سبحانه - لهم على ذلك بالجنة، صور كل ذلك بالبيع والشراء** أي :أن الله - تعالى - وهو المالك لكل شئ، قد اشترى من المجاهدين أنسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله، وأعطاهم في مقابل ذلك الجنة. ثم إن لم يقل " بالجنة " بل قل : ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ الجنة ﴾ مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم " فكأنه قيل :بالجنة الثابتة لهم، المختصة بهم.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **ما أحسنَ هذه الصورةَ في الترغيب بالجهاد! فالجهادُ عَقدٌ عاقِدُه اللّه، وثمنُه الجنة، والمعقود عليه القتال في سبيله، والوثيقةُ التي سُجِّل فيها الكتبُ السماوية.**
- **أنَّى لمؤمنٍ صادقٍ أن ينكُثَ بيعةَ اللّه تعالى، فلا يبذُلُ في سبيل جنَّته نفسًا ولا مالًا!**
- **يا أيُّها المؤمنون، استبشروا بهذا العَقد، فإنه عقدٌ كريم لازم، لا يَثبُتُ فيه خِيار، ولا يَعرِضُ له فَسخ.**
- **يا لها من تجارةٍ رابحةٍ لمن باعَ نفسَه ومالَه من الرحمن، ويا لَخسارةٍ من باع منزلَه من الجنة بأبخسِ الأثمان!**
- **إذا كانت النفسُ إلى موت، والمالُ إلى فوت، أفَيَخسرُ مَن يُسلِّمُهما للّه ويحظى بالجنة؟!**
- **تاللّهِ ما هانت الجنَّةُ حتى يستامَها المفلسون، ولا كسَدت فيبيعَها بالنسيئة المُعسرون، فلا ثمنَ لها إلا غالي النفوس.**
- **في خَتم الآية بالبشارة من ربِّ العالمين مزيَّةٌ للمؤمنين، وترغيبٌ لهم في الجهاد، وخَوضِ غَمَراتِ الجِلاد.**



١١٢←(١)←١١٢

= وبيّن هنا صفاتهم (٩ صفات).

١١٦←(٤)←١١٣

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
112	لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ أنَّه اشترَى من المُؤمنينَ أنفُسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنَّةَ؛ بـيَّنَ في هذه الآيةِ أنَّ أولئك المُؤمنينَ هم المَوصوفونَ بهذه الصِّفاتِ الجَميلةِ والخِلالِ الجَليلةِ.-المحرر- * ذكر اللّه- تعالى- في هذه الآية تسعة أوصاف للمؤمنين، الستة الأولى منها تتعلق بمعاملة الخالق، والوصفان السابع والثامن يتعلقان بمعاملة المخلوق، والوصف التاسع يعم القبيلين.

تفسير السعدي:

كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات؟

فقال: هم ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات.

﴿الْعَابِدُونَ﴾ أي: المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين.

﴿الْحَامِدُونَ﴾ لله في السراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل و آناء النهار.

﴿السَّائِحُونَ﴾ فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك.

﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي: المكثرون من الصلاة، المشتملة على الركوع والسجود.

﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات.

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه.

﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلا وتركا.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن. وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، و إيمانهم، قوة، وضعفا، وعملا بمقتضاه.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **لا بدَّ للتائبِ من اشتغالٍ بعملِ الآخرة، وتداركِ ما فرَّط من أعمالها، وأن يحفظَ لحَظاتِه وخُطُواتِه ولَفَظاتِه وخَطَراتِه.**
- **استشعِر نِعمَ اللّهِ الواصلةَ إليك، واستحضر عظمةَ المُنعِم عليك، وليلهج لسانُك بحمده في جميع أحوالك، فإنه تعالى مُنعِمٌ بالعطاء، وراحمٌ بالابتلاء.**
- **السياحة خروجٌ عمَّا ألِفَه الإنسان من وطن وأهل، فكذلك الصيام خروجٌ عمَّا ألِفَ الصائم من طعام وشراب وشهوة.**
- **إن الركوع والسجود ليَصدُران عن تواضعٍ وعبوديَّةٍ للملِك الكريم، في الصلاة التي من غاياتِها الخضوعُ والتعظيم.**
- **هؤلاء المؤمنون قائمون بطاعة اللّه في أنفُسهم، ناصحون لغيرهم بالقيام بطاعته. قال الحسن رحمه اللّه: (لم يأمروا بالمعروف حتى كانوا من أهله، ولم ينهَوا الناسَ عن المنكر حتى انتهَوا عنه).**
- **تكريمٌ من اللّه للمؤمنين بأمر اللّهِ رسولَه الأمين بتبشيرهم، مع ما تحملُه هذه البِشارةُ في عمومها من الخيرات، والوعودِ الصالحات.**
- **تكريمٌ من اللّه للمؤمنين بأمر اللّهِ رسولَه الأمين بتبشيرهم، مع ما تحملُه هذه البِشارةُ في عمومها من الخيرات، والوعودِ الصالحات.**
- **ليس الإيمانُ بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، بل بعملٍ يُرضي اللّهَ تعالى.**

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى

١١٣←(٤)→١١٦

لَمَّا بيَّنَ اللهُ مِن أوَّلِ السُّورةِ إلى هنا وُجوبَ البَراءةِ من الكُفَّارِ والمُنافِقينَ؛ بَيَّنَ هنا البراءةَ من أمواتِهم وتحريمَ الاستغفارِ لهم، أما إبراهيمُ عليه السلام فقد وعدَ أباه أن يستغفرَ له رجاءَ إسلامِه، فلَمَّا ماتَ على الكفر تبرَّأَ منه.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
113	*لَمَّا بيَّنَ اللّهُ تعالى مِن أوَّلِ هذه السُّورةِ إلى هذا المَوضِعِ وُجوبَ إظهارِ البَراءةِ عن الكُفَّارِ والمُنافِقينَ مِن جَميعِ الوُجوهِ؛ بَيَّنَ في هذه الآيةِ أنَّه تجِبُ البراءةُ عن أمواتِهم، وإن كانوا في غايةِ القُربِ مِن الإنسانِ كالأبِ والأمِّ، كما أوجبَتِ البراءةَ عن أحيائِهم، والمقصودُ منه بيانُ وجوبِ مُقاطَعتِهم على أقصى الغاياتِ، والمنعِ مِن مُواصلَتِهم بسببٍ مِن الأسبابِ . *وأيضًا لَمَّا كثُرَت في هذه السُّورةِ الأوامِرُ بالبراءةِ مِن أحياءِ المُشركِينَ، وجاء الأمرُ أيضًا بالبراءةِ من أمواتِ المُنافِقينَ بالنَّهي عن الدُّعاءِ لهم؛ جاءت هذه الآيةُ مُشيرةً إلى البراءةِ مِن كُلِّ مُشرِكٍ، فوقَعَ التَّصريحُ بعدها بما أشارت إليه .

تفسير السعدي:

يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ﴿وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، **فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.**

وأيضًا فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه اللّه، ويعادوا من عاداه اللّه، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له

وقفات ولطائف:.

(ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ

عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ، عن أبيه، قال: ((لَمَّا حَضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فوجَدَ عنده أبا جهلٍ، وعبدَ اللهِ بنَ أبي أميَّةَ بنِ المُغيرةِ، فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يا عَمِّ، قلْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، كَلِمةً أشهَدُ لك بها عند اللهِ، فقال أبو جهلٍ، وعبدُ اللهِ بنُ أبي أميَّةَ: يا أبا طالبٍ، أترغَبُ عن ملَّةِ عبد المطَّلِب؟! فلم يزَلْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَعرِضُها عليه، ويُعيدُ له تلك المقالةَ، حتى قال أبو طالبٍ آخِرَ ما كلَّمَهم: هو على مِلَّةِ عبد المطَّلِب، و أبى أن يقولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أمَا واللهِ لأستَغفِرَنَّ لك ما لم أُنهَ عنك، فأنزل اللهُ عزَّوجَلَّ: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ، و أنزل اللهُ تعالى في أبي طالبٍ، فقال لِرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) [القصص: 56].

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **113-إنما ينتفعُ المشركُ في قرابته من المؤمن بالصلةِ والتراحم، وأما الاستغفارُ والولاءُ فلا يكون إلا لمؤمن.**
- **قال عطاءُ بنُ أبي رباح: (ما كنتُ لِأدعَ الصلاةَ على أحدٍ من أهل القِبلة، ولو كانت حبشيَّةً حُبلى من الزِّنى؛ لأنِّي لم أسمع اللّهَ حجبَ الصلاةَ إلا عن المشركين).**

١١٣←(٤)→١١٦

لَمَّا بيَّنَ اللهُ مِن أوَّلِ السُّورةِ إلى هنا وُجوبَ البَراءةِ من الكُفَّارِ والمُنافِقينَ؛ بَيَّنَ هنا البراءةَ من أمواتِهم وتحريمَ الاستغفارِ لهم، أما إبراهيمُ عليه السلام فقد وعدَ أباه أن يستغفرَ له رجاءَ إسلامِه، فلمَّا ماتَ على الكفر تبرَّأ منه.

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن
يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى

114	***أنَّ المقصودَ ألَّا يتوهَّمَ إنسانٌ أنَّه تعالى منَعَ مُحمَّدًا صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم مِن بَعضِ ما أذِنَ لإبراهيمَ فيه** ؛ فقد بيَّنَ تعالى أنَّ هذا الحُكمَ- وهو إيجابِ الانقطاعِ عن الكُفَّارِ أحيائِهم وأمواتِهم- غيرُ مُختَصٍّ بدِينِ مُحمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، بل المبالغةُ في تقريرِ وُجوبِ الانقطاعِ كانت مشروعةً أيضًا في دِينِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، فتكونُ المبالغةُ في تقريرِ وُجوبِ المُقاطعةِ والمُباينةِ مِن الكفَّارِ أقوى. –الرازي- ***ولَمّا أنْكَرَ أنْ يَكُونَ لَهم ذَلِكَ، وكانَ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ المَأْمُورُ بِالِاقْتِداءِ بِهِ واللُّزُومِ بِمِلَّتِهِ قَدِ اسْتَغْفَرَ لِأبِيهِ، بَيَّنَ أنَّهُ كانَ أيْضًا قَبْلَ العِلْمِ بِما في نَفْسِ الأمْرِ مِنَ اسْتِحْقاقِهِ لِلتَّأْبِيدِ في النّارِ**.-البقاعي-
115	*لَمَّا منَعَ اللهُ تعالى المُؤمِنينَ من أن يستَغفِروا للمُشرِكينَ، والمُسلِمونَ كانوا قد استغفَروا للمُشرِكينَ قبلَ نُزولِ هذه الآيةِ، فإنَّهم قبلَ نُزولِ هذه الآيةِ كانوا يستغفِرونَ لآبائِهم وأُمَّهاتِهم وسائرِ أقربائِهم ممَّن مات على الكُفرِ، فلمَّا نزلَت هذه الآيةُ **خافوا بسبَبِ ما صدَرَ عنهم قبل ذلك من الاستغفارِ للمُشركينَ.** **وأيضًا فإنَّ أقوامًا مِن المُسلِمينَ الذين استغفَروا للمُشرِكينَ، كانوا قد ماتوا قبلَ نُزولِ هذه الآيةِ، فوقعَ الخوفُ عليهم في قلوبِ المُسلِمينَ أنَّه كيف يكونُ حالُهم، فأزال اللّهُ تعالى ذلك الخَوفَ عنهم بهذه الآيةِ، وبيَّنَ أنَّه تعالى لا يؤاخِذُهم بعمَلٍ إلَّا بعد أن يُبيِّنَ لهم أنَّه يجِبُ عليهم أن يتَّقوه ويَحترِزوا عنه** .-الرازي- و أيضًا لَمَّا بيَّنَ الله تعالى أنَّه لا يُستغفَرُ لِلمشركينَ ولو كانوا أُولي قربَى، فمُنِعَ رسولُ اللَّه صلَّى الله عليه وسلَّم مِن الاستغفارِ لعَمِّه أبي طالِبٍ، ومُنِعَ إبراهيمُ مِنَ الاستغفارِ لأبيه، وكذلك مُنِعَ المسلمونَ مِنَ الاستغفارِ للمشركينَ أقرباءَ وغيرَ أقْرِباءَ، فكأنَّه قِيل: لا تَعْجَبْ لتبايُنِ هؤلاءِ، فإضلالُ هؤلاءِ لم يكُنْ إلَّا بعدَ أنْ أرشدَهم اللَّهُ إلى طريقِ الحقِّ بما ركَز فيهم مِن حُجَجِ العقولِ الَّتي أغْفَلوها، وتبيينِ ما يتَّقُونَ بطريقِ الوحيِ، فتظافَرتْ عليهم الحُجَجُ العقليَّةُ والسمعيَّةُ، ومعَ ذلك لم يُؤْمِنوا ولم يَتَّبِعوا ما جاءتِ الرُّسلُ به عن اللَّه تعالَى، ولذلك خَتَمها بقولِه: أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فيُضلُّ مَن يشاءُ، ويختصُّ بالهدايةِ مَن يشاءُ .-أبو حيان-

تفسير السعدي:

ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ في قوله ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه.

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو للّه، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ مو افقة لربه وتأدبا معه.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء، والاستغفار والإنابة إلى ربه.

﴿حَلِيمٌ﴾ أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وهو يقول له: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾

فعليكم أن تقتدوا به، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ كما نبهكم الله عليها وعلى غيرها

يعني أن اللّه تعالى إذا منَّ على قوم بالهداية، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم، فإنه تعالى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، وتدعو إليه ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين، جاهلين بأمور دينهم، ففي هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه.

ويحتمل أن المراد بذلك ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء لهم على ردهم الحق المبين، والأول أولى.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلكمال علمه وعمومه علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبين لكم ما به تنتفعون.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

114-الاستغفارُ لمن ماتَ مشركًا والترحُّمُ عليه، قريبًا كان أم بعيدًا، بعد أن نُهي نبيُّ اللّه إبراهيم عن الاستغفار لأبيه، اعتداءٌ في الدعاء.

ألا ترى ما في ثناءِ اللّهِ على خليلِه بكونِه أوَّاهًا حليمًا من علوِّ شأن هاتين الخَصلتين عنده تبارك وتعالى؟

115-ما ضلَّ أحدٌ إلا بتركه الوحي، فلو اهتدى به لعلمَ ما يأتي وما يتَّقي.

من رحمة اللّه بعباده أن بيَّن لهم ما يتَّقون به غضبَه، ويحذَرون به معصيتَه، فأين المتَّقون؟

بيانُ اللّهِ لعباده قائمٌ على العلمِ المحيطِ الذي لا يُمكنُ أن يتطرَّقَ إليه الخطأُ، ولا لواقعٍ صحيح أن يخالفَه.

وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ وَمَا كَانَ
ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ
١١٤ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى

١١٣→(٤)←١١٦

لَمَّا بيَّنَ اللهُ مِن أوَّلِ السُّورةِ إلى هنا وُجوبَ البَراءةِ من الكُفَّارِ والمُنافِقينَ؛ بَيَّنَ هنا البراءةَ من أمواتِهم وتحريمَ الاستغفارِ لهم، أما إبراهيمُ عليه السلام فقد وعدَ أباه أن يستغفرَ له رجاءَ إسلامِه، فلَمَّا ماتَ على الكفر تبرَّأَ منه.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
116	***لَمَّا أمَرَ اللّهُ تعالى بالبَراءةِ مِن الكفَّار؛ بيَّنَ أنَّه له مُلكُ السَّموَاتِ والأرض، فإذا كان هو ناصِرًا لكم، فهم لا يَقدِرون على إضرارِكم .** و أيضًا فإنَّه حينَ أمرَهم بالبراءةِ مِن المشركينَ، فإنَّه لا يمكنُهم الاختلاطُ بآبائِهم وأولادِهم وإخوانِهم؛ لأنَّه ربَّما كان الكثيرُ منهم كافرينَ، فقد يتطرقُ إلى نفوسِهم ما يصيرونَ إليه مِن نقصٍ وحاجةٍ إلى المعينِ والناصرِ، والمرادُ أنَّكم إن صِرتُم مَحرومينَ عن مُعاوَنتِهم ومُناصَرتِهم، فالإلهُ الذي هو المالِكُ للسَّمَواتِ والأرضِ، والمُحْيِي والمُميتُ؛ ناصِرُكم، فلا يضُرُّكم أن يَنقَطِعوا عنكم . **وأيضًا فإنَّ اللّه تعالى لَمَّا أمَرَ بهذه التَّكاليفِ الشَّاقَّة، كأنَّه قال: وجَبَ عليكم أن تَنقادوا لحُكمي وتَكليفي؛ لِكَوني إلهَكم، ولِكَونِكم عبيدًا لي** .-الرازي- **وأيضًا لَمَّا ذكَرَ تعالى عِلمَه بكُلِّ شيءٍ، فهو يعلَمُ ما يَصلُحُ لكُلِّ أحدٍ، وما هُيِّئَ له في سابِقِ الأزَلِ؛ ذكَرَ ما دلَّ على القُدرةِ الباهرةِ مِن أنَّه له ملكُ السَّمَواتِ والأرضِ**، فيتصَرَّفُ في عبادِه بما شاء، ثمَّ ذكَرَ من أعظَمِ تَصرُّفاتِه الإحياءَ والإماتةَ، أي: الإيجادَ والإعدامَ.-أبو حيان-

تفسير السعدي:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السموات وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المالك لذلك، المدبر لعباده بالإحياء والإماتة و أنواع التدابير الإلهية، فإذا كان لا يخل بتدبيره القدري فكيف يخل بتدبيره الديني المتعلق بإلهيته، ويترك عباده سدى مهملين، أو يدعهم ضالين جاهلين، وهو أعظم توليه لعباده؟".

فلهذا قال: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ولي يتولاكم بجلب المنافع لكم، أو ﴿نَصِيرٍ﴾ يدفع عنكم المضار.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **كما أن أحكامَه سبحانه صادرةٌ عن كمال علمه، فهي أيضًا صادرةٌ في ملكه الكامل، فالمعترض على حكمه جاهلٌ ومُعتدٍ أيضًا.**
- **السموات والأرضُ على عظمتهما للّه عز وجل، يتصرَّفُ فيهما كيف يشاءُ، فكيف بما دونهما؟! فتعلَّق أيُّها المؤمن بربِّك، فلا ناصرَ لك سواه.**
- **متى والى المسلمون ربَّهم واتَّكلوا عليه وامتثلوا أمرَه نصرَهم ولم يَكِلهم إلى الأسباب التي يتعلَّقُ بها الناس.**

دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ
مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧

٢٠٥

فلمّا مات على الكفرِ تبرَّأَ منه.

١١٧←(١)→١١٧

توبةُ اللهِ عليه ﷺ لمَّا أَذنَ للمنافقينَ في التَّخلُّفِ عن تبُوك، وتوبتُه على المهاجرينَ والأنصارِ.

١١٢- ☑ ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصَّائِمُونَ، وليسَ معنى السياحة هنا المعنى الدَّارجِ: السفرُ والترحالُ، ١١٧- ﴿سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾: وَقتِ الشِّدَّةِ، وَالمرَادُ: غَزوَةُ تَبوكَ، ﴿يَزِيغُ﴾: يَميلُ.

(١١٤) ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ ادعُ اللهَ تعالى أن يرزقَكَ الحلمَ، وعوِّد نفسَكَ عليه، حتى تكونَ مُتَّصِفًا به.

(١١٧) ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ طاعةُ اللهِ تعالى في المَكارِه الشَّاقَّةِ على النَّفسِ من أَسبابِ توبةِ اللهِ على العبدِ. ١١٤: هود [٧٥]، ١١٦: البقرة [١٠٧]، ١١٧: التوبة [١١٨].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها
117	*ولَمّا أشارَ إلى أنَّه هو وليُّهم أحْياهم بِرُوحٍ منهُ مُبَيِّنٌ لَهم ما يُصْلِحُهم وأنَّهُ لا وليَّ لَهم غَيْرُه، أقامَ الدَّليلَ على ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: [لَقَدْ تابَ اللَّهُ] -البقاعي- *لَمَّا تقدَّمَ الكلامُ في أحوالِ المُنافِقينَ مِن تَخَلُّفِهم عن غزوةِ تَبوكَ، واستطرَدَ إلى تقسيمِ المُنافِقينَ إلى أعرابٍ وغيرِهم، وذكَرَما فعلوا مِن مَسجِدِ الضِّرارِ، وذكَرَ مُبايعةَ المؤمنينَ اللهَ في الجِهادِ و أثنَى عليهم، و أنَّه ينبغي أن يُباينوا المُشرِكينَ، حتى الذين ماتوا منهم بِتَرْكِ الاستغفارِلهم- عاد إلى ذِكْرِ ما بَقِيَ مِن أحوالِ غزوةِ تَبوكَ ، فـهذه الآياتُ تتِمَّةُ ما تقدَّمَ مِن موضوعِ تَوبةِ المتخَلِّفينَ عن غزوةِ تَبوكَ، أُخِّرَت على سُنَّةِ القرآنِ في تفريقِ الآياتِ في الموضوعِ الواحِدِ؛ لأنَّه أدنى ألَّا يَسأَمَ التَّالي لها في الصَّلاةِ وغَيرِها، و أقوى في تجديدِ الذِّكرى، والتأثيرِ في النَّفسِ.-المحرر- *قال ابن عباس: كانت التوبة على النبي ﷺ لأجل أنه أذن للمنافقين في القعود، بدليل قوله- سبحانه- قبل ذلك: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ... وكانت توبته على المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه- أى: إلى التخلف عن الخروج معه إلى غزوة تبوك

تفسير السعدي:

يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تَابَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ فغفرلهم الزلات، ووفرلهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات، ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في وقعة "تبوك" وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف.

فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم و أيدهم وقواهم. وزَيْغُ القلب هو انحرافه عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين، كان كفرا، وإن كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصرعن فعلها، أوفعلها على غير الوجه الشرعي.

وقوله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: قبل توبتهم

﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومن رأفته ورحمته أن مَنَّ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها.

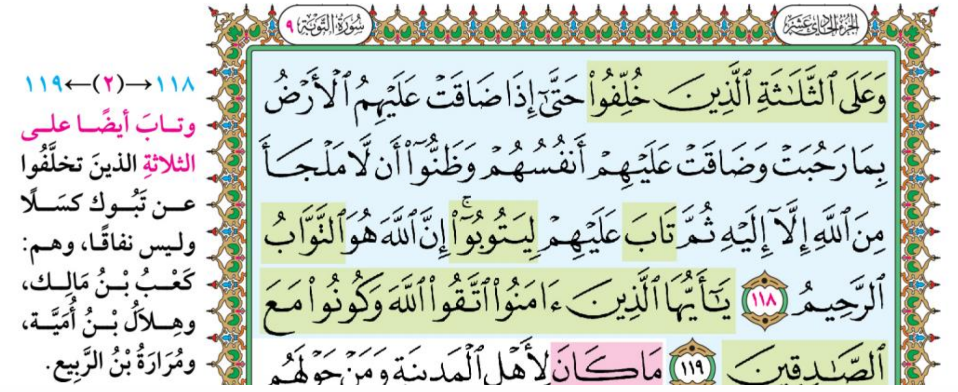
وقفات ولطائف:.

إنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ.

أي: تاب اللهُ على الفريقِ الذين كادَتْ قُلوبُهم أن تزيغَ عنِ الحَقِّ؛ لأنَّ اللهَ بصَحابةِ نَبيِّه رؤوفٌ رحيمٌ، ومن رأفَتِه ورَحمَتِه بهم أنَّه لا يريدُ إهلاكَهم، بل رزَقَهم التَّوبةَ وعافاهم مِن زَيغِ القُلوبِ وثَبَّتَهم

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **ما من مؤمنٍ إلا وهو محتاجٌ إلى التوبة والاستغفار، حتى النبيُّ ﷺ والمهاجرون والأنصار.**
- **جعل اللّه لتوبته ورضاه أسبابًا، منها طاعتُه وعِصيانُ هوى النفس، فاتِّباعُ الصحابة رضي اللّه عنهم النبيَّ ﷺ في ساعة العُسرة كان سببًا لرضاه عنهم ومدحِهم، وعيبًا على من لم يصاحبهم فيها.**
- **ما أعظمَ لُطفَ اللّهِ بعباده! فكم قد أشرفوا على العطَب والفناء، ووطَّنوا أنفسَهم على الهلاك والانتهاء، وإذا بربِّهم يمطرُ عليهم سحائبَ الإنقاذ والإحياء.**
- **إن توبةَ العبدِ هي بين توبتين من ربِّه، سابقةٍ ولاحقة، فإن تاب عليه إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبدُ، تاب اللّهُ عليه ثانيًا، قَبولًا وإثابة.**



الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
118	*أنَّه لَمَّا صرَّحَ تعالى بالتَّوبةِ على مَن قارب الزَّيغَ، وخَلَطَ معهم أهلَ الثَّباتِ؛ إشارةً إلى أنَّ كُلَّ أحدٍ فَقيرٌ إلى الغنيِّ الكبيرِ، ولِيَكونَ اقترانُهم بأهلِ المعالي، وجعلُهم في حَيِّزِهم تشريفًا لهم وتأنيسًا؛ لئلَّا يشتدَّ إنكارُهم- أتبعَه التَّوبةَ على مَن وقَع منه الزَّيغُ، فقال غيرَ مصرِّحٍ بالزَّيغِ تعليمًا للأدبِ، وجَبرًا للخواطِرِ المُنكَسِرةِ.-البقاعي- ***بدأ الكلام بجبر قلوبهم وإعلان التوبة عليهم** ***وكما تقبل اللّه- تعالى- توبة المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا رسولهم صلى اللّه عليه وسلم في ساعة العسرة.. فقد تقبل توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن الاشتراك في غزوة تبوك**.-الوسيط-

تفسير السعدي:

﴿و﴾ كذلك لقد تاب الله ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة، وهم: "كعب بن مالك" وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن.

﴿حَتَّى إِذَا﴾ حزنوا حزنًا عظيمًا، و﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: على سعتها ورحبها ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء.

﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، ﴿الرَّحِيمُ﴾ وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.

وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

ومنها: أن علامة الخيروزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، و انقطع عن المخلوقين.

ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿خُلِّفُوا﴾ إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، [أو خلفوا عن من بُتّ في قبول عذرهم، أو في رده] وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا".

ومنها: أن الله تعالى من عليهم بالصدق.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❑ **بحسَبِ ندمِ العبدِ وأسفِهِ تكون توبةُ اللّهِ عليه، فأما مَن لم يبالِ بالذنبِ فتوبتُه مدخولة وإن زعَم أنها مقبولة.**
- ❑ **إذا تعلَّقَ القلبُ باللّه تعلُّقًا تامًّا، وانقطعَ عن المخلوقين، فتلك علامةٌ من علامات الخيرِ وزوالِ الشِّدّة.**
- ❑ **متى ضاقت عليك نفسُك ولم تَسعكَ الأرضُ فاصدُقِ التوبة، واتَّجه نحوَ ربِّ السماء تجدِ الفُسحةَ والسَّعة.**
- ❑ **كم ذنبٍ أحدثَ رفعةً عند اللّه، وذِكرًا حسنًا بين الخلق حين أورثَ ندمًا وأوبةً صادقة.**
- ❑ **التوابون هم الذين يجدِّدون توبتَهم، ويَرجِعون إلى ربِّهم على الدوام، وجديرٌ بمن هذا حالُه أن يَقبلَه اللّهُ، فإنه كثيرُ المغفرة واسعُ الرحمة.**



١١٨→(٢)←١١٩
وتاب أيضًا على الثلاثة الذين تخلّفوا عن تبوك كسلًا وليس نفاقًا، وهم: كَعْبُ بْنُ مَالِك، وهِلَالُ بْنُ أُمَيَّة، ومُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيع.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
119	*وكما تقبل اللّه- تعالى- توبة المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا رسولهم صلى اللّه عليه وسلم في ساعة العسرة.. فقد تقبل توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن الاشتراك في غزوة تبوك،-الوسيط-

تفسير السعدي:

أي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله، وبما أمر الله بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله تعالى، باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه.

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في أقوالهم و أفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ الآية.

وقفات ولطائف:.

يحتمل أن يريد صدق اللسان إذ كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب؛ فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان؛ وهو الصدق في الأقوال، والأفعال، والمقاصد، والعزائم. [ابن جزي

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❑ **مما يُعينُ العبدَ على التقوى صحبةُ الصادقين في أقوالهم، المخلصين في أعمالهم.**
- ❑ **قال كعبُ بن مالك، يحدِّث حين تخلَّف عن غزوة تبوك: (إن اللّه إنما أنجاني بالصِّدق، وإن من توبتي ألا أُحدِّثَ إلا صدقًا ما بقِيت) فهلَّا اقتدينا به.**
- ❑ **مَن كان مع الصادقين في الدنيا مخلصًا، كان معهم في الآخرة مصاحبًا.**

سببُ النُّزولِ:

عن كَعبِ بنِ مالكٍ رَضِيَ الله عنه، يحَدِّثُ حَديثَه حين تخلَّفَ عن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في غزوةِ تَبُوكَ، قال كعبُ بنُ مالكٍ: ((لمْ أتخلَّفْ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في غزوةٍ غزاها قطُّ، إلَّا في غزوةِ تبوكَ، غيرَ أنِّي قد تخلَّفتُ في غزوةِ بدرٍ، ولم يعاتِبْ أحدًا تخلَّفَ عنه، إنَّما خرج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والمُسلِمونَ، يريدون عِيرَ قريشٍ، حتى جمَع اللهُ بينهم وبينَ عدوِّهم على غيرِ ميعادٍ، ولقد شهِدتُ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ليلةَ العَقَبةِ حين تو اثقْنا على الإسلامِ، وما أُحِبُّ أنَّ لي بها مَشهدَ بدرٍ، وإن كانت بدرٌ أذكرَ في النَّاسِ منها، وكان مِن خَبَري حين تخلَّفتُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في غزوةِ تبوكَ أنِّي لم أكُنْ قطُّ أقْوى، ولا أيسَرَ منِّي حين تخلَّفتُ عنه في تلك الغزوةِ؛ واللهِ ما جمعتُ قبلَها راحلتَينِ قطُّ، حتى جمعتُهما في تلك الغزوةِ. فغزاها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في حرٍّ شديدٍ، واستقبَلَ سفرًا بعيدًا ومَفازًا ، واستقبل عدوًّا كثيرًا، فجَلَا للمُسلِمينَ أمرَهم؛ ليتأهَّبوا أُهبَةَ غَزوِهم، فأخبَرَهم بوجهِهم الذي يريدُ، والمُسلِمونَ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كثيرٌ، ولا يَجمَعُهم كتابٌ حافظٌ- يريد بذلك الدِّيوانَ- قال كعبٌ: فقلَّ رجلٌ يريدُ أن يتغيَّبَ يَظُنُّ أنَّ ذلك سيَخفى له، ما لم يَنزِلْ فيه وحيٌ من اللهِ عزَّوجلَّ، وغزا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تلك الغزوةَ حين طابتِ الثِّمارُوالظِّلالُ، فأنا إليها أصعَرُ ، فتجهَّزرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والمُسلِمونَ معه، وطفِقتُ أغدو لكي أتجهَّزَ معهم، فأرجِعُ ولم أقضِ شيئًا، و أقولُ في نفسي: أنا قادرٌ على ذلك إذا أردتُ، فلم يزلْ ذلك يتمادَى بي حتى استمرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصبح رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غاديًا والمُسلِمونَ معه، ولم أقضِ من جَهازي شيئًا، ثمَّ غدوتُ فرجعتُ ولم أقضِ شيئًا، فلم يزلْ ذلك يتمادَى بي حتى أسرعوا، وتفارَطَ الغَزْوُ ، فهمَمْتُ أن أرتحلَ فأُدرِكَهم، فيا ليتني فعلتُ! ثم لم يُقَدَّرْ ذلك لي، فطفقتُ إذا خرجتُ في النَّاسِ بعدَ خروجِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يَحزُنُني أنِّي لا أرى لي أُسوةً إلَّا رجلًا مغموصًا عليه في النِّفاقِ، أورجلًا ممَّن عذَرَ اللهُ من الضُّعفاءِ، ولم يَذكُرْني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتى بلغَ تَبوكَ، فقال وهو جالسٌ في القومِ بتَبوكَ: ما فعل كعبُ بنُ مالكٍ؟ قال رجلٌ من بَني سَلِمةَ: يا رسولَ اللهِ، حبَسه بُرْداه، والنَّظَرُ في عِطْفَيه ، فقال له معاذُ بنُ جبلٍ: بئسَ ما قلتَ، واللهِ يا رسولَ اللهِ، ما علِمْنا عليه إلَّا خيرًا.

فسكَتَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فبينما هو على ذلك رأى رجلًا مُبَيِّضًا يزولُ به السَّرابُ ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: كُن أبا خَيثمةَ، فإذا هو أبو خيثمةَ الأنصاريُّ، وهو الذي تصدَّق بصاعِ التَّمرِ حين لَمَزه المُنافِقونَ. فقال كعبُ بنُ مالكٍ: فلمَّا بلَغني أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد توجَّه قافِلًا من تبوكَ، حَضَرني بثِّي ، فطَفِقْتُ أتذكَّرُ الكذبَ، و أقولُ: بِمَ أَخرجُ من سخَطِه غَدًا؟ وأستعينُ على ذلك كلَّ ذي رأيٍ من أهلي، فلمَّا قيل لي: إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد أظلَّ قادمًا، زاح عني الباطلُ، حتى عرفتُ أنِّي لن أنجوَ منه بشيءٍ أبدًا، فأجمعتُ صِدْقَه، وصبَّحَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قادمًا، وكان إذا قدِم مِن سَفَرٍ بدأ بالمَسجِدِ، فركع فيه ركعتَينِ، ثمَّ جلَسَ للنَّاسِ، فلما فعل ذلك جاءَه المُخلَّفونَ، فطَفِقوا يَعتَذِرونَ إليه ويحلِفون له، وكانوا بِضعةً وثمانينَ رَجُلًا، فقَبِل منهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علانِيَتَهم، وبايعَهم، واستغفَرَ لهم، ووكَل سرائرَهم إلى اللهِ، حتى جئتُ، فلمَّا سَلَّمتُ تبسَّمَ تبسُّمَ المُغضَبِ، ثم قال: تعالَ، فجِئْتُ أمشي حتى جلَسْتُ بين يدَيه. فقال لي: ما خلَّفَك؟ ألم تكُنْ قد ابتَعْتَ ظهرَك؟ قال: قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي- واللهِ- لو جلستُ عند غيرِك مِن أهلِ الدُّنيا، لرأيتُ أنِّي سأخرُجُ مِن سَخَطِه بعُذرٍ، ولقد أُعطِيتُ جَدَلًا، ولكنِّي- واللهِ- لَقَد عَلِمْتُ لئن حدَّثتُك اليومَ حديثَ كَذِبٍ ترضَى به عني، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسخِطَك عليَّ، ولَئِنْ حدَّثتُك حديثَ صدقٍ تجِدُ عليَّ فيه، إنِّي لأرجو فيه عُقبَى اللهِ ، واللهِ ما كان لي عُذرٌ. واللهِ ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفتُ عنك. قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمَّا هذا فقَد صَدَق، فقُمْ حتى يقضيَ اللهُ فيك، فقُمْتُ وثاررجالٌ من بني سَلِمةَ فاتَّبَعوني، فقالوا لي: واللهِ ما علِمْناك أذنبتَ ذنبًا قبلَ هذا. لقد عَجَزتَ في ألَّا تكونَ اعتذرتَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بما اعتذربه إليه المُخلَّفونَ؛ فقد كان كافِيَك ذنبَك استغفارُرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لك. قال: فواللهِ ما زالوا يُؤنِّبونَني حتى أردتُ أن أرجِعَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأُكذِّبَ نفسي. قال: ثمَّ قلتُ لهم: هل لقِيَ هذا معي من أحدٍ؟ قالوا: نعم، لَقِيه معك رَجُلانِ قالا مثلَ ما قلتَ. فقيل لهما مثلُ ما قيل لك. قال: قلتُ: مَن هما؟ قالوا: مُرارةُ بنُ ربيعةَ العامريُّ، وهلالُ بنُ أميَّةَ الو اقِفيُّ. قال: فذكروا لي رجلَينِ صالِحَينِ قد شَهِدا بدرًا فيهما أُسْوةٌ. قال فمضيتُ حين ذَكَروهما لي. قال: ونهَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المُسلِمينَ عن كلامِنا أيُّها الثلاثةُ، مِن بينِ مَن تخلَّفَ عنه. قال: فاجتنَبَنا النَّاسُ، وقال: تغيَّروا لنا حتى تنكَّرَتْ لي في نَفسي الأرضُ؛ فما هي بالأرضِ التي أعرِفُ،

فلَبِثْنا على ذلك خمسينَ ليلةً. فأمَّا صاحباي فاستكانا وقعَدا في بُيوتِهما يَبكِيانِ، وأمَّا أنا فكنتُ أشَبَّ القَومِ وأجلدَهم، فكُنتُ أخرُجُ فأشهَدُ الصَّلاةَ، وأطوفُ في الأسواقِ، ولا يكلِّمني أحدٌ، و آتي رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأسلِّمُ عليه وهو في مجلسِه بعد الصَّلاةِ، فأقولُ في نفسي: هل حرَّكَ شفتَيه بردِّ السلامِ أم لا؟ ثم أصلِّي قريبًا منه، وأُسارِقُه النَّظَرَ، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظَرَ إليَّ، وإذا التفتُّ نَحوَه أعرَضَ عنِّي، حتى إذا طال ذلك عليَّ من جَفوةِ المُسلِمينَ، مَشيتُ حتى تسوَّرتُ جِدارَ حائطِ أبي قتادةَ، وهو ابنُ عمِّي، وأحَبُّ النَّاسِ إليَّ، فسَلَّمتُ عليه، فواللهِ ما ردَّ عليَّ السلامَ، فقلتُ له: يا أبا قتادةَ، أنشُدُك باللهِ، هل تعلمَنَّ أنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَه؟ قال: فسَكَتَ. فعُدتُ فناشَدْتُه فسكَتَ. فعُدْتُ فناشَدْتُه. فقال: اللهُ ورسولُه أعلمُ. ففاضَتْ عيناي، وتَولَّيتُ حتى تسوَّرتُ الجدارَ، فبَيْنا أنا أمشِي في سوقِ المدينةِ، إذا نَبَطِيٌّ من نَبطِ أهلِ الشَّامِ، ممَّن قَدِمَ بالطعامِ يبيعُه بالمَدينةِ، يقول: مَن يدلُّ على كعبِ بنِ مالكٍ؟ قال: فطفِق النَّاسُ يُشيرونَ له إليَّ. حتى جاءني فدفَعَ إليَّ كتابًا من ملِك غسَّانَ، وكنتُ كاتبًا فقرأتُه، فإذا فيه: أمَّا بعدُ؛ فإنَّه قد بلَغَنا أنَّ صاحبَك قد جفَاك، ولم يَجعَلْك اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالحَقْ بنا نُواسِكَ. قال: فقلتُ حين قرأتُها: وهذه أيضًا من البلاءِ، فتيامَمتُ بها التَّنُّورَ فسجَرتُه بها ، حتى إذا مَضَت أربعونَ مِن الخَمسينَ واستلبَثَ الوحيُ ، إذا رسولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يأتيني، فقال: إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يأمُرُك أن تعتزِلَ امرأتَك. قال: فقُلتُ: أُطلِّقُها أم ماذا أفعَلُ؟ قال: لا، بل اعتزِلْها فلا تقربَنَّها. قال: فأرسَلَ إلى صاحِبَيَّ بمثلِ ذلك. قال: فقلتُ لامرأتي: الْحَقي بأهلِكِ فكوني عِندَهم حتى يقضِيَ اللهُ في هذا الأمرِ. قال: فجاءت امرأةُ هلالِ بن أميَّةَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالت له: يا رسولَ اللهِ، إنَّ هلالَ بنَ أميَّةَ شيخٌ ضائعٌ، ليس له خادمٌ، فهل تكرَهُ أن أخدمَه؟ قال: لا، ولكِنْ لا يَقربَنَّكِ، فقالت: إنَّه- واللهِ- ما به حركةٌ إلى شَيءٍ، وواللهِ ما زال يبكي منذ كان مِن أمرِه ما كان إلى يومِه هذا. قال: فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذنتَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في امرأتِك؟ فقد أذِن لامرأةِ هلالِ بنِ أميَّةَ أن تخدمَه. قال: فقلتُ: لا أستأذنُ فيها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وما يُدريني ماذا يقولُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا استأذنتُه فيها، و أنا رجلٌ شابٌّ. قال: فلبِثْتُ بذلك عشرَ ليالٍ، فكَمَلَ لنا خمسونَ ليلةً مِن حينِ نُهِيَ عن كلامِنا. قال: ثمَّ صلَّيتُ صلاةَ الفجرِ صباحَ خَمسينَ ليلةً على ظهرِ بيتٍ مِن بيوتِنا، فبَيْنا أنا جالسٌ على الحالِ التي ذكَرَ اللهُ عزَّوجلَّ مِنَّا؛ قد ضاقَت عليَّ نفسِي، وضاقتْ عليَّ الأرضُ بما رَحُبَت- سَمِعْتُ صوتَ صارخٍ أوفَى على سَلْعٍ يقولُ بأعلى صوتِه: يا كعبُ بنَ مالكٍ أبشِرْ! قال فخَرَرْتُ ساجِدًا، وعرفتُ أنْ قد جاء فَرَجٌ.

قال: فآذَنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الناسَ بتوبةِ اللهِ علينا، حين صلَّى صلاةَ الفجرِ، فذهَبَ الناسُ يبَشِّرونَنا، فذهَبَ قِبَلَ صاحِبَيَّ مُبشِّرون، ورَكَضَ رجلٌ إليَّ فرسًا، وسعى ساعٍ مِن أسلمَ قِبَلِي، وأوفى الجبلَ، فكان الصوتُ أسرعَ من الفَرَسِ، فلمَّا جاءني الذي سمعتُ صوتَه يُبشِّرُني، فنزعتُ له ثوبَيَّ فكَسوتُهما إيَّاه ببِشارتِه، واللهِ ما أملِك غيرَهما يومَئذٍ، واستَعَرْتُ ثوبَين فلَبِسْتُهما، فانطلقتُ أتأمَّمُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يتلقَّاني الناسُ فوجًا فوجًا، يُهنِّئونَني بالتوبةِ، ويقولون: لِتَهنِئْكَ توبةُ اللهِ عليك، حتى دخلتُ المسجدَ، فإذا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جالسٌ في المسجدِ، وحولَه الناسُ، فقام طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ يُهرولُ حتى صافحَني وهنَّأني، واللهِ ما قام رجلٌ من المهاجرينَ غيرُه. قال: فكان كعبٌ لا ينساها لطلحةَ. قال كعبٌ: فلما سلَّمتُ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال، وهو يبرُقُ وَجهُه من السُّرورِ ويقول: أبشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليك منذُ ولدَتْك أمُّك. قال: فقلتُ: أمِن عِندِك يا رسولَ اللهِ، أم مِن عندِ اللهِ؟ فقال: لا، بل مِن عندِ اللهِ، وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا سُرَّ استنارَ وجهُه، كأنَّ وجهَه قِطعةُ قمَرٍ. قال: وكنَّا نَعرِفُ ذلك. قال: فلمَّا جلستُ بين يدَيه، قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ من توبتي أن أنخلِعَ من مالي صدقةً إلى اللهِ وإلى رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمسِكْ بعضَ مالِك؛ فهو خيرٌ لك. قال: فقلتُ: فإني أُمسِكُ سَهمِي الذي بخَيبرَ. قال: وقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ إنَّما أنجاني بالصِّدقِ، وإنَّ مِن توبتي ألَّا أُحدِّثَ إلَّا صِدقًا ما بقِيتُ. قال: فواللهِ ما علمتُ أنَّ أحدًا من المسلمينَ أبلاه اللهُ في صدقِ الحديثِ منذ ذكرتُ ذلك لِرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى يومي هذا، أحسنَ ممَّا أبلاني اللهُ به. واللهِ ما تعمَّدتُ كَذِبةً منذُ قلتُ ذلك لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى يومي هذا، و إني لأرجو أن يحفظَني اللهُ فيما بقِيَ، فأنزل الله عزَّوجَلَّ: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 118-119]. قال كعب: واللهِ ما أنعمَ اللهُ عليَّ من نعمةٍ قطُّ- بعد إذ هداني اللهُ للإسلامِ- أعظمَ في نفسي مِن صِدقِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم، ألَّا أكونَ كَذَبتُه فأهلِكَ كما هلك الذين كَذَبوا، إنَّ الله قال للذينَ كَذَبوا- حين أنزل الوَحْي- شَرَّ ما قال لأحدٍ، وقال الله: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [التوبة: 95-96]، قال كعبٌ: كنا خُلِّفنا- أيُّها الثَّلاثةُ- عن أمرِ أولئك الذينَ قَبِلَ منهم رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين حَلَفوا له، فبايَعَهم واستغفرَ لهم، وأرجأَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمرَنا حتى قضَى اللهُ فيه، فبذلك قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا [التوبة: 118]، وليس الذي ذكَرَ اللهُ ممَّا خُلِّفنا، تَخَلُّفَنا عن الغزوِ، و إنَّما هو تخليفُه إيَّانا، وإرجاؤُه أمرَنا، عمَّنْ حلَفَ له واعتذَرَ إليه فقَبِلَ منه))

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم
مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ
عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ
وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ
ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ



١٢٠←(٢)→١٢١
لَمَّا أنْجَى الصِّدقُ هؤلاءِ الثلاثةَ أمرَ اللهُ بملازمةِ الصِّدقِ والصَّادقينَ، وأفضَلُ الصَّادِقينَ النَّبيُّ ﷺ، فاقتضى ذلك عتابَ من تخلف عنه ﷺ، ثُمَّ التَّرغيبُ في الجهادِ، والنفقةِ فيه.

120	*ثم أوجب - سبحانه - على المؤمنين مصاحبة رسولهم - صلى اللّه عليه وسلم - في غزواته. *لَمَّا أمَرَ اللّهُ تعالى بِقَولِه: وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ بوجوبِ الكونِ في مُوافَقةِ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في جميعِ الغَزَواتِ والمَشاهِدِ، أكَّدَ ذلك، فنهَى في هذه الآيةِ عن التخَلُّفِ عنه .- الرازي- *وأيضًا لَمَّا أمَرَ المُؤمِنينَ بتَقوى اللّهِ، وأمَرَ بكَينونتِهم مع الصَّادِقينَ، و أفضَلُ الصَّادِقينَ رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثمَّ المُهاجِرونَ والأنصارُ؛ اقتضى ذلك مُوافَقةَ الرَّسولِ وصُحبَتَه أنَّى توجَّهَ مِن الغَزَواتِ والمَشاهِدِ، فعُوتِبَ العِتابَ الشَّديدَ مَن تخلَّفَ عن الرَّسولِ في غَزوةٍ، و اقتضى ذلك الأمرَ لِصُحبَتِه، وبذلَ النُّفوسِ دُونَه _ابو حيان- *بعد أن ذكر عزّ اسمه توبته على المتخلفين الذين حسنت نياتهم ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون- أكد هنا وجوب متابعة الرسول والغزو معه لما فيه من الأجر العظيم، وحظر تخلف أحد عنه إلا بإذنه.-المراغي-
121	*أنَّها عَطفٌ على جُملةِ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وهو انتقالٌ مِن عِدادِ الكُلَفِ التي تَصدُرُ عنهم بلا قَصدٍ، في سبيلِ اللهِ، إلى بعضِ الكُلَفِ التي لا تخلو عن استشعارِ مَن تحُلُّ بهم بأنَّهم لَقُوها في سبيلِ اللهِ. فالنَّفقةُ في سبيلِ اللهِ لا تكونُ إلَّا عن قَصدٍ، يتذكَّرُ به المُنفِقُ أنَّه يسعى إلى ما هو وسيلةٌ لِنَصرِ الدِّينِ-ابن عاشور-

تفسير السعدي:

يقول تعالى - حاثا لأهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم - : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أي: ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم. ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ في بقائها وراحتها، وسكونه ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ الكريمة الزكية، بل النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي ﷺ ، بنفسه ويقدمه عليها، فعلامة تعظيم الرسول ﷺ ومحبته والإيمان التام به، أن لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: المجاهدين في سبيل الله ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب ومشقة ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: مجاعة.

﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ من الخوض لديارهم، والاستيلاء على أوطانهم، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾ كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في ذهابهم إلى عدوهم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها لله، ونصحوا فيها، ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير

وقفات ولطائف:.

والله سبحانه يأجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة؛ كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب﴾ الآية، وقال ﷺ لعائشة: ﴿أجرك على قدر نصبك﴾. [ابن تيمية

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

120-كيف لمؤمنٍ أن يرغَبَ عن صُحبةِ رسول اللّه ﷺ في البأساء والضَّراء، وعن مكابدةِ الأهوال معه برَغبةٍ ونشاط واغتباط، وألا تهونَ عليه نفسُه في سبيل متابعته؟!

- ❖ **يا مَن تضعُ قدمَك حيث يغتاظُ الكافرون وأنتَ تريدُ التمكينَ للدِّين، إنك تصنع خيرا، وإن لك على ذلك لأجرا.**
- ❖ **ما أعظمَ ترغيبَ اللّهِ لعباده في الجهاد في سبيله! يرغِّبُهم بأن كلَّ مشقَّةٍ تصيبُهم في ذلك لهم بها أجرٌ كبير.**
- ❖ **مَن قصدَ طاعةَ اللّهِ كان قيامُه وقعودُه، ومِشيتُه، وحركته وسكونه، حسناتٍ مكتوبات، فما أعظمَها من بركات للطاعات!**
- ❖ **إن الصبرَ على مشاقِّ الطاعات يُوصلُ العبدَ إلى درجة المحسنين الذين اطمأنُّوا إلى عدم ضياع أعمالهم عند ربٍّ العالَمين.**
- ➢ **121-كلُّ جُهدٍ في الخير من أيِّ فردٍ، على قدر استطاعته، مطلوبٌ، وكلُّ طريقٍ يؤدِّي إلى المقصودِ فهو مقصود.**
- ➢ **كُن من أهل الإحسان على الدوام ولو قلَّ ما لديك، وأبشِر بحِفظ اللّه له، وثوابِه لك عليه.**
- ➢ **لا جزاء أحسن من جزاء اللّه تعالى، فهلَّا جعلتَ عملَك له أحسنَ العمل.**



١١٨- ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾: هم: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، ﴿نَصَبٞ﴾: تعَبٌ، ﴿مَخۡمَصَةٞ﴾: مَجَاعَةٌ،
١٢٢- ﴿لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾: لِيَخْرُجُوا لِلْجِهَادِ جَمِيعًا.

(١١٨) التوبةُ توفيقٌ من اللهِ، يجبُ أن يَسألَها الإنسانُ ربَّه، لا أن ينتظرَها مِن نفسِه ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾.
(١٢١) ﴿... نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ ... إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ﴾ تذكَّرْ وأنت تسعى أو تُشاركُ في عملِ خيرٍ أنَّ كلَّ خطواتِك محسوبةٌ في ميزانِ حسناتِك. ١٢٠: التوبة [١٢١].

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
122	*وبعد أن حرض الله - تعالى - المؤمنين على الجهاد في سبيله، وحذرهم من التخلف عن الخروج مع رسوله - صلى الله عليه وسلم - أتبع ذلك بالحديث عما يجب عليهم إذا لم تكن المصلحة تقتضى النفير العام، فقال - تعالى - : [وما كان المؤمنون]. *بعد الكشف عن عيوب المنافقين، وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك. قال المسلمون :والله لا نتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا عن سرية بعثها، فلما قدم - صلى الله عله وسلم - المدينة من تبوك، وبعث السرايا، أراد المسلمون أن ينفروا جميعا للغزة وأن يتركوا النبى - صلى الله عليه وسلم - وحده فنزلت هذه الآية. *أنَّ هذه الآيةَ مِن تَتِمَّةِ أحكامِ الجهادِ بالقِتالِ، مع زيادةِ حُكمِ طَلَبِ العِلمِ، والتفَقُّهِ في الدِّينِ، وهو آلةُ الجهادِ بالحُجَّةِ والبُرهانِ، الذي عليه مدارُ الدَّعوةِ إلى الإيمانِ، و إقامة دعائِمِ الإسلامِ، و إنَّما جِهادُ السَّيفِ حمايةٌ وسِياجٌ .-المنار- وأيضًا لَمَّا كان غالِبُ ما تقدَّمَ مِن هذه السُّورةِ تَحريضًا على الجِهادِ، وتنديدًا على المقَصِّرينَ في شأنِه، و انتهى الكلامُ قبل هذا بقوله تعالى: مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ...؛ فلا جرَمَ كانت قوَّةُ الكلامِ مُؤذِنَةً بُوجوبِ تمحُّضِ المسلمينَ للغَزوِ. وإذ قد كان مِن مَقاصِدِ الإسلامِ بَثُّ علومِه وآدابِه بين الأمَّةِ، وتكوينُ جَماعاتٍ قائمةٍ بعِلمِ الدِّينِ وتَثقيفِ أذهانِ المُسلِمينَ؛ كي تصلُحَ سِياسةُ الأمَّةِ على ما قصَدَه الدِّينُ منها؛ من أجلِ ذلك عقَّبَ التَّحريضَ على الجِهادِ بما يبيِّنُ أنْ ليس من المَصلحةِ تمحُّضُ المُسلمينَ كُلِّهم لأن يكونوا غُزاةً أو جُندًا، وأنْ ليس حظُّ القائِمِ بواجِبِ التَّعليمِ، دونَ حَظِّ الغازي في سَبيلِ اللهِ؛ من حيثُ إنَّ كِلَيهما يقومُ بعمَلٍ لتأييدِ الدِّينِ، فهذا يؤيِّدُه بتوسُّعِ سُلطانِه، وتكثيرِ أتباعِه، والآخَرُ يؤيِّدُه بتثبيتِ ذلك السُّلطانِ، وإعدادِه لأنْ يَصدُرَعنه ما يضمَنُ انتظامَ أمرِه، وطولَ دَوامِه-ابن عاشور-

تفسير السعدي:

يقول تعالى: - منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم - ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿طَائِفَةٌ﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: القاعدون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي. ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، و أنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما.

وفي هذه الآية أيضًا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفروقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور.

وقفات ولطائف:

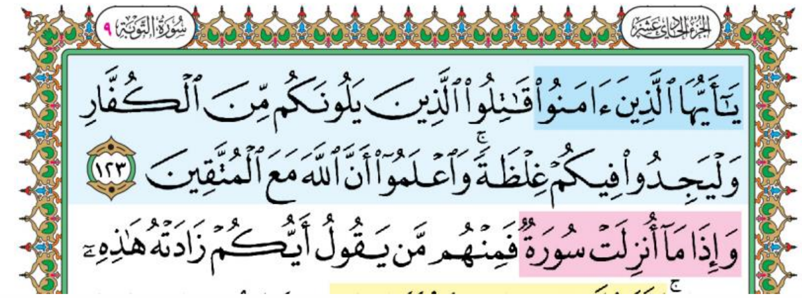
﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾

ثم بين غاية العلم؛ مشيراً إلى أنَّ مَن جعل له غاية غيرها مِن ترفع أو افتخارفقد ضلَّ ضلالاً كبيراً؛ فقال موجباً لقبول خَبَر مَن بلغهم: ﴿لعلهم﴾ أي كلهم ﴿يحذرون﴾ أي: ليكون حالهم حال أهل الخوف من الله بما حصلوا من الفقه؛ لأنه أصل كل خير؛ به تنجلي القلوب فتُقبِل على الخير، وتُعرِض عن الشر... والمراد بالفقه هنا: حفظ الكتاب والسنة، وفهم معانيهما من: الأصول، والفروع، والآداب، والفضائل. [البقاعي

النفير نوعان :

- النفير للجهاد {انفروا خفاف وثقالا وجاهدوا}
- النفير للعلم { فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين}

4- أعظم العلم الذي يورث تصحيحا لو اقع الناس ودينهم تأمل قوله { ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم }/محمد الربيعة



الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
123	*ثم ختمت السورة الكريمة حديثها عن الجهاد في سبيل الله، بدعوة المؤمنين إلى قتال أعدائهم بشدة وغلظة.-الوسيط-

تفسير السعدي:

وهذا أيضًا إرشاد آخر، بعدما أرشدهم إلى التدبير فيمن يباشر القتال، أرشدهم إلى أنهم يبدأون بالأقرب فالأقرب من الكفار، والغلظة عليهم، والشدة في القتال، والشجاعة والثبات.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: وليكن لديكم علم أن المعونة من الله تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى الله، يعنكم وينصركم على عدوكم.

وهذا العموم في قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ مخصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير الذين يلوننا، و أنواع المصالح كثيرة جدا.

وقفات ولطائف:

قال ابن كثير: أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا، الأقرب فالأقرب، إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ الرسول ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة واليمن.. وغير ذلك من أقاليم العرب، دخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل كتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس، وجدب البلاد، وضيق الحال، ذلك سنة تسع من الهجرة، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع، ثم عاجلته المنية- صلوات الله وسلامه عليه- بعد حجة الوداع بأحد وثمانين يوما وسار خلفاؤه الراشدون من بعده على نهجه.

وقوله وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً أى: **وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا بأخيه المؤمن، غليظا على عدوه الكافر. قال- تعالى-: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.**

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **123-قتال الأقرب فالأقرب من الكفَّار المحاربين للمسلمين هو من فقه الأولويَّات في الجهاد؛ تأمينًا للظَّهر، وطَمأنةً لقلوب النافرين والمقيمين من المسلمين.**
- **مَن حاربَ الإسلامَ والمسلمين فلا يُقابَلُ إلا بالشدة والغِلظة، حتى يَرعويَ عن غَيِّه.**
- **المؤمنُ رفيقٌ بأخيه، غليظٌ على من يُعاديه.**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ
سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ
ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

١٢٣←(١)→١٢٣
= ثُمَّ الدعوةُ لقتالِ الكفَّارِ (الأقربِ فالأقربِ) بشدةٍ وقوةٍ.

١٢٤←(٤)→١٢٧
آخرُ حديثٍ عن قبائحِ المنافقينَ: استهزاؤُهم بالقرآنِ، وأنَّ نزولَه يزيدُ المؤمنينَ إيمانًا، ويزيدُهم مرضًا، يبتَلِيهم اللهُ بفضحِ نفاقِهم كلَّ سنةٍ مرةً أو مرتينِ فلا يعتبرُونَ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
124	يقول تعالى: مبينا **حال المنافقين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن**، وتفاوت ما بين الفريقين، فقال: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها الأمر، والنهي، والخبرعن نفسه الكريمة، وعن الأمورالغائبة، والحث على الجهاد.
125	*عَطفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٦] وَهَذَا عَوْدٌ إِلَى بَيَانِ أَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ. -بن عاشور- ***بعد أن ذكر سبحانه ضروبا من مخازى المنافقين كتخلفهم عن غزوة تبوك وتعلقهم لذلك بالأيمان الفاجرة- ذكر هنا ضروبا أخرى** من تلك المثالب كتهكمهم بالقرآن وتسللهم لو إذا حين سماعه، وهذا آخرما نزل مما يبين تأثير القرآن فيهم وفى المؤمنين.-المراغي-

تفسير السعدي:

يقول تعالى: مبينا حال المنافقين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين، فقال: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها الأمر، والنهي، والخبرعن نفسه الكريمة، وعن الأمورالغائبة، والحث على الجهاد.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ أي: حصل الاستفهام، لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

قال تعالى - مبينا الحال الو اقعة - : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر.

﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يبشربعضهم بعضا بما من الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ أي: مرضا إلى مرضهم، وشكا إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك ﴿و﴾ الطبع على قلوبهم، حتى ﴿مَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ وهذا عقوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه.

وقفات ولطائف:

الفرَحُ باللهِ وبرَسولِه، وبالإيمانِ وبالسنَّةِ، وبالعِلمِ وبالقُرآنِ: من أعلى مَقاماتِ العارفينَ؛ قال اللهُ تعالى: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وقال: وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ [الرعد: 36] فالفرَحُ بالعِلمِ والإيمانِ والسنَّةِ، دليلٌ على تعظيمِه عند صاحِبِه، ومحَبَّتِه له، و إيثارِه له على غَيرِه، فإنَّ فرَحَ العَبدِ بالشَّيءِ عند حصولِه له: على قَدْرِ مَحَبَّتِه له، ورَغبَتِه فيه. فمَن ليس له رغبةٌ في الشَّيءِ لا يُفرِحُه حُصولُه له، ولا يَحزُنُه فَو اتُه؛ فالفَرَحُ تابعٌ للمحبَّةِ والرَّغبةِ .-ابن القيم-

دلَّ قولُه تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ على أنَّ الهُدى تخلَّفَ عنهم؛ **لأنَّ المحَلَّ الذي سيتأثَّرُ به غيرُ قابِلٍ له- وهو القَلبُ-** فمَرَضُ قُلوبِهم كان هو المانِعَ مِن الهُدى-ابن القيم-

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ☐ **124-ليس في حربِ مَن شاقَّ اللّهَ ورسولَه رحمةٌ ولا رأفة، لكن من غير تمثيل ولا تنكيل، وإنما تكون الرحمة بهم في غير الحرب.**
- ☐ **لا بدَّ للمجاهدِ الذي يريدُ الظفرَ من حظٍّ وافرٍ من التقوى، فهي العَونُ في النصر على الأعداء.**
- ☐ **ليس كلُّ مَن سمعِ الآياتِ ازدادَ إيمانًا، بل لا بُدَّ من الإقبالِ عليها، والإنصاتِ لها، والاهتمامِ بها.**
- ☐ **أهلُ الإيمانِ يستبشرون بنزولِ آياتِ القرآن، فيسمعون ما فيها من الأخبار والأحكام، والوعدِ والوعيد، فيزدادون إيمانًا إلى إيمانهم؛ إذ ليس الإيمانُ معرفةً جامدة، بل هو قولٌ وعمل يزيد وينقُص، وأعظم ما يزيده كتابُ اللّه تعالى.**
- ☐ **ينبغي للمؤمن أن يتفقَّدَ إيمانَه ويتعاهَدَه، فيُجَدِّدَه وينمِّيَه، ليكونَ دائمًا في صُعود، فالإيمانُ يَزيدُ وينقُص.**
- ☐ **125-القلوب تمرَضُ وتَشفى كالجسد، فأدواؤها الكفر والجهل وذميمُ الخِلال، وأدويتُها الإيمانُ والعلم وفضائلُ الخِصال.**
- ☐ **إذا انتكستِ القلوبُ انقلبَ تمييزُ الأمور فيها، فيصيرُ الخيرُ شرًّا، وسببُ الهداية سببًا للغَواية.**
- ☐ **الكفر بآياتِ اللّه تعالى، وعصيانُ رسوله ﷺ يُعقِب أصحابه هلاكًا وطَبعًا على قلوبهم؛ عقوبةً من اللّه تعالى لهم.**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ
وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا
إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ

١٢٣←(١)→١٢٣
= ثُمَّ الدعوةُ لقتالِ الكفَّارِ (الأقربِ فالأقربِ) بشدةٍ وقوةٍ.

١٢٧←(٤)→١٢٤
آخرُ حديثٍ عن قبائحِ المنافقينَ: استهزاؤُهم بالقرآنِ، وأنَّ نزولَه يزيدُ المؤمنينَ إيمانًا ويزيدُهم مرضًا، يبتَلِيهم اللهُ بفضحِ نفاقِهم كلَّ سنةٍ مرةً أو مرتينِ فلا يعتبرُونَ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
126	*لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ الذينَ في قُلوبِهم مَرَضٌ يموتونَ وهم كافِرونَ، وذلك يدُلُّ على **عذابِ الآخرةِ**؛ بيَّنَ أنَّهم لا يتخَلَّصونَ في كلِّ عامٍ مَرَّةً أو مرَّتَينِ من **عذابِ الدُّنيا**.-الرازي- ***نداء التوبة زمن الفتن** **وقوله: أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ.. **توبيخ لهم على قسوة قلوبهم، وانطماس بصيرتهم، وغفلتهم عما يدعو إلى الاعتبار والاتعاظ.** أى: أبلغ الجهل والسفه وعمى البصيرة بهؤلاء، أنهم صاروا لا يعتبرون ولا يتعظون بما حاق من فتن واختبارات و ابتلاءات، تنزل بهم في كل عام مرة أو مرتين؟ ومن هذه الفتن والامتحانات: كشف مكرهم عن طريق اطلاع رسول الله ﷺ على ما يضمرونه من سوء، وما يقولونه من منكر، وما يفعلونه من أفعال خبيثة، وحلول المصائب والأمراض بهم، ومشاهدتهم لانتصار المؤمنين وخذلان الكافرين.

تفسير السعدي:

قال تعالى - موبخًا لهم على إقامتهم على ما هم عليه من الكفر والنفاق - : ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بما يصيبهم من البلايا والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر الإلهية التي يراد بها اختبارهم.
﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ عما هم عليه من الشر ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيتركونه.
فالله تعالى يبتليهم - كما هي سنته في سائر الأمم - بالسراء والضراء وبالأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.
وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، و أنه ينبغي للمؤمن، أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميه، ليكون دائما في صعود.

وقفات ولطائف:.

قال الآلوسى: والمراد من المرة والمرتين- على ما صرح به بعضهم- مجرد التكثير، لا بيان الوقوع على حسب العدد المذكور.
وقوله: ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ بيان لرسوخهم في الجهل والجحود.
أى: ثم بعد كل هذه الفتن النازلة بهم، لا يتوبون من نفاقهم «ولا هم يذكرون» ويتعظون، بل يصرون على مسالكهم الخبيثة، وأعمالهم القبيحة، مع أن من شأن الفتن والمصائب والمحن، أنها تحمل على الاعتبار والاتعاظ، والرجوع عن طريق الشر إلى طريق الخير.
[أولا يرون أنهم يُفتنون... ثم لا يتوبون]لا تكن مثلهم..استثمر كل ما يصيبك من المصائب في صحيفة توبتك.

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- ❑ **126-ليَفزَعْ إلى التوبة مَن نزلت به إحدى الرزايا، فلعلَّه أُصيبَ بها لفعلِ بعض الخطايا.**
- ❑ **مَن أعرض عن القرآن واستهزأ بذِكره لم يكن من أهل الذِّكر، ولم تُحدث فيه الرزايا ذِكرًا ولا عِبرة.**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ
وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا
إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ

١٢٣←(١)←١٢٣
= ثُمَّ الدعوةُ لقتالِ الكفَّارِ (الأقربِ فالأقربِ) بشدةٍ وقوةٍ.

١٢٧←(٤)←١٢٤
آخرُ حديثٍ عن قبائحِ المنافقينَ: استهزاؤُهم بالقرآنِ، وأنَّ نزولَه يزيدُ المؤمنينَ إيمانًا، ويزيدُهم مرضًا، يبتَلِيهم اللهُ بفضحِ نفاقِهم كلَّ سنةٍ مرةً أو مرتينِ فلا يعتبرُونَ.

الآية	مناسبة الآية لما قبلها:
127	*ثم تصور السورة الكريمة تصويرا معجزا، مشهدهم عند ما تنزل السورة القرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم وهم حاضرون في مجلسه فتقول: وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أو آيات منها، على الرسول صلى الله عليه وسلم وهم موجودون في مجلسه نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ في ريبة ومكر، وتغامزوا بعيونهم وجوارحهم في لؤم وخسة ثم تساءلوا: هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ أى: هل يراكم من أحد من المسلمين إذا ما قمتم من هذا المجلس، قبل أن يتلو الرسول ﷺ هذه السورة أو الآيات التي قد تفضحكم وتكشف عما أسررتموه فيما بينكم. ثُمَّ انْصَرَفُوا من مجلس الرسول ﷺ متسللين في حذرحتى لا يراهم أحد من المسلمين.-الوسيط- *أنَّ هذا نوعٌ آخَرُ مِن مخازي المُنافِقينَ، وهو أنَّه كُلَّما نزلَت سورةٌ مُشتَمِلةٌ على ذِكرِ المُنافِقينَ، وشَرْحِ فَضائِحِهم، وسَمِعوها- تأذَّوا مِن سَماعِها، ونظَرَ بَعضُهم إلى بعضٍ نظَرًا مَخصوصًا دالًّا على الطَّعنِ في تلك السُّورةِ، والاستهزاءِ بها، وتحقيرِ شأنِها .-الرازي- وأيضا فإنَّ الله تعالى لَمَّا ذكَرَما يَحدُثُ مِن المُنافِقينَ مِن القَولِ استهزاءً؛ أتبَعَه- تأكيدًا لزيادةِ كُفرِهم، وتوضيحًا لِتَصويرِه- ما يحدُثُ مِن فِعلِهم استهزاءً مِن الإيمانِ، والتَّغامُزِ بالعُيونِ -البقاعي-

تفسير السعدي:

يعني: أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: صدها عن الحق وخذلها.
﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها.
والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره، من شرائع الإيمان، كما قال تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾

وقفات ولطائف:

المنافق ترعبه سورة ! فكيف بالقرآن كاملاً؟

(صرف الله قلوبهم) أمر القلوب ليس بيدنا أبدا .. ! فهي بيد الله يقلبها كيف يشاء اللهمَّ يا مقلب القلوب .. ثبت قلوبنا على الإيمان .

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

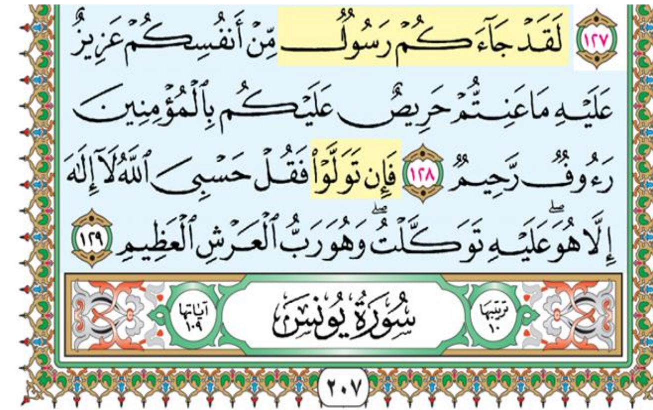
- ❑ **لا يستطيعُ المنافقون البقاءَ عند سماع القرآن، فقلوبُهم لا تقبلُه، وكشفُه لعَوارهم وإخراجُه لأسرارهم يَصرفُهم عن الاستماع له.**
- ❑ **من أعرضَ عن الله تعالى أعرض الله عنه، ومن لم يَفقَه ما ينفعُه في آخرته لا يمكنُه الإقبالُ على سماع كتاب ربِّه، والانتفاع بخطابه.**
- ❑ **الفقيهُ كلُّ الفقيهِ مَن أقبلَ على القرآنِ سماعًا وأخذًا، وعِلمًا وعملًا.**

مقاطع السورة

ثم الخاتمة وفيها حكمة بعثته صلى الله عليه وسلم في العرب وعظيم مكانته فيهم(128-129)

١٢٨←(٢)←١٢٩

لمّا أمَرَ رسولَه ﷺ أن يبلِّغ في هـذه السـورة تكـاليف شـاقَّة ختمها بما ييسرُ تحمُّلَ تلك التكـاليف وهـو حرصُه ﷺ عليهم ورحمتُه بهم.



مُناسبةُ خَتمِ سُورةِ التَّوبةِ بهاتَينِ الآيتَينِ:

لَمَّا أمَرَ تعالى رسولَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أن يبَلِّغَ في هذه السُّورةِ إلى الخَلقِ تكاليفَ شاقَّةً شديدةً صَعبةً، يَعسُرُ تَحمُّلُها إلَّا لِمَن خَصَّه الله تعالى بوجوهِ التَّوفيقِ والكرامة- ختَمَ السُّورةَ بما يُوجِبُ سُهولةَ تحَمُّلِ تلك التكاليفِ، وهو أنَّ هذا الرَّسولَ منكم؛ فكُلُّ ما يحصُلُ له من العِزِّ والشَّرَفِ في الدُّنيا، فهو عائدٌ إليكم، و أيضًا فإنَّه بحالٍ يَشُقُّ عليه ضَرَرُكم، وتَعظُمُ رَغبتُه في إيصالِ خَيرِ الدُّنيا والآخرةِ إليكم؛ فهو كالطَّبيبِ المُشفِقِ، والأبِ الرَّحيمِ، في حَقِّكم، والطبيبُ المُشفِقُ ربَّما أقدَمَ على عِلاجاتٍ صَعبةٍ يَعسُرُ تَحمُّلُها، والأبُ الرَّحيمُ ربَّما أقدَمَ على تأديباتٍ شاقَّةٍ، إلَّا أنَّه لَمَّا عُرِفَ أنَّ الطَّبيبَ حاذِقٌ، وأنَّ الأبَ مُشفِقٌ؛ صارت تلك المُعالجاتُ المُؤلِمةُ مُتحَمَّلةً، وصارت تلك التَّأديباتُ جاريةً مَجرى الإحسانِ، فكذا هاهنا؛ لَمَّا عَرَفتُم أنَّه رسولٌ حَقٌّ مِن عندِ الله، فاقبَلوا منه هذه التَّكاليفَ الشَّاقَّةَ؛ لتفوزوا بكلِّ خَيرٍ، ثمَّ قال للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: فإنْ لم يَقبَلوها بل أعرَضوا عنها وتوَلَّوا، فاترُكْهم ولا تلتَفِتْ إليهم، وعَوِّلْ على اللهِ، وارجِعْ في جميعِ أمورِك إلى الله، فجاءت هذه الخاتمة في غايةِ الحُسنِ ونِهايةِ الكَمالِ -الرازي-

وأيضًا ففيهما تذكيرُهم بالمِنَّةِ ببَعثةِ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، والتَّنويهِ بصِفاتِه الجامعةِ للكَمالِ، ومِن أخَصِّها حِرصُه على هداهم، ورَغبتُه في إيمانِهم، ودُخولِهم في جامعةِ الإسلامِ؛ ليكونَ رَؤوفًا رحيمًا بهم، ليعلَموا أنَّ ما لَقِيَه المُعرِضونَ عن الإسلامِ مِن الإغلاظِ عليهم بالقَولِ والفِعلِ، ما هو إلَّا استصلاحٌ لحالِهم، وهذا مِن مَظاهِرِ الرَّحمةِ التي جعلَها اللهُ تعالى مُقارِنةً لِبَعثةِ رَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بقَولِه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بحيث جاء في هاتينِ الآيتَينِ بما شأنُه أن يُزيلَ الحَرَجَ من قلوبِ الفِرَقِ التي نزلَت فيهم آياتُ الشِّدَّةِ، وعُومِلوا بالغِلظةِ؛ تَعقيبًا للشِّدَّةِ بالرِّفقِ، وللغِلظةِ بالرَّحمةِ، وكذلك عادةُ القرآنِ. فقد انفتَحَ بهاتينِ الآيتَينِ بابُ حَظيرةِ الإيمانِ والتَّوبةِ؛ لِيَدخُلَها مَن وفَّقَه اللهُ إليها -ابن عاشور-

تفسير السعدي:

يمتن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: شديد الر أفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.

ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره

﴿فَإِنْ﴾ آمنوا، فذلك حظهم وتوفيقهم، وإن ﴿تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، ولا تزل في دعوتك، وقل ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: الله كافٍ في جميع ما أهمني، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق سواه.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات. وإذا كان رب العرش العظيم، الذي وسع المخلوقات، كان ربا لما دونه من باب أولى وأحرى.

وقفات ولطائف:

عن زيدِ بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أرسلَ إليَّ أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: إنَّك كنتَ تكتُبُ الوحيَ لِرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فاتَّبِعِ القُرآنَ، فتتَبَّعتُ حتى وجدْتُ آخِرَ سورةِ التَّوبةِ آيتَينِ مع أبي خُزَيمةَ الأنصاريِّ، لم أجِدْهما مع أحَدٍ غيرِه: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))

***فنحمد الله العزيز ، الذي أنزل كتابًا عزيزًا (وإنه لكتاب عزيز) ، على نبيٍ عزيز (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز) ، لأمة عزيزة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)**

العمل بالآيات (تطبيق مصحف التدبر):

- **128-تشريفُ للعربِ وتكليفُ أنْ كان رسولُ اللّه ﷺ منهم، فتشريفُهم بأن بُعِث من بينهم؛ يفهمون عنه أكثرَ من غيرهم، وتكليفُ بأن يتحمَّلوا من أمانة التبليغ ما لم يتحمَّله غيرُهم.**
- **ما أرحمَ رسولَ اللّه ﷺ وأرأفَه بأمَّته! يَشُقُّ عليه أن يرى المشقةَ بهم نازلة، ويَحرِصُ على إيصال الخير لهم في كلِّ أوان، فما أحسنَ أن يكون الدُّعاة كذلك!**
- **لا ينتفعُ برأفةِ رسول اللّه ﷺ ورحمتِه إلا مَن آمنَ به، فحينما يهتدي إلى الحقِّ يَظهرُ أثرُ الرأفة والرحمة عليه.**
- **129أيُّها الداعي، إن تولَّى الناسُ عن دعوتك، وأعرضوا عن اتِّباعك، فتوكَّل على ربِّ الناس، فهو الملاذُ والمُلتجأ.**
- **الجهرُ بالحسبلةِ، والتوكُّل على الذي كلُّ الأمرِ له، بقلبٍ حاضرٍ واعٍ، يُطفِئ عن النفسِ لظى الهمِّ والغَم.**

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ.

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، وَصَرَّحَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ بِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ بِالْفِعْلِ، كَقَوْلِهِ: يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ الْآيَةَ [60 \ 1] ، وَقَوْلِهِ: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ [47 \ 13] ، وَقَوْلِهِ: إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَةَ [9 \ 40] ، وَذَكَرَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ: مُحَاوَلَتَهُمْ لِإِخْرَاجِهِ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجُوهُ، كَقَوْلِهِ: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ [8 \ 30] ، وَقَوْلِهِ: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ الْآيَةَ.

نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: بِأَنَّ الِاتِّصَافَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ مَانِعٌ مِنْ مُوَادَّةِ الْكُفَّارِ وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ الْآيَةَ. [58 \ 22]

ذَكَرَ تَعَالَى مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ بِقَوْلِهِ: إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ [3 \ 153] ،

وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ تَابَ عَلَى مَنْ تَوَلَّى يَوْمَ أُحُدٍ بِقَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ [3 \ 155] ، وَأَشَارَ هُنَا إِلَى تَوْبَتِهِ عَلَى مَنْ تَوَلَّى يَوْمَ حُنَيْنٍ بِقَوْلِهِ: ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [9 \ 26] كَمَا أَشَارَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

صَرَّحَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِإِحْسَانٍ، أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ مَعَهُمْ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوَعْدِ بِالْخُلُودِ فِي الْجَنَّاتِ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَبَيَّنَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، أَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا السَّابِقِينَ بِإِحْسَانٍ يُشَارِكُونَهُمْ فِي الْخَيْرِ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ الْآيَةَ [62 \ 3] ، وَقَوْلِهِ: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الْآيَةَ [59 \ 10] ، وَقَوْلِهِ: وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ [8 \ 75] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ.

صَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ تَعَالَى نَظِيرَ ذَلِكَ عَنْ نُوحٍ فِي قَوْلِهِ عَنْهُ: قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ الْآيَةَ [26 \ 112]

وَذَكَرَ نَظِيرَهُ عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ فِي قَوْلِهِ: بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ اهـ.

وَقَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ صَاحِبَهُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ.

لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا هَذِهِ الْمَوْعِدَةَ الَّتِي وَعَدَهَا إِيَّاهُ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَهَا فِي سُورَةِ «مَرْيَمَ» بِقَوْلِهِ: قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا الْآيَةَ.

لَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ رَفْعَ هَذَا التَّشْدِيدِ بِقَوْلِهِ: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ الْآيَةَ [9 \ 91] ، فَهِيَ نَاسِخَةٌ لَهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

صَرَّحَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّ مَنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ.

وَذَكَرَ فِي «الْأَحْزَابِ» أَنَّهُ مَلْعُونٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ لَهُ الْعَذَابَ الْمُهِينَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا [33 \ 57] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: مَا تَحْذَرُونَ.

صَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَحْذَرُونَ أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ سُورَةً تَفْضَحُهُمْ، وَتُبَيِّنُ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُهُمْ مِنَ الْخُبْثِ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُ مُخْرِجٌ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَهُ، وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ [47 \ 29] إِلَى قَوْلِهِ: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ [47 \ 30] ، وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ شِدَّةَ خَوْفِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ [63 \ 4] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

صَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ مَا وَجَدُوا شَيْئًا يَنْقِمُونَهُ، أَيْ: يَعِيبُونَهُ وَيَنْتَقِدُونَهُ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ فَأَغْنَاهُمْ بِمَا فَتَحَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ.

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يَحْتَمِلُ أَنْ يُعَابَ أَوْ يُنْقَمَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَالْآيَةُ كَقَوْلِهِ: وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [85 \ 8] ، وَقَوْلِهِ: وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا [7 \ 126] ، وَقَوْلِهِ: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ [22 \ 40] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ.

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ شِدَّةَ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، وَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [66 \ 6] ، وَقَوْلِهِ: كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى [7 \ 15، 16] ، وَقَوْلِهِ: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا [4 \ 56] ، وَقَوْلِهِ: يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ [22 \ 19 - 21] ، وَقَوْلِهِ: وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ الْآيَةَ [18 \ 29] ، وَقَوْلِهِ: وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ [47 \ 15] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا، إِلَى قَوْلِهِ: الْخَالِفِينَ.

عَاقَبَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الْخُرُوجِ مَعَ نَبِيِّهِ، وَلَا الْقِتَالِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ; لِأَنَّ شُؤْمَ الْمُخَالَفَةِ يُؤَدِّي إِلَى فَوَاتِ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ.
وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ [48 \ 15] إِلَى قَوْلِهِ: كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ. وَقَوْلِهِ: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ الْآيَةَ [6 \ 110] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ.

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ إِذَا أَنْزَلَ سُورَةً فِيهَا الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ، وَالْجِهَادِ مَعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَأْذَنَ الْأَغْنِيَاءُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَطَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتْرُكَهُمْ مَعَ الْقَاعِدِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْغَزْوِ.

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الشَّاكِّينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ [9 \ 44، 45] ، وَبَيَّنَ أَنَّ السَّبِيلَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ مَطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ، بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ الْآيَةَ [9 \ 93] ، وَبَيَّنَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ شِدَّةَ جَزَعِهِمْ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ، كَقَوْلِهِ: فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ الْآيَةَ [47 \ 20] ، وَقَوْلِهِ: فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ [33 \ 19] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْثَ هَذَا الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَنْفُسِنَا الَّذِي هُوَ مُتَّصِفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُشْعِرَةِ بِغَايَةِ الْكَمَالِ، وَغَايَةِ شَفَقَتِهِ عَلَيْنَا - هُوَ أَعْظَمُ مِنَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَجْزَلُ نِعَمِهِ عَلَيْنَا، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ الْآيَةَ [3 \ 164] ، وَقَوْلِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ [14 \ 28] وَقَوْلِهِ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [21 \ 107] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

أَمَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مُمْتَثِلٌ ذَلِكَ، فَهُوَ سَيِّدُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، هُوَ شَأْنُ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ.

كَمَا بَيَّنَ تَعَالَى ذَلِكَ فِي آيَاتٍ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ الْآيَةَ [11 \ 54 - 56] وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ جُمْلَةِ الرُّسُلِ: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا



أسباب النزول

سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، يقولُ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ في الكَلَالَةِ} وآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ.

الراوي : البراء بن عازب | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : 4654 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | التخريج : أخرجه البخاري (4654)، ومسلم (1618)

كان القُرآنُ يَنزِلُ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُفرَّقًا؛ فتَنزِلُ عليه الآيةُ، أوِ الآياتُ فيَقولُ لأصحابِه رَضيَ اللهُ عنهم: ضَعوها في سُورةِ كذا، أوِ السُّورةِ الَّتي فيها كذا.

وفي هذا الحَديثِ يَحْكي البَراءُ بنُ عازِبٍ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّ آخِرَ سُورةٍ نزلَت كامِلةً هي سُورةُ «بَراءةٌ»، وهي سُورةُ التَّوبةِ، سُمِّيَت بأوَّلِ كَلمةٍ فيها؛ قال تعالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: 1]، واستَشكَلَ قَولُه: «كامِلةً» بأنَّ سُورةَ التَّوبةِ نزلَت شَيئًا فشَيئًا، وأُجيبَ بأنَّ المُرادَ بـ«نزلَت»: نزلَ بَعضُها، أو مُعظَمُها، ولفظُ «كامِلةً» زائدٌ؛ ولهذا حذَفَه البُخاريُّ عندَ إيرادِه الحَديثَ في التَّفسيرِ.

وآخِرُ سُورةٍ نزلَت خاتِمةُ سُورةُ النِّساءِ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} [النساء: 176]. وليس المَقصودُ آخِرَ سُورةٍ نزلَت مِنَ القُرآنِ؛ بلِ المَقصودُ آخِرُ آيةٍ مِن سُورةِ النِّساءِ، كما صُرِّحَ بذلك في رِوايةٍ في الصَّحيحينِ، أو آخِرُ ما نزَلَ في المَواريثِ.

وقد ورَدَت رِواياتٌ أُخرى تُحدِّدُ آخِرَ ما نزَلَ مِنَ القُرآنِ غيرَ ما ذكَرَ البَراءُ رَضيَ اللهُ عنه في هذا الحَديثِ، ومِن ذلك ما رَواه البُخاريُّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما، قال: «آخِرُ آيةٍ نزلَت على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ آيةُ الرِّبا»، وفي حَديثٍ آخَرَ في الصَّحيحَينِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: «إنَّ آخِرَ ما نزَلَ سُورةُ النَّصرِ».

ويُجمَعُ بيْنَهما أنَّ ما رَواه البَراءُ وابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّهما لم يَنقُلاه نَصًّا، وإنَّما ذكَراه عنِ استِقْراءٍ بحسَبِ ما اطَّلَعا عليه، وقيلَ: الآخِريَّةُ في آيةِ النِّساءِ مُقيَّدةٌ بما يَتعلَّقُ بالمَواريثِ، وآيةُ الرِّبا آخِرُ ما نزَلَ في الرِّبا. -الدرر السنية-

كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ، فَقالَ رَجُلٌ: ما أُبَالِي أَنْ لا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الإسْلَامِ إلَّا أَنْ أُسْقِيَ الحَاجَّ، وَقالَ آخَرُ: ما أُبَالِي أَنْ لا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الإسْلَامِ إلَّا أَنْ أَعْمُرَ المَسْجِدَ الحَرَامَ، وَقالَ آخَرُ: الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ أَفْضَلُ ممَّا قُلتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقالَ: لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -وَهو يَوْمُ الجُمُعَةِ- وَلَكِنْ إذَا صَلَّيْتُ الجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: 19] الآيَةَ إلى آخِرِهَا.

الراوي : النعمان بن بشير | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

الصفحة أو الرقم: 1879 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

تَتفاضَلُ الأعمالُ في الأجرِوالثَّواب، وقدْ بَيَّن الشَّرعُ فَضائلَ بعضِ الأعمالِ مِن الإيمانِ والجِهادِ في سَبيلِ اللهِ.
وفي هذا الحديثِ يَروي النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍرَضيَ اللهُ عنهما أنَّه كان عندَ مِنبَرِرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المسجِدِ النَّبويِّ، وكان هناك ثلاثةُ رجالٍ أَبْدَى كلٌّ مِنهم أَحْسَنَ الأعمالِ و أفضلَها -في رأيِه- يَعْمَلُها على الإطلاقِ؛ فقال الأوَّل، قيل: هو العبَّاسُ بنُ عبدِ المطَّلِبِ رَضيَ اللهُ عنه: «ما أُبالي ألَّا أَعْمَلَ عملًا بعدَ الإسلامِ» أي: بعْدَ إيمانِه باللهِ عزَّوجلَّ، «إلَّا أنْ أَسْقِيَ الحاجَّ» وهذا كِنايةٌ عن كَونِ سِقايةِ الحاجِّ أفضلَ الأعمالِ عنده، كأنَّه لا يَحتاجُ إلى عمَلٍ آخَرَبعْدَه، وكانوا قديمًا يَنزِعون الماءَ مِن بِئرِزمزمَ ويَسقُونَ النَّاسَ، فيَغرِفون بالدِّلاءِ ويَصبُّونَه في الحِياضِ ونحوِها، ويَجعَلونه وَقفًا للنَّاسِ، وقال الثَّاني -قيل: هو عُثمانُ بنُ طَلْحةَ، أو شَيبةُ بنُ عُثمانَ رَضيَ اللهُ عنهما-: «ما أُبالي ألَّا أَعْمَلَ عملًا بعدَ الإسلامِ، إلَّا أن أَعْمُرَ المسجِدَ الحرامَ»، وقال الثَّالِثُ -قيل: هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه-: الجِهادُ في سَبِيلِ اللهِ أفضلُ مِمَّا قُلتُم، فَزَجَرَهم ونَهاهم عُمَرُبنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه عن رَفعِ أصواتِهم عندَ مِنبَرِرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأخبرهم أنَّ اليوم هويومُ الجُمُعَة -أو هو مِن قَولِ أحدِ الرُّواةِ، أراد به تَعيينَ اليومِ الَّذي حدَث فيه الاختلافُ- و أنَّه عَقِبَ صَلاةِ الجمعةِ سيَدخُلُ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيَسْتفتِيه ويَعرِضُ عليه فيما اختَلَفْتُم فيه؛ ليَتبيَّنَ الرَّاجحُ مِن الأقوالِ، فأَنزَلَ اللهُ عزَّوجلَّ: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِوَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة: 19]، والمعنى: أجعَلْتُم العملَ على سِقايةِ الحاجِّ وعلى عِمارةِ المسجِدِ الحرامِ مِثلَ مَن آمَنَ باللهِ، ولم يُشرِكْ به أحدًا، وآمَنَ بيومِ القيامةِ، وجاهَدَ بنفسِه ومالِه لتكونَ كَلمةُ اللهِ هي العُليا، وكلمةُ الَّذين كَفَروا السُّفلى؟! أجَعَلْتُموهم سَواءً في الفضلِ عندَ اللهِ؟! لا يَستوون أبدًا عندَ اللهِ، واللهُ لا يُوفِّقُ الظَّالمِين بالشِّركِ، ولوكانوا يَعمَلون أعمالَ خيرٍكسِقايةِ الحاجِّ. وعليه؛ فإنَّ الجِهادَ في سَبيلِ اللهِ أفضلُ مِن سِقايَةِ الحاجِّ ومِن عِمَارَةِ المسجدِ الحرامِ، وقدْ نصَّ على تَعيينِ أفضليَّةِ الجِهادِ بقولِه بعْدَه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: 20]، فكانت الآيةُ مُصدِّقةً لكلامِ الرَّجلِ الثَّالثِ منهم.
وفي الحديثِ: مَنقبَةٌ لعُمرَرَضيَ اللهُ عنه، وحِرصُه على توقيرِمَسجدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ومكانِ مِنبَرِه أنْ يُرفَعُ فيه الصَّوتُ.
وفيه: سببُ نُزولِ قولِه تَعالَى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...} مِن سُورةِ التَّوْبةِ.
وفيه: فضلُ الجِهادِ في سبيلِ اللهِ عزَّوجلَّ.

مَرِرْتُ بالرَّبَذَةِ فَإذَا أنَا بأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، فَقُلتُ له: ما أنْزَلَكَ مَنْزِلَكَ هذا؟ قالَ: كُنْتُ بالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفْتُ أنَا ومُعَاوِيَةُ في: {الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولَا يُنْفِقُونَهَا في سَبيلِ اللَّهِ} [التوبة: 34] قالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلَتْ في أهْلِ الكِتَابِ، فَقُلتُ: نَزَلَتْ فِينَا وفيهم، فَكانَ بَيْنِي وبيْنَهُ في ذَاكَ، وكَتَبَ إلى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه يَشْكُونِي، فَكَتَبَ إلَيَّ عُثْمَانُ: أنِ اقْدَمِ المَدِينَةَ فَقَدِمْتُهَا، فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ حتَّى كَأنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذلكَ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ فَقالَ لِي: إنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ، فَكُنْتَ قَرِيبًا، فَذَاكَ الذي أنْزَلَنِي هذا المَنْزِلَ، ولو أمَّرُوا عَلَيَّ حَبَشِيًّا لَسَمِعْتُ وأَطَعْتُ.

الراوي : زيد بن وهب الجهني | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 1406 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

كان الصحابيُّ الجليلُ أبو ذَرٍّ الغِفاريُّ رَضيَ اللهُ عنه زاهدًا في الدُّنيا، قويًّا في الحقّ، وقد ظلَّ على ذلك منذُ عهدِ النُّبوَّةِ إلى وفاتِه رَضيَ اللهُ عنه،
وفي هذا الأثرِ يخبِرُ التابعيُّ زَيدُ بنُ وهْبٍ أنَّه مرَّ بالرَّبَذةِ -وهي مَنطقةٌ تقعُ في شَرقِ المدينةِ النَّبويَّةِ، تبعُدُ عنها قرابةَ 170 كم- فوجَد أبا ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه يَسكُنُ فيها، ولم تكُنْ مَنطقةَ سكَنٍ قبْلَ ذلك، وكان وحيدًا فيها، فسَأله عن سببِ عُزلتِه وسُكْناه في هذه المنطقةِ، فأخبَره أبو ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه اختلَف مع مُعاويةَ رَضيَ اللهُ عنه في سببِ نزولِ قولِه تعالَى: {الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة: 34]، فقال معاويةُ رَضيَ اللهُ عنه: نزَلَتْ في أهلِ الكِتابِ، وقال أبو ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه: نزَلَتْ فينا نحن المُسلِمينَ وفي أهلِ الكِتابِ؛ فأمَّا معاويةُ رَضيَ اللهُ عنه فقد نظَر إلى سِياقِ الآيةِ؛ فإنَّها نَزَلت في الأحبارِ والرُّهبانِ الَّذين لا يؤتونَ الزَّكاةَ، بيْنَما نظَرَ أبو ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه إلى عمومِ الآيةِ، وأنَّ مَن لا يرى أداءَها -مع أنَّه يَرى وُجوبَها- يلحَقُه هذا الوعيدُ الشَّديدُ، وكان معاويةُ رَضيَ اللهُ عنه في ذلك الوقتِ أميرًا على دِمَشقَ في زمنِ الخليفةِ عثمانَ رَضيَ اللهُ عنه، فكتَبَ معاويةُ إلى الخَليفةِ بما كان بيْنَه وبيْنَ أبي ذَرٍّ مِنَ الخِلافِ، وإنَّما شَكاه معاويةُ لعُثمانَ رَضيَ اللهُ عنهم؛ لأنَّه رأى مِن زُهدِ أبي ذَرٍّ وتأويلِه الأشدِّ، وأنَّه رُبَّما يُنقَلُ عنه ما لا يُؤمَنُ أن يَنتشِرَ عنه، فيُثيرُ فِتنةً أو يُهيِّجُ خروجًا على إمارتِه في غيرِ حقٍّ؛ لذلك رأى أن يَرفَعَ أمْرَه إلى عُثمانَ فيُدبِّرَه برأيِه؛ إذ ليس في هذا الحديثِ أنَّه سَأله أنْ يَستدعيَه، إنَّما شَكاهُ إلى عثمانَ.
فكتَبَ عثمانُ إلى أبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنهما أن يَترُكَ دِمَشقَ ويَرجِعَ إلى المدينةِ، فأطاعَه أبو ذَرٍّ ورجَع، ولَمَّا قدِم أبو ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه المدينةَ، اجتمَع عليه النَّاسُ يَسألُونَه عن القِصَّةِ، وما جرى بيْنَه وبيْنَ مُعاويةَ رَضيَ اللهُ عنه، فذكَر له كَثرةَ النَّاسِ وتعجُّبَهم مِن حالِه، كأنَّهم لم يروْه قطُّ، فقال له عُثمانُ رَضيَ اللهُ عنه: «إنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ»، وهذا يدُلُّ على أنَّه رَضيَ اللهُ عنه خيَّرَ أبا ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه وردَّ ذلك إلى مَشيئتِه، وأنَّ أبا ذَرٍّ خرَج إلى الرَّبَذةِ اختيارًا منه، وليس كما يُحكَى أنَّ عُثمانَ أخرَج أبا ذَرٍّ إلى الرَّبَذةِ إبعادًا له ونَفْيًا، ثمَّ أخبَر أبو ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه -مُظهِرًا بذلك طاعتَه لهم، واعتقادَه صحَّةَ ما هو عليه- أنَّه لو جُعِل الخَليفةُ الأميرُ عبدًا حبَشيًّا -والمُرادُ به: أخَسُّ العَبيدِ، والحبشُ جِنسٌ مِن السُّودانِ- يأمُرُني ويَنهاني، فيَجِبُ السَّمعُ له والطَّاعةُ.
وفي الحديثِ: ترْكُ الخُروجِ على الأئمَّةِ، والانقيادُ لهم، وإنْ كان الصَّوابُ في خِلافِهم.
وفيه: الاختلافُ والاجتهادُ في الآراءِ.
وفيه: مُلاطفةُ الأئمَّةِ العلماءَ؛ فإنَّ معاويةَ رَضيَ اللهُ عنه لم يَجسُرْ على الإنكارِ على أبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه حتَّى كاتَبَ مَن هو أعلى منه في أمْرِه.

[ومِنهم مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولا تَفْتِنِّي]

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة ٤٩]

عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: «لَمّا أرادَ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يَخْرُجَ إلى غَزْوَةِ تَبُوكَ قالَ لِجَدِّ بْنِ قَيْسٍ: يا جَدُّ بْنَ قَيْسٍ ما تَقُولُ في مُجاهَدَةِ بَنِي الأصْفَرِ فَقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ إنِّي امْرُؤٌ صاحِبُ نِساءٍ مَتى أرى نِساءَ بَنِي الأصْفَرِ أفْتَتِنُ فائْذَنْ لِي ولا تَفْتِنِّي فَأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ومِنهم مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولا تَفْتِنِّي﴾ الآيَةَ». وأخْرَجَ ابْنُ أبِي حاتِمٍ، وابْنُ مَرْدُويَهْ، عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِجَدِّ بْنِ قَيْسٍ: يا جَدُّ هَلْ لَكَ في جِلادِ بَنِي الأصْفَرِ؟ قالَ جَدٌّ: أوَتَأْذَنُ لِي يا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَإنِّي رَجُلٌ أُحِبُّ النِّساءَ وإنِّي أخْشى إنْ أنا رَأيْتُ نِساءَ بَنِي الأصْفَرِ أنْ أفْتَتِنَ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وهو مُعْرِضٌ عَنْهُ: قَدْ أذِنْتُ لَكَ، فَأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ومِنهم مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولا تَفْتِنِّي﴾ الآيَةَ».

[ومنهم من يلمزك في الصدقات]

قال الله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)

بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا، أتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ -وهو رَجُلٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ- فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، فَقالَ: ويْلَكَ! ومَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ أعْدِلْ؟! قدْ خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لَمْ أكُنْ أعْدِلُ. فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لي فيه فأضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقالَ: دَعْهُ، فإنَّ له أصْحَابًا يَحْقِرُ أحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إلى نَصْلِهِ فلا يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى رِصَافِهِ فَما يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى نَضِيِّهِ -وهو قِدْحُهُ- فلا يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِهِ فلا يُوجَدُ فيه شَيءٌ، قدْ سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أسْوَدُ، إحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجُونَ علَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ. قالَ أبو سَعِيدٍ: فأشْهَدُ أنِّي سَمِعْتُ هذا الحَدِيثَ مِن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وأَشْهَدُ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وأَنَا معهُ، فأمَرَ بذلكَ الرَّجُلِ، فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ به، حتَّى نَظَرْتُ إلَيْهِ علَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ الذي نَعَتَهُ.

الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 3610 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : أخرجه البخاري (3610)، ومسلم (1064)

قال البغوي: (نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير، أصل الخوارج) اهـ.

* فائدة:

سبب قول الرجل ما قال أنه لم يُعط من تلك القسمة فغضب من ذلك قال السعدي: (ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها وليس انتقادهم فيها وعيبهم، لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها: (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) اهـ.

ذَكَر النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه سيَخرُجُ بعْدَه خَوارجُ يُقاتِلونَ أهلَ الإسْلامِ، وذَكَر صِفاتِهم وعَلاماتِهم، وقدْ وقَعَ ذلك في عَهدِ الخَليفةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه.

وفي هذا الحَديثِ يَحْكي أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّهم بيْنَما هُم مع رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يَقسِمُ قَسْمًا، وقد بيَّنَت روايةُ الصَّحيحَينِ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه بَعَث مِن اليمَنِ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بذُهَيْبةٍ؛ وهي القِطْعةُ مِنَ الذَّهبِ، وكانت ممَّا أخَذَه عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه مِن زَكَواتِ أهلِ اليَمَنِ، فقَسَمَها صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْن أربَعةِ نَفَرٍ: الأقْرَعِ بنِ حَابِسٍ الحَنظَليِّ المُجاشِعيِّ، وعُيَيْنَةَ بنِ بَدرٍ الفَزاريِّ، وزَيدٍ الطَّائيِّ، وعَلْقَمةَ بنِ عُلاثةَ العامِريِّ، وهم رُؤساءُ في أقْوامِهم، وقد كانوا حَديثي عَهدٍ بكُفرٍ، فتَألَّفَهمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بهذا المالِ: ليَثبُتوا على الإسْلامِ، فيَثبُتُ قَومُهم معَهم، فلمَّا خَصَّهمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بهذا العَطاءِ، غَضِب بعضُ النَّاسِ، وفي هذا الوَقتِ أتاهُ ذو الخُوَيْصِرةِ، واسمُه حُرْقُوصُ بنُ زُهَيْرٍ، وهو رَجلٌ مِن بَني تَميمٍ، فقال: يا رَسولَ اللهِ، اعدِلْ في القِسْمةِ، وهذا قَولٌ يدُلُّ على قِلَّةِ فِقهِ هذا الرَّجلِ، فغَضِب صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقال للرَّجلِ: «ويْلَكَ! ومَن يَعدِلُ إذا لم أعْدِلْ؟!» والمَعنى أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هو أَوْلى النَّاسِ بالعَدلِ، و أقدَرُهم على ذلك، و أكثَرُهم عَدْلًا؛ لأنَّه رَسولُ اللهِ، ولذلك قال له النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «قد خِبتَ وخَسِرْتَ إنْ لم أكُنْ أعْدِلُ»، وفي روايةٍ في الصَّحيحينِ: «مَن يُطِعِ اللهَ إذا عَصَيْتُ؟!»، وهذا الكَلامُ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَحمِلُ مَعنى التَّعجُّبِ والإنْكارِ لقولِ الرَّجلِ، «فقال عُمَرُ رَضيَ اللهُ عنه: يا رَسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي فيه، فأضْرِبَ عُنُقَه»؛ لأنَّه ظَهَر نِفاقُه، فمَنَعَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن قَتلِه تَألُّفًا لغَيرِه، وأمَرَه أنْ يَترُكَه، وأخبَرَ أنَّ له أصْحابًا يَحقِرُ -أي: يَستَقِلُّ- أحَدُكم صَلاتَه مع صَلاتِهم، وصِيامَه مع صيامِهم، يَقرَؤونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقيَهم، جَمعُ تَرْقوةٍ، وهي العَظمُ ما بيْن ثُغْرةِ النَّحْرِ والعاتِقِ، وفي روايةٍ في الصَّحيحَينِ: «إنَّ مِن ضِئْضِئِ -أي: مِن نَسلِ- هذا أو في عَقِبِ هذا قَومًا يَقرَؤونَ القُرآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهم»، يُريدُ أنَّ قِراءتَهم لا يَرفَعُها اللهُ ولا يَقبَلُها؛ لعِلمِه باعْتِقادِهم، أو أنَّهم لا يَعمَلونَ بها، فلا يُثابونَ عليها، أو لَيس لهم فيه حَظٌّ إلَّا مُرورُه على لِسانِهم، فلا يَصِلُ إلى حُلوقِهم، فَضلًا عن أنْ يصِلَ إلى قُلوبِهم؛ لأنَّ المَطْلوبَ تَعقُّلُه وتَدَبُّرُه؛ لوُقوعِه في القَلبِ. «يَمرُقونَ»، أي: يَخرُجونَ سَريعًا مِن دِينِ الإسْلامِ مِن غَيرِ حَظٍّ يَنالُهم منه، كما يَمرُقُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّةِ، فشبَّهَ مُروقَهم وخُروجَهم مِن الدِّينِ بالسَّهمِ الَّذي يُصيبُ الصَّيدَ، فيَدخُلُ فيه ويَخرُجُ مِن النَّاحيةِ الأُخرى، ولشِدَّةِ سُرعةِ خُروجِه لا يَعلَقُ بالسَّهمِ مِن جَسَدِ الصَّيدِ شَيءٌ، ثمَّ يُنظَرُ إلى «نَصْلِه»، وهي حَديدةُ السَّهمِ، فلا يُوجَدُ في النَّصلِ شَيءٌ مِن دَمِ الصَّيدِ ولا غَيرِه، ثمَّ يُنظَرُ إلى «رِصافِه»، وهو عَقِبٌ يُلْوى فَوقَ مَدخَلِ النَّصلِ أوِ السَّهمِ، فما يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثمَّ يُنظَرُ إلى «نَضيِّه»، وهو عودُ السَّهمِ قبْلَ أنْ يُراشَ ويُنصَلَ، أو هو ما بيْنَ الرِّيشِ والنَّصلِ، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه بُرِيَ حتَّى عادَ نِضْوًا، أي: هَزيلًا، فلا يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثمَّ يُنظَرُ إلى «قُذَذِه»، جَمعُ قُذَّةٍ؛ الرِّيشِ الَّذي على السَّهمِ، فلا يُوجَدُ فيه شَيءٌ، قدْ سبَقَ السَّهمُ «الفَرْثَ»، وهو ما يَجتَمِعُ في الكَرِشِ، «والدَّمَ» فلم يَظهَرْ أثَرُهما فيه، بلْ خَرَجا بعْدَه، وكذلك هؤلاء لم يتَعَلَّقوا بشَيءٍ مِن الإسْلامِ، وهذا نَعتُ الخَوارجِ الَّذين لا يَدينونَ للأئمَّةِ، ويَخرُجونَ عليهم.

«وآيَتُهم»، أي: عَلامَتُهمُ الَّتي يُعرَفونَ بها إذا ظَهَروا، أو عندَ أولِ ظُهورِلهم: أنَّه يكونُ فيهم رَجلٌ أسْوَدُ إحْدى «عَضُدَيْه» -وهو ما بيْنَ المِرْفَقِ إلى الكَتِفِ- مِثلُ ثَدْيِ المَرْأةِ، أو قال: مِثلُ البَضْعةِ، وهيَ القِطْعةُ منَ اللَّحمِ. «تَدَرْدَرُ»، أي: تَتحرَّكُ وتَذهَبُ وتَجيءُ، وأصْلُ الدَّرْدِ: حِكايةُ صَوتِ الماءِ في بَطنِ الوادي إذا تَدافَعَ، ويَخرُجونَ على حِينِ فُرقةٍ، أي: في زَمانِ افْتِراقٍ مِن النَّاسِ، وهو زَمانُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وأصْحابِه رَضيَ اللهُ عنهم.

قال أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ رَضيَ اللهُ عنه: فأشهَدُ أنِّي سمِعتُ هذا الحَديثَ مِن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأشهَدُ أنَّ عَليَّ بنَ أبي طالِبٍ رَضيَ اللهُ عنه قاتَلَ خَوارجَ عَصرِه، وكانوا بهذه الصِّفةِ، و أنا معَه بالنَّهْرَوانِ سنةَ (38هـ)، وهي مِنطَقةٌ بالقُربِ مِن بَغدادَ في العِراقِ، فأمَرَ عليٌّ رَضيَ اللهُ عنه أنْ يَبحَثَ المُقاتِلونَ عن ذلك الرَّجلِ الَّذي قال فيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «إحْدى عَضُدَيْه مِثلُ ثَدْيِ المَرْأةِ»، فطُلِبَ في القَتْلى، فوَجَدوه، فأتَوا به. ورآهُ أبو سَعيدٍ رَضيَ اللهُ عنه على الصِّفةِ التي وَصَفَه بها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

وفي الحَديثِ: أنَّ قِراءةَ القُرآنِ مع اختِلالِ العَقيدةِ غَيرُ زاكيةٍ، ولا حاميةٍ صاحِبَها مِن سَخطِ اللهِ عزَّوجلَّ.

وفيه: عَلامةٌ مِن عَلاماتِ النُّبوَّةِ.

وفيه: بَيانُ أنَّ مِن صِفةِ وَعادةِ المُنافِقينَ التَّشكيكَ في أحْوالِ و أفْعالِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ومُخالَفةَ هَدْيِه في كلِّ عَصرٍ، معَ التَّلْبيسِ على النَّاسِ في تَوْجيهِ الأفْعالِ والأحْوالِ.

قال اللّه تعالى: (الّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطّوّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقَاتِ وَالّذِينَ لَا يَجِدُونَ إلّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)

* سَبَبُ النُّزُولِ:

أخرج البخاري ومسلم والنّسَائِي عن أبي مسعود الأنصاري - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - قال: لما أُمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن اللّه لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاءً فنزلت: (الّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطّوّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصّدَقَاتِ وَالّذِينَ لَا يَجِدُونَ إلّا جُهْدَهُمْ ..) الآية

قال ابن كثير: (وهذا أيضاً من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراءٍ، وإن جاء بشيء يسير قالوا إن اللّه لغني عن صدقة هذا كما روى البخاري ... ثم ساق الحديث) اهـ.

وقال البغوي: (قال أهل التفسير: حث رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول اللّه مالي ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل اللّه، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي، فقال رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (بارك اللّه لك فيما أعطيتَ وفيما أمسكتَ) فبارك اللّه في ماله حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم، وتصدق يومئذٍ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحبحاب بصاعٍ من تمر، وقال: يا رسول اللّه بتُّ ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلتُ صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لأهلي و أتيتك بالآخر فأمره رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن ينثره في الصدقة، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياءً، وإن كان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكنه أراد أن يذكر فيمن أعطى الصدقة فأنزل اللّه - عَزَّوَجَلَّ -: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ) اهـ.

قال ابن عطية: (وأما المتصدق بكثير الذي كان سببًا للآية فأكثر الروايات أنه عبد الرحمن بن عوف ثم ساق الحديث إلى أن قال: وأما المتصدق بقليل فهو أبو عقيل حبحاب الأراشي فذكر الحديث إلى آخره) اهـ

قال الله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)

* سَبَبُ النُّزُولِ:

أخرج البخاري وأحمد والترمذي والنَّسَائِي عن ابن عبَّاسٍ - عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دعي له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليُصلي عليه، فلما قام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وثبتُ إليه، فقلت: يا رسول الله، أَتصلي على ابن أُبي، وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ أُعَدِّدُ عليه قولَه، فتبسم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال: (أَخِّرْعني يا عمر). فلما أكثرتُ عليه، قال: (إني خُيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفرله لزدت عليها)، قال: فصلى عليه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا) إلى قوله: (وَهُمْ فَاسِقُونَ). قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يومئذٍ، والله ورسوله أعلم.

وأخرجه البخاري، وأحمد ومسلم والترمذي والنَّسَائِي و ابن ماجه من حديث ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -. وأخرج ابن ماجه من حديث جابر - ﷺ - نحوه.

قال الله تعالى: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)

* سَبَبُ النُّزُولِ:

أخرج أبو داود والترمذي و ابن ماجه عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية.

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبط أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله و أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أن هذه الآية نزلت: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور. فما طهوركم؟

قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء. قال: (فهو ذاك فعليكموه).





تكرار غفور رحيم في السورة

(5)	فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌرَحِيمٌ
(27)	ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌرَحِيمٌ
(91)	لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌرَحِيمٌ

(99)	وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِوَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌرَحِيمٌ
(102)	وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا وَآخَرَسَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌرَحِيمٌ